نحو النص

نقد النظرية ...وبناء اخرى



د. عمر أبو خرمة

عالم الكتب الحديث

نحو النص

نقد النظرية ... وبناء أخرى

د. عمر محمد أبو خرمة

عالم الكتب الحديث
اربد-الأردن
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

نحو النص

نقد النظرية...وبناء أخرى

سورة البقرة نموذجاً

هذا الكتاب في الأصل رسالة دكتوراه قدمت في قسم اللغة العربية بجامعة اليرموك

بإشراف الأستاذ الدكتور سمير استيتية

....

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠٠٣/٩/٢٠٢٢)

٤١٠

أبو خرمة، عمر محمد

نحو النص/عمر محمد أبو خرمة.-إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٤.

( ) ص.

ر.إ.:٢٠٠٣/٩/٢٠٢٢.

الواصفات:/النصوص//بحث النصوص//اللغة العربية/

❖ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الإجازة المتسلسل: ٢٠٠٣/٩/٢٠٦٥

....

الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

عالم الكتب الحديث

للنشر و التوزيع

الأردن- اربد- شارع الجامعة

تلفاكس(٧٢٧٢٢٧٢-٢-٩٦٢) الرمز البريدي(٢١١١٠) صندوق البريد (٣٤٦٩)

....

المحتويات

الموضوع	الصفحة
- براون ويول ونحو النص	٩٠
- الخلاصة	٩٥
الفصل الثاني: النص القرآني تطبيق	٩٩-٢٠٨
- تمهيد الفصل الثاني	١٠١
- من النص إلى الفقرة	١٠٥
- مدخل	١٠٥
- بنية الفقرة: النشر	١١٣
- مدخل	١١٣
- بنية الفقرة	١١٣
- البؤرة الأصلية	١١٤
- تمدد البؤرة	١١٦
- قانون الاتساع	١١٨
- علاقة الحمل	١٢٠
- علاقة الإسناد	١٢٧
- علاقة التوضيح: شبه الجملة نموذجاً	١٣٥
- علاقة الوصف	١٤٠
- علاقة الصلة	١٤٤
-الخلاصة	١٦٢
- بنية الفقرة: الطي	١٦٥
- مدخل	١٦٥
- إحكام الفقرة	١٦٦

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

المقدمة

مرت محاولات كثيرة في السنوات القليلة المنصرمة للكشف عن حقيقة النص، من أجل العلم به، وإدراك عوالمه؛ لتسهيل تعليمه من جهة، ولإيجاد نظرية قابلة للتطبيق على مستوى ما فوق الجملة من جهة ثانية؛ إذ لا يخفى على المتخصص في علم اللغة الحديث أنّ مدارسه المختلفة؛ إن البنيوية بأنواعها، وإن التوليدية التحويلية بتطوراتها المختلفة قد عجزتا عن إيجاد نظرية تستطيع بحث ما فوق معنى الجملة، فاكتفت تلك المدارس التي سادت حتى نهاية القرن العشرين بدراسة الجملة اللغوية دون النص، وعدّت أي دراسة فوق الجملة دراسة غير علمية في أسوأ الظروف، وعبر لغوية في أحسنها.

أما علماء النص فلم يختلفوا كثيرا عن غيرهم من علماء اللغة؛ إذ ساورتهم شكوك كبيرة حول شرعية مثل هذه الدراسات على المستوى العلمي، أبرزها: هل يمكن أن تكون نتائجها موثوقا بها كنتائج دراسات علم اللغة الحديث أم لا ؟.

كانت أغلب دراسات علماء النص محاولات تنظيرية لا تطبيقية، رغم أنّ هذا العلم يُعدُّ ركيزة أساسية من ركائز علم اللغة التطبيقي، **(وهذا وصف للظاهرة، وليس محاولة نقد لها)**، وقد يُعلل ذلك بكون المصطلح ناشئا جديدا في مضمار علم اللغة العام، وعلم اللغة التطبيقي من بعد، فاحتاج العلماء إلى تنظير يضبط عمليات التطبيق في منهج واحد، أو يلم بالإمكانيات المحتملة لعوالمه، ليدخل فيه ويخرج؛ فيدخل ما هو منه، في حده، ويخرج ما ليس من حده منه.

وسيحاول هذا البحث تقديم إضاءات في هذا العلم على مستويين: مستوى التنظير، ومستوى التطبيق؛ إذ سيناقش البحث تنظيرات المؤسسين (الغرب) من جهة، وتنظيرات العرب من جهة ثانية، ثم يبني لنفسه من بعد، تنظيرا خاصا به؛ ليقدم من خلاله فهما جديدا للنظرية، ويرسم مخططا مختلفا للتطبيق؛ أي سيحاول أن يقدم مفهوما جديدا لتحليل الخطاب (النص).

أما على المستوى الثاني فسيقدم هذا البحث تطبيقا كاملا للتنظير الذي قدمه في المستوى الأول، حيث يقوم بتحليل النص القرآني تحليلا يبرز معالم نحو النص، وأدواته فيه. وقد تمّ اختيار النص القرآني للتطبيق عليه؛ لا لأنه خطاب ديني حسب، وإنما لكونه نصا لغويا أجمعت الأمة على نصيته، ولكونه مخدوما أيضا من علماء اللغة وغيرهم على مدى قرون مما سمح بمقارنة الجهود المختلفة التي تناولته بالدرس.

أما أسئلة البحث فهي كثيرة. وأما عمدتها وقوامها فهي الأسئلة التالية:

- ما مفهوم النص؟
- ما حدوده وضوابطه؟
- هل توجد نظرية في نحو النص مكتملة في الفكر العربي أو الغربي؟
- كيف ننظر للنص/ كلٌ واحد أم كلٌ موحد؟
- إذا كان الجواب هو الثاني، فما هي أصغر وحدة فيه؟
- كيف تتماسك هذه الوحدة على المستوى النحوي؟
- كيف تترابط هذه الوحدة على المستوى الدلالي؟.

- ماذا يمكن أن يقدم نحوُ النص لدارس اللغة من أبنائها أو من الناطقين بغيرها؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة ارتأى الباحث أن يسير في بناء خطته على النحو التالي:

الفصل الأول: مقدمات ضرورية

كان هذا الفصل على ثلاث مقدمات. أما **المقدمة الأولى** فناقشت مفهوم النص عند العلماء العرب والغرب؛ فبدأت من العلماء العرب المعاصرين فقدمت تعريفهم للنص، ثم رجعت إلى القدماء لتتأكد من صحة استقراء المعاصرين للتراث العربي في هذا الباب لتتلمس مواطن فقدهم للدلالة التي قدمها القدماء لمفهوم النص، فوصلت إلى نتائج ناقشت من خلالها حادّي النص في الثقافة العربية المعاصرة بتتبع جهود سابقيهم. ثم عرجت على المفهوم الغربي للنص، وبينت مناحي النقص والتمام في حدِّهم له، وتبنت تعريف النص عند رولان بارت؛ لمطابقته لمفهوم العرب القدماء للنص من جهة، ولموافقته واقع النص من جهة ثانية، ولتجاوزه مفهوم المعاصرين- من العرب والغربيين ممن تابعهم في ذلك- من جهة ثالثة. وخلصت إلى نتائج أثبتها في نهايتها.

أما **المقدمة الثانية** فناقشت تنامي فكرة نحو النص في التراث العربي ابتداء من الجرجاني في دلائل الإعجاز وانتهاء بوليد منير في كتابه النص القرآني. وقد عمدت هذه المقدمة إلى الانتقاء من بين الكتب المشار إليها في هذا الموضوع بما يخدمها بحيث لا تفقد حلقة في الزمن ولا تضيع جهدا في الموضوع وخلصت هذه المقدمة إلى نتائج أثبتها في نهايتها.

أما **المقدمة الثالثة** فناقشت قضية نحو النص: قوانينه وقواعده أو مبادئه واستراتيجياته في الثقافة الغربية من خلال جهود خمسة علماء أنجزوا ثلاثة كتب، أولها: كتاب هاليداي ورقية حسن، وثانيها: كتاب فنديك، وثالثها: كتاب براون ويول. وقد سوغت هذه المقدمة في تمهيدها سبب انتقاء هذه الكتب الثلاثة من بين الجهود الكثيرة في الموضوع، وناقشت هذه المقدمة تصورات هؤلاء العلماء أصحاب هذه الكتب لنحو النص. ثم خلصت إلى نتائج أثبتها في نهايتها.

الفصل الثاني: النص القرآني: تطبيق

بني هذا الفصل على تمهيد وعنوانين.

أما **التمهيد** فرسم صورة النص القرآني ثم صورة سورة البقرة فيه، ثم بين آليات التعامل مع هذا النص، ومنهجية تفكيكه وتجميعه.

وأما **العنوان الأول** فكان **(من النص إلى الفقرة)** وانقسم قسمين الأول **(بنية الفقرة: النشر)** واقترح تسمية لقانون أول يعمل على إنشاء الفقرة وتوسعتها، بما يضمن تماسكها النحوي، ووضح آليات عمله فيها. ثم خلص إلى نتائج أثبتها في نهاية هذا القسم. أما **القسم الثاني** فكان **(بنية الفقرة: الطي)** واقترح تسمية لقانون أخر يعمل موازيا للقانون الأول بحيث يُحكم الفقرة ويضم توسعاتها ويضمن انتهاءها بما لا يضر تماسكها النحوي، ووضح آليات عمله فيها. ثم خلص إلى نتائج أثبتها في نهايته.

وأما **العنوان الثاني** فكان **(من الفقرة إلى النص)** وقد ناقش فكرة عدم وجود التماسك النحوي بين الفقرات المتتالية مما يؤدي إلى انفصالها، وبيَّن المبادئ الضامنة لاتصالها على المستوى الدلالي بعد أن انفصلت

على المستوى النحوي، وأثبت آليات عمل تلك المبادئ وتقسيماتها. ثم خلص إلى نتائج أثبتها في نهايته.

أما **الخاتمة** فلما كان البحث يتلو كل عنوان بنتائجه، فقد حاولت الخاتمة أن تعرض لبعض التوصيات المكملة لهذا الجهد. ثم تلاها بالملاحق، ثم بثبت المصادر والمراجع.

أما منهج الباحث في بحثه فقد كان انتقائيا؛ ذلك أنّ الموضوع ممتد من زمن أول متحدث في القرآن إلى آخر نصي في عصرنا الحاضر في الثقافتين العربية والغربية، ولا يستطيع باحث مهما أوتي من قوة وعلم أن يناقش كل واحد من أولئك في آرائه على حدة، لكنه يستطيع أن ينتقي ما يلتقي من الآراء أو يختلف ويناقش أدلة الملتقين أو المختلفين بالإجمال، فمناقشة الواحد منهم تغني عن مناقشة المجموع، مما دفع الباحث إلى انتقاء كتب مالت إلى جمع الآراء وعرضها وهي على قلتها مفيدة، منها: كتاب محمد الخطابي لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، وكتاب سعيد بحيري علم اللغة النص، وكتاب صلاح فضل بلاغة الخطاب وعلم النص...الخ. وترك كتبا أخرى كثيرة لم يناقشها وإن اطلع عليها، منها: الأدب والدلالة لتزيفتيان تودروف ترجمة محمد نديم خشفة ، وقضايا الشعرية لرومان ياكبسون ترجمة محمد الوالي ومبارك حنون، والنص والخطاب والإجراء لروبرت دي بوجراند ترجمة تمّام حسان، وعلم النص لجوليا كريسطيفا ترجمة فريد الزاهي، والأسلوبية ونظرية النص لإبراهيم خليل، ودليل الدراسات الأسلوبية لجوزيف ميشال شريم، وانفتاح النص الروائي لسعيد يقطين، ووجود النص – نص الوجود لمصطفى الكيلاني، وفي معرفة النص دراسات في النقد الأدبي لحكمت صباغ الخطيب، ودينامية النص(تنظير وإنجاز) لمحمد مفتاح، ونقد النص

لعلي حرب، ومنها: الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة لمحمد شحرور، وبعض الردود عليه من مثل كتاب القرآن وأوهام القراءة المعاصرة لجواد عفانة، والإشكالية المنهجية في الكتاب والقرآن: دراسة نقدية لماهر المنجد عن سلسلة عالم الفكر ١٩٩٣م، وقضايا اللغة في كتب التفسير للهادي الجطلاوي، وأصول التفسير ومناهجه لعمر يوسف حمزة، وثلاثة كتب لنصر حامد أبو زيد، هي: الاتجاه العقلي في التفسير: دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة، وفلسفة التأويل: دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي، ومفهوم النص: دراسة في علوم القرآن، ومقالتان له أيضاً، إحداهما في مجلة الكرمل العدد الخمسون: القراءة الأدبية للقرآن: إشكالياتها قديما وحديثا، وثانيتهما في مجلة النهج العدد العشرون: منهج الدراسة الأدبية للقرآن: الجذور وآفاق المستقبل. وغير تلك كثير لا يتسع المقام لسردها.

وهذه الكتب المتروكة، رغم أنّ الباحث لم يفد من هذه الكتب توثيقا إلا أنها ساعدته في توسيع نظرته الانتقائية، وفتحت آفاقه لقضايا عامة كانت غائبة عن ذهنه، فأغنت البحث بحيث يعطي أوسع تصور دون إطالة أو حشو.

وهناك نقطة تظهر في منهج الباحث الانتقائي أظنها تغني البحث، وهي ميله إلى التحليل والنقد والموازنة بين علماء النص أكثر من ميله إلى الوصف المجرد، وغالبا ما كان يقطع بوجهة نظر معينة في البحث، لكن هذا لا يعني أن الباحث يجزم أن ما قطع به هو الصحيح المطلق، إنما هو ما أوصله إليه بحثه ومقدماته.

وبعد، فقد كان من فضل الله عليّ متعلماً أمر أعجز عن شكر هذا الأمر له وإن أظهرت الشكر، وما أجد شكرا أبلغ من أن أعترف بأني لن أبلغ شكرا مهما حاولت. وبما أنّ شكر المنعم من ضروريات الدين، وبما أني أعجز عنه؛ فسأجعل شكري له اعترافا بين أيديكم يا سادتي أن الأستاذ الدكتور سمير شريف استيتية قد تحملني جاهلا ورأى فيّ ما لم أره في نفسي، فخلق فيّ حب العلم والتعلم ولم أكن أحفل بهما من قبل، وتابعني شابا، ونصرني يوم تخلت عني خطاي ... يوم أنكرني أحبتي وفي ضيقها بشّرني بهذا المجلس الذي أجلسه بين أيديكم وكنت أقول كبشرى سراقة ... علمني أن أتواضع للعلماء، وأن الحق أولى أن يحق، وأن الخير قادم، علمني...

الفصل الأول:

مقدمات ضرورية

- مفهوم النص من التراث إلى المعاصرة.
- التراث العربي ونحو النص.
- الحاضر الغربي ونحو النص.

تمهيد الفصل الأول

سنحاول في هذا الفصل أن نلقي الضوء على ثـــلاث مقدمـــات ضرورية، تفيد - من وجهة نظر البحث - في تصور علم نحـــو النـــص تصورا مستقيما، وهذه المقدمات هي:

* مفهوم النص في التراثين العربي والغربي: وسنبدأ بمفهوم النـــــص في التراث العربي ومشكلته بين اللغة والمصطلح، ثم نقدم مفـــهوم النص في الثقافة الغربية ومشكلته مصطلحا، ونخلص من كلٍ إلـــى نتائج مركزة.
* التراث العربي ونحو النص: وسنعرض فيه أبرز الجهود العربيـــة، في نحو النص، المفهوم لا المصطلح، وسنحاول الخلوص منها إلى نتائج مركزة.
* الحاضر الغربي ونحو النص: وسنعرض فيه لأبرز الجهود النحوية النصية في الثقافة الغربية - من وجهة نظر عربيـــة - وســـنركز تحديدا على كتاب محمد الخطابـــي (لسانيات النص مدخـــل إلـــى انسجام الخطاب). وسنخلص في خاتمة هذه المقدمـــة إلـــى نتـــائج مركزة.

وسيلحظ متلقي هذا البحث أنّ منهجه في عرض الأفكار المتعلقـة بكل مقدمة قد كان انتقائيا، ولم يكن قائما على التتبع الحرفي للقضية فـــي كتب الدارسين، فاختار للمقدمة الأولى مجموعة من الآراء، التي تفيد فـــي حد مفهوم النص، دون إثبات جميع التعريفات التي حدت المفهوم. واختار

البحث للمقدمة الثانية أربعة كتب، هي: دلائل الإعجاز للجرجاني، ونظم الدرر للبقاعي، والأساس في التفسير لسعيد حوى، والنص القرآني لوليد منير. وقد كان الاختيار ناتجا عن الحدس بأهمية هذه الكتب في فهم الموضوع من جهة، وإدراك قيمة هذه الكتب في توضيح المفهوم الذي نحن بصدده من جهة ثانية.

واخترنا ثلاثة كتب بعينها- من بين تلك الكتب الكثيرة، التي درست نحو النص، في الثقافة الغربية – للمقدمة الثالثة، وهي: الاتساق في الإنجليزية (Cohesion in English) لمؤلفيه هاليداي ورقية حسن، وتحليل الخطاب (Discourse Analysis) لمؤلفيه براون ويول، والنص والسياق (Text and Context) لمؤلفة فنديك. فكان الانتقاء ضروريا لهذا البحث؛ لأن توسيع قاعدة الكتب المختارة، سيؤدي إلى كمٍّ كبير من المعلومات التي لن تفيد كثيرا في وضع المتلقي أمام تصور هذا العلم تصورا واضحا. وقد يُلحظ – غالبا – أنّ الكتب التي سبقت هذا الجهد المتواضع في الموضوع، تزخر بالمعلومات والآراء المتباينة التي لم تستفد، أو تفد كثيرا، من كثرة المعلومات، التي قدمتها. فكان لا بد من الاختيار من بين تلك الكتب التي درست نحو النص، في الثقافتين العربية والغربية.

ويجدر أن نبين سبب انصباب تركيزنا، في المقدمة الثالثة، على كتاب الخطابي، دون سواه من كتب نحو النص العربية والغربية[١]؛ لأن

---

[١] من مثل كتاب كلٍّ من: صلاح فضل (بلاغة الخطاب ونحو النص)، وسعيد بحيري (علم اللغة النص: المفاهيم والاتجاهات)، والأزهر الزناد (نسيج النص). وعدم الرجوع إلى المصادر الغربية، مع توافرها، من مثل كتاب: الاتساق في الإنجليزية (Cohesion in English) لمؤلفيه هاليداي ورقية حسن، وتحليل الخطاب (Discourse Analysis) لمؤلفيه براون ويول، الموجودين في المكتبة العربية باللغة الإنجليزية. وكتاب فنديك الموجود باللغة الألمانية في المكتبة العربية، وعدم

الدراسة تنزع بمنهجها نحو الاستقراء شبه التام في معاينة ما انتقي لها من بين كتب نحو النص؛ ولأن هدف الدراسة ليس إثبات قراءتنا للمواد المتوفرة بقدر ما هو إثبات تصور الموضوع المناقش، وقد أغرى بهذا المنهج ما عاد على الدراسة منه من فوائد، أبرزها:

- التلخيص، غير المخل بالتصور الكلي، لمفهومي: النص، ونحوه.
- الإشارة إلى مواطن القوة، والضعف، في التصورات السابقة، بالتركيز على الأولى، وفسح المجال، لمناقشة الثانية.
- تجنب التكرار المضموني.
- الاهتمام بضروريات فهم النص، ونحوه، دون الالتفات إلى جزئيات النظرية، وآليتها غير المنظمة في كتب الدارسين، مما قد يؤدي إلى التشتت المخل.

عرضنا لكتب أخرى في المكتبة الغربية، بعضها مترجم إلى العربية كاملا، من مثل كتاب جوليا كرستيفا (علم النص).

(١)
مفهوم النص من الثقافة إلى المعاصرة

٠ - مدخل

سنحاول في هذه المقدمة، أن نتحدث في جزء عنوان هذه الرسالة الثاني التي عنوانها (نحو النص) وهو مفهوم النص؛ إذ يظهر التباين الواضح بين الدارسين في تعريفه، وبيان حدّه.

وسيحاول البحث في هذه المقدمة الأولى، أن يصف مفهوم النص بما يوصل إلى تصوره تصورا مستقلا بذاته؛ كي يتسنى له فيما بعد أن يدرك مفهوم العلم (نحو النص)، لاسيما وأنّ مصطلح (نحو النص) لم يكن مركبا تركيبا لقبيا من كلمتين، هما: (نحو، ونص)؛ بحيث صار المصطلح (نحو النص) علما لقبيا يدل على مفهوم خارج عن معنى جزأيه، بل هو مركب إضافي تكوّن من إضافة كلمة (نص) إلى كلمة (نحو)، فنشأ معناه من جمع معنى كل عنصر فيه إلى معنى العنصر الثاني؛ لذا، فإنّ فهم كل مفردة منفردة، يؤدي بالضرورة إلى الوصول إلى مفهوم هذا العلم. وقد استقر مفهوم النحو ومصطلحه، في غير كتاب من كتب النحو، قديما وحديثا، واتفق على مفهومه عموما[١]، ولكن مفهوم النص هو المشكل. فما النص؟ هذا هو السؤال الذي سنحاول الإجابة عنه فيما يأتي من كلام.

---

[١] انظر: البحث النحوي عند الأصوليين مصطفى جمال الدين ص ٢٤-٣١.

١- النص في الثقافة العربية:

جاء في اللسان:"النص:رفعك الشيء، ونـص الحديث ينصه نصا:رفعه. وكل ما أُظهر، فقد نُص. وقال عمرو بن دينار:ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزُهري؛ أي أرفع له وأسند. يقال نص الحديث إلى فلان رفعه، وكذلك نصصته إليه. ونصت الظبية جيدها:رفعته"[١].

وقد توهم أغلب دارسي النص من الباحثين العرب المعاصرين- بناء على هذا الجزء من مادة نصص في اللسان- أنّ أصل معنى النص في الثقافة العربية قائم على فكرة الرفع والإظهار، فذهبوا إلى أن مصطلح النص في العربية "يطلق على ما به يظهر المعنى؛ أي الشكل الصوتي المسموع من الكلام، أو الشكل المرئي منه، عندما يترجم إلى مكتوب"[٢].

وتوصل آخرون إلى أنّ النص بمفهومه الاصطلاحي عند العرب يختلف تماما عن مفهومه في العلم الغربي؛ إذ هو عندهم- أي الغرب- "نسيج من العلاقات اللغوية المركبة التي تتجاوز حدود الجملة بالمعنى النحوي للإفادة"[٣]. بينما هو عند العرب لا يتجاوز دلالته المركزية الأساسية للدال (نص) وهي الظهور والانكشاف[٤]؛ بمعنى أنَّه؛ أي النص: المكتوب أو الملفوظ الواضح، مهما كانت درجة وضوحه؛ أي إنّهم يقابلون النص بالمتشابه مصطلحا[٥]. فلا علاقة له عندهم بالتمييز بين المكتوب والملفوظ من جهة،ولا علاقة له بالجملة، و ما فوقها من جهة ثانية؛ إذ قد

---

[١] لسان العرب، ابن منظور، مادة نصص.

[٢] نسيج النص: الأزهر الزناد، ص: ١٢.

[٣] النص، السلطة، الحقيقة: نصر حامد أبو زيد، ص: ١٥٠ .

[٤] النص، السلطة، الحقيقة: نصر حامد أبو زيد، ص: ١٥٠ .

[٥] انظر: نفسه ص ص١٥٠- ١٥٩.

يكون النص جملة أو أكثر، وكذلك لا علاقة له بكيفية تراكب الجملة أو مجموعة الجمل من جهة ثالثة، بل كل علاقته بالوضوح المضموني، فما كان واضحا فإنه نص، وما لم يكن فليس كذلك[١].

ونلحظ أنّ مفهوم النص عند دارسي النص، من الباحثين العرب، يرتبط ارتباطا وثيقا بفكرة الوضوح والانكشاف، ولا يسلِّم البحث بهذا الرأي؛ إذ لو أنعمنا النظر قليلا في المعنى المعجمي الذي قدمه اللسان، لوجدنا أمارات تفيد كثيرا في الوصول إلى مراد العربية بالنص. ففي قول اللسان السابق " النص: رفعك الشيء، ونص الحديث ينصه نصا: رفعه. وكل ما أُظهر، فقد نُص." فإنّ الوضوح والانكشاف هما الدلالة المطابقة للفظ نص، ولكن هذا يتضمن فهم أنَّ الظاهر المنكشف ثابت، لا يمكن تغييره؛ إذ إنَّ كلّ ما أُظهر عرفت له هيئة وصورة، لا يجوز أن يرى بخلافها، كأن تعرض عليه الزيادة، أو النقص، أو الإضافة، أو التعديل؛ لذا قال اللسان في هذه المادة: "وقال عمرو بن دينار: ما رأيتُ رجلا أنصَّ للحديث من الزُّهري؛ أي أرفع له وأسند. يقال نص الحديث إلى فلان رفعه، وكذلك نصصته إليه". والمعنى أن الزهري يعيد الحديث الذي يسمع كما هو، بلا زيادة ولا نقصان، ولا إضافة ولا حذف؛ لذا استخدم عمرو ابن دينار– في مرويته هذه– لفظين لتوضيح مراده، وهما: أرفع، وأسند. فهو يرفع الحديث إلى صاحبه، ويسنده إليه دون التدخل فيه، لا باللفظ، ولا بالمعنى. من هنا يمكن أن نستنتج معنى إضافيا لم يُلتفت إليه من الدارسين العرب، وهو معنى الثبات في النص، والتثبيت للمنصوص،

---

(١) ميز كثيرون بين النص والخطاب بأن النص مكتوب والخطاب ملفوظ، وأن النص متتالية جملية في حين أن ما ليس نصا لا يتجاوز الجملة الواحدة وأن النص ذو ترتيب معين وتركيب خاص وهذا هو الذي يسمح للنص بتحقيق نصيته. انظر: النص القرآني، وليد منير، ص ٢٠.

وصار يوازي قولنا: (نصصت الحديث إلى فلان) قولنا: (نسبته إليه من غير تدخل فيه). وقد أشار اللسان، إلى معنى الثبات، في مادة نص؛ إذ قال- نقلا عن الليث- :"النصنصة إثبات البعير ركبتيه في الأرض وتحرُّكه إذا همَّ بالنهوض"[١]. ومن هنا يمكن لنا أن نفهم أنَّ قول اللسان: "ونصت الظبية جيدها: رفعته". أي أقامته ثابتا باتجاه، ونفهم أيضا، أنها أخرجت كل الطول المحتمل في جيدها، ولم تبق مجالا لزيادة، ولم تخف شيئا من ذاك الطول؛ والمعنى، بلغت في رفعه أقصى درجات الرفع الممكنة. وهذا معنى آخر غير معنى الرفع والكشف، وغير معنى الوضوح، وغير معنى الثبات أيضا.

ومما جاء في اللسان، ولم يُلتفت إليه، قوله: "نص المتاع جعل بعضه على بعض." [٢] وهذا يبين سببا من أسباب جعل الكلام المتراكب على بعضه نصا. ومن معاني نص أيضا في اللسان قوله:" نص الدابة ينصها نصا: رفعها في السير... قال أبو عبيد: النص التحريك حتى تستخرج من الناقة أقصى سيرها." [٣] وهذا يوافق ما توصلنا إليه- فيما سبق- من أنّ النص بلوغ النهاية والغاية، في الأمر. حتى أنّ اللسان لم يكتفِ بمثل هذا التلميح، بل صرح به بقوله:"ونص الرجلَ نصا، إذا سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده. ونص كل شيء: منتهاه"[٤]؛ لذا قال قبل هذا الكلام: "وأصل النص أقصى الشيء وغايته"[٥] وقال بعده:"قال

---

[١] اللسان: مادة نصص.

[٢] اللسان: المادة نفسها.

[٣] اللسان: المادة نفسها.

[٤] اللسان: المادة نفسها.

[٥] اللسان: المادة نفسها.

الأزهري: النص أصله منتهى الأشياء، ومبلغُ أقصاها"[١]. بقي أن نثبت معنى لم يُلتفت إليه البتة في هذا السياق، وهو قول اللسان:" النص الإسناد إلى الرئيس الأكبر، والنص التوقيف، والنص التعيين على شيء ما"[٢] ومعنى التوقيف الإثبات للشيء كما أراده صاحبه دون تدخل فيه[٣]، ومن هذا اللفظ أُخذ المعنى الشرعي لكلمة التوقيف؛ فحين يقال إنّ القرآن توقيفي؛ فهذا يعني أنه ثابت محبوس على ما قرره الشارع الحكيم، لا يجوز التدخل فيه أو تغيير هيئته. والتعيين على شيء ما، يدل على الثبات عليه، والتركيز فيه، وعدم الالتفات إلى غيره، أما الإسناد إلى الرئيس الأكبر، ففيه معنى الثبات؛ لأنّ الإسناد رفع الشيء إلى صاحبه، دون تغيير، أو تحوير، أو إصلاح، أي نقله بدقة تامة. ولما كان معنى النص الإسناد إلى الرئيس، فقد ألزم المُسنِد نفسه بمن هو أعلى منه رتبة، فلا يجوز التغيير في نصه، فما بالك والرئيس هذا، هو الأكبر، فإنّ المعنى قد صار يدل على مطلق الثبات؛ لذا قال اللسان في أواخر مادة نصص: "ومنه قول الفقهاء: نص القرآن ونص السنة؛ أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام."[٤] والمعنى هو الثابت باللفظ دون زيادة أو نقص فيه. وليس كما توهم بعض الدارسين من أنّ المعنى هو الوضوح.

---

(١) اللسان: المادة نفسها.

(٢) اللسان: المادة نفسها.

(٣) قلنا هذا في معنى التوقيف عند صاحب اللسان؛ لأنه قال في مادة وقف: "والتوقيف كالنص، وتواقف الفريقان للقتال". أي ثبتا عليه فلا عودة، وقال في موضع آخر من هذه المادة:" وقفته توقيفا. ووقف الأرض على المساكين، وفي الصحاح للمساكين، وقفا: حبسها" ومجمل المادة لا تخرج عن معنى الحبس والثبات في المكان.

(٤) ربما كان هذا الحد الاصطلاحي هو الذي وجه التفكير اللغوي العربي الحديث الوجهة السابقة في تبني مفهوم النص وهذا التوجه قائم على مغالطة أصولية لم يدركها المحدثون رغم أنّ صاحب اللسان أدركها تماما؛ فهو لما قال (قول الفقهاء) كان يقصد أنّ اللفظ (نص) نقل من حقيقته

وجاء في اللسان أيضا: "ونص الأمر شدته"[١] ويأتي هذا المعنى لضبط معنى الاستقصاء التام؛ لأن تمام الاستقصاء يقود النص إلى الترهل، والارتخاء، ونقض الإحكام فيه، فيأتي عامل الشدّ ليحكم النص، فيقاوم ترهله، ويدفع كثرته، دون مساس بجوهره وكنهه. ولعل التفات الجرجاني في دلائله[٢] إلى هذه القضية، قد كان واضحا، حين تحدث في الاستعارة، والكناية، والتمثيل، وذلك حين أشار إلى أنّ قولنا على سبيل المثال: (رأيت أسدا). لا يختلف من حيث المعنى عن قولنا: (رأيت رجلا لا يتميز عن الأسد في شجاعته وجرأته). وفضل الاستعارة أنها أثبتت الحكم، والمبالغة فيه، بكلمات أقل، من خلال التأليف والتركيب، وهذا يعني أنّ الجرجاني يدرك تماما أن الكلام يتأثر في كثرة الكلمات وقلتها، بحيث إنّ أفضل الطرق لتقديم الفكرة كامن بتقديمها تامة من جهة، وبأقل قدر من الألفاظ من جهة ثانية، وهذا هو الاقتصاد اللغوي بأبسط صوره،

اللغوية إلى حقيقة أخرى هي الحقيقة العرفية، ولا نقول الشرعية؛ لأنّ الفقهاء أهل مهنة اصطلحوا على تسمية مفهوم بكلمة(لفظ) ثم شاع اللفظ بين الناس على أنه الحامل لهذا المفهوم؛ لذا نرى أنّ الذين فهموا أنّ مدلول كلمة نص لا ينصرف في ذهن العربي إلا إلى التركيب الذي يدل ظاهر لفظه على حكم (شرعي) قد وقعوا في خلط كبير وغلط؛ إذ ضيقوا واسعا، وقيدوا العربية بمصطلح أهل صنعة، وتجاوزوا الحقيقة اللغوية إلى الحقيقة العرفية؛ إذ نقلوا اللفظ عن حقيقته اللغوية الدلالة المطابقة [التي تشمل دلالة التضمن والالتزام] إلى دائرة دلالة التضمن أو الالتزام، وهذا خطأ.

[١] اللسان: المادة نفسها. ومعنى الشدة الصلابة والقوة والإحكام والشد المقاومة والمغالبة وهو عكس الإرخاء والشدة القلة والشح والمجاعة، انظر: مادة شدد، اللسان.

[٢] دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص ٦٢-٦٥

فالنص بذاته يحمل سمة الاقتصاد؛ إذ بدونها يستحيل أن نطلق على عمل أدبي ما، اسم نص[١].

إذن؛ النص في العربية لا يعني الظهور والوضوح والانكشاف – كما ذهب إلى ذلك غير واحد – دون كل تلك المعاني المحتملة للفظ (نص)، بل يدل هذا اللفظ جملة على أمور أحدها الوضوح والانكشاف؛ ويحمل دلالات أخرى أيضا، ليست أقل حضورا في الذهن من الوضوح والانكشاف، وكل تلك المعاني التي عرضت أعلاه كانت حاضرة في الذهن لما وضع العربي هذا اللفظ (النص) إزاء مفهومه الاصطلاحي.

وعليه، فإنّ مفهوم النص عند العرب، لا ينصرف إلى معنى الوضوح والانكشاف- كما قرروا- بل يشمل كل ما ذُكر أعلاه. ويمكن تركيز ما دار حوله الحديث سابقا من مميزات النص بالنقاط التالية، هي: الظهور[٢]، والثبات[٣]، وعلو المصدر[١]، والاستقصاء التام[٢]، والتركيب، والترتيب[٣]، والاقتصاد[٤].

---

(١) إنّ كل تلك الاعتبارات اللغوية – التي سنعرضها في نحو النص: المقدمة الثالثة، التي قررها هاليداي ورقية حسن في الاتساق النصي، تعدُ أمثلة مناسبة لصور متقدمة من الاقتصاد اللغوي في النص ليس غير.

(٢) يستحيل تسمية أي مكتوب نصا، ما لم يكن ظاهرا لمجموعة من الناس؛ بحيث يعرفونه معرفة تامة، ويجمعون على تداول معانيه، وحفظ ألفاظه، ضمن منظومتهم الفكرية: الثقافية والاجتماعية.

(٣) بما أنّ النص ظاهر لمتلقيه، غير نكرة، ولا مخفي، تام الشكل في عين متلقيه ووجدانه، فإنه ثابت في الشكل والهيئة، لا تعتريه زيادة، ولا نقص، لأنّ الميزة الأولى (الظهور) لا تتم عقلا إن قبلنا التغيير في النص؛ لأنه – أي النص – ما أُظهر إلا ليعرف على شكله، وبه؛ إذ لا ميزة في الظهور، ما لم يفد التعرف إلى الظاهر، عند تغير الظروف (الزمان/المكان). قلنا هذا؛ لأنّ النص بلاغ. ولا يصح عقلا أن نُبلِغَ (أو نُبَلِغَ) به بصيغة(هيئة/شكل) فنفهم منها معنى معينا، ثم نفعل الفعل ذاته مرة ثانية، وإذا بالصيغة متغيرة؛ إذ في مثل هذه الحالة، سينتفي الدليل، الذي أرشد للمعنى، في الصيغة الأولى، فيعود النص نوعا من العبث.

(١) قد تكون هذه الميزة ليست مقصودة لذاتها؛ إذ هي داعم أساسي للميزتين السابقتين للنص، وهما: الظهور والثبات. فالنص الذي مصدره علوي(قوة سياسية/ اجتماعية/ دينية) سيكون أكثر قبولا، من حيث إعادته كما هو، وإظهاره بحرفيته، دون زيادة، أو نقصان؛ لذا وجدنا في التاريخ الإنساني جملةَ مدونات تمتعت بهذه الميزة، منها: الشرائع الدينية، والقوانين الوضعية، والآداب القومية؛ كالشعر مثلا. فعلو المصدر، ليس المقصود به أن يكون نصا إلهيا حسب، (أقصد: أنَّ له نوعا من القداسة الذاتية) بل إن القداسة التي تُعطى له نتيجة علو مصدره، تمكنه من الظهور والثبات ليس غير.

(٢) يكون الاستقصاء التام من جهة عاملا من عوامل تميز النص، وحافزا لقبوله، وتقديسه، مما يمنع التحريف فيه، أو التغيير؛ ذلك أنَّ النص يستقصي في مادته كل جوانب القضية التي يعرض لها، حيث لا يبقي شاردة ولا واردة محتملة إلا جاء بها؛ تصريحا أو تلميحا، ويدخل فيه راجحه، ويقينه، وينفي عنه ريبه، وشكه، ووهمه(قلنا: ينفي عنه ريبه؛ لأنَّ الريب لا دلالة فيه، وقلنا: ينفي وهمه؛ لأنه لا يجوز عقلا أن يجتمع في نص الشيء وضده؛ لأنَّ الوهم نقيض اليقين؛ ولأنَّ كليهما ينفي صاحبه، وقلنا: يدخل فيه راجحه؛ لأنَّ الراجح ظن غالب، والمرجوح ظن مغلوب، فكلاهما ناف لصاحبه، والمعنى أنَّ النص لا يحمل النقائض؛ لأنها تؤدي بمتلقيه إلى العبث واللاجدوى) فكان الاستقصاء التام وسيلة الناص من هذه الجهة ليحافظ عليه، كما هو، ثابتا من غير تغيير، أو تحوير؛ لأن أي فعل من هذا القبيل يؤدي بالضرورة الاحتمالية، إلى العبث.

(٣) الترتيب ميزة في المكتوب، وهي غير مقصودة لذاتها كعلو المصدر تماما؛ لأن المكتوب الثابت على وضع معين، يكون له ترتيب معين أيضا، فإذا اختل ترتيبه اختل المعنى المستنبط من التركيب، فاعتور المكتوب نقص؛ ذلك أنَّ الترتيب وإن كان شكليا إلا أنَّ له معنى عند العرب، أو بعبارة أدق، له فائدة، وقصدية، فلو اختل اختلفت الفائدة وتغير القصد. وقد أشار الجرجاني في دلائل الإعجاز إلى هذا المعنى في تعليقه على البيت التالي: سالت عليه شعاب الحي حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير إذ يقول: " فإنك ترى هذه الاستعارة على لطفها وغرابتها إنما تم لها الحسن، وانتهى إلى حيث انتهى بما توخى في وضع الكلام من التقديم والتأخير، وتجدها ملحت ولطفت بمعاونة ذلك وموازنته لها. وإن شككت فاعمد إلى الجارين والظرف فأزل كلا منها عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيه، فقل: سالت شعاب الحي بوجوه كالدنانير حين دعا أنصاره. ثم انظر كيف يكون الحال، وكيف يذهب الحسن والحلاوة، تعدم أريحيتك التي كانت، وكيف تذهب النشوة التي تجدها "**(دلائل الإعجاز: الجرجاني ، ص٨١)** وكذلك الأمر بالنسبة للتركيب؛ لأن المركب ثابت على شكل وهيئة، فإذا غُيِّر شيء من هذا الشكل تغيّر بالضرورة المعنى، أو الفائدة، أو المقصود من التركيب الأول؛ لذا لا يجوز أنْ نسمي نصا ما افتقر إلى الترتيب، أو إلى التركيب، أو إليهما جميعا.

بناء على ما تقدم، فإنَّ النص لم يعد- كما قال الأزهر الزنّاد- لفظ "يطلق على ما به يظهر المعنى؛ أي الشكل الصوتي المسموع من الكـلام، أو الشكل المرئي منه، عندما يترجم إلى مكتـــوب" بـــل صـــار الشـــكل اللغوي(الصوتي/الكتابي) الظاهر على تركيب مخصوص بنمط ترتيبـــي ثابت؛ بحيث يستقصي جميع مرادات ناصه.

قلنا هذا؛ لنخرج كل ملفوظ أو مكتوب ذي علاقات غير مكتملـــة، واستقصاء مادته أو قضيته غير تام؛ إذ إنَّ مفهوم الزناد السابق، يُوصـــل إلى أنّ الكلمة الواحدة، والنسبة الناقصة، والنسبة التامة، نـــص؛ إذ كلـــها ظاهرة، لكن لا يحمل كلها واقعا خصائص النص من الثبـــات والحكمـــة والاستقصاء التام والترتيب والتركيب والاقتصاد[٢]، مما يمتنع معـــه، أن نسمي كل مكتوب أو منطوق نصا، كما قالوا.

---

(١) بينا فيما سبق أعلاه أن الاقتصاد هو شدة النص وقوته وهي القدرة المقاومة التي تسمح للنـــص بأن يحكم سبك ذاته بحيث يتمايز من خلاله نص يحمل معنى عن نص آخر يحمل ذات المعنـى. وهو الذي يمكّن المتلقي من الحكم على النص بالنصية عند تساوي المعنى وثبوته. وهو القـــدرة التي نحكم من خلالها بحكمة الناص، ونحكم بمهارته أيضاً، إذا عددنا المهارة هي القدرة علـــى التخلص من الحركات الزائدة في العمل.

(٢) ... لنحدد- في هذا المقام- فرقا جوهريا بين النص والكتابة والقول والخطاب، وهـــو أنّ النـــص يصدر عن حكيم، وكذلك الخطاب، بينما لا تصدر الكتابة، ولا القول عن حكيم؛ ذلك أن النـــاس كبارا وصغارا يتكلمون، ويكتبون، لكنهم ضمن معارفهم المحدودة لا يبنون نصا، ولا يشـــكلون خطابا؛ إذ ملفوظهم أو مكتوبهم ذو أفق ضيق، وأطر مقيدة، لا يتجاوز المألوف، والســـائد، وإن تجاوزه فهو غير قاصد لهذا التجاوز، فهو لا يصدر عن حكمة، ولا يعدو فهم رسالته مدى أبعـد من ظاهره، وإن حاول اللعب باللغة والدلالة، فإنه غير مسؤول عن الناتج، وهو غير مؤاخذ به؛ لأنه- غالبا- يصدر عن جهل، وعدم إدراك المرامي التامة للكلام. بينما النـــاص / المخـــاطب يصدر عن حكمة، وقصد (كلي/ جزئي) ؛ أي يصدر عن إدراك كامل لدلالة (نصـــه/خطابـــه) وهو مسؤول عن فعله في إطاره (التواصلي/ التداولي) ، ومسؤول عن محتوى الرســـالة فـــي حضوره، وفي غيابه، على حد سواء. فالرسالة كافية لتكون حجة عليه؛ إذ هي مكتملة من جهة، فلا مجال له ليزيد أو ينقص فيها[هذا القول ربما يعترض ظاهرا مع فكرة الناســـخ والمنســـوخ

٢- النص في الثقافة الغربية

(سيعرض البحث لمفهوم بارت للنص)؛ إذ مفهومه للنص يتفق اتفاقا شبه تام مع ما تُوصل إليه من مفهوم للنص في الثقافة العربية، فبعد أن سرد بارت التعريف العام للنص، من "أنه السطح الظاهري للنتاج الأدبي، نسيج من الكلمات المنظومة في التأليف، والمنسقة، بحيث تفوض شكلا ثابتا، ووحيدا ما استطاعت إلى ذلك سبيلا"[1] يقول: إنه- أي النص- يشاطر الأثر الأدبي هالته الروحية (علو المصدر) وهو مرتبط

والمطلق والمقيد والعام والخاص، في علوم القرآن] ولا مجال لينفي عنها ما هو محتمل فيها أيضا؛ إذ هو حكيم، قد وضع كل لفظ في مكانه الصحيح، حسب مراده، ووضع كل تركيب في سياقه، وهو مدرك في الوقت ذاته لحقيقة الوعي الجمعي، الذي يحيط به، وطبيعته؛ لذا فإنّ (خطابه/ نصه) يحوي أفكاره، ومعانيه، ومغازي قوله، بدلالته الكاملة، بلا زيادة، أو نقصان، فلا يحق له بعد ذلك أنْ يعدّل في محتوى الرسالة؛ كأن يقول إنّ المعنى الذي فُهم من ذلك اللفظ غير مقصود عندي، أو إنّ ذلك التركيب لا يحتمل ما تحتمله اللغة. فكل ما صدر من الحكيم مقصود ضمن قواعد اللغة في الدلالة.

هذه الحكمة، هي الحد الفاصل بين الكلام والخطاب، وبين النص والكتابة، وهذا ما لم يلتفت إليه النصيون الغرب[يقول بول ريكور: لنطلق كلمة نص على كل خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة] **(نقلا عن فضل ص٢٣٧)** وتابعهم فيه العرب[**فضل ص٢٣٧]**، فأدخلوا في علم النص أمورا غير لغوية، فبنَوا عليه، أنّ علم اللغة النصي، علم عبر لغوي؛ أي تدخل فيه علوم أخرى ليست منه، وليست لغوية أساسا.

ومن هنا عولوا على فهم عالم النص بمقابلته بعالم الواقع بمعنى أنهم عولوا على فهم النص من اللغة، ومن خارجها؛ ذلك لما نظروا إلى الدلالة، فوجدوا أنّ اللفظ- من حيث هو لفظ- له قرائن يستحيل فهمه، إلا من خلالها. وهذه القرائن ليست مطابق اللفظ دلالةً، فاعتقدوا أنها غير لغوية، وهذا خطأهم الكبير، نقول هذا؛ لأنهم في مجمل ما درسوا، كانوا يدورون في فلك الدلالة، ونظرا لكون الدلالة تنقسم عقلا إلى ثلاثة أقسام، هي: المطابق، والمتضمن، والملازم. وقد أشاروا إليها في مظان كتبهم على خلط كبير، فهم يرون أن المعنى المعجمي هو الدلالة اللغوية، وأن المعنى السياقي هو غير لغوي**[انظر علم اللغة النص، بحيري ص٧٤]**.

[1] دراسات في النص والتناصية: محمد خير البقاعي، ص ٢٦

يشاطر الأثر الأدبي هالته الروحية (علو المصدر) وهو مرتبط تشكيلا بالكتابة (الظهور)وهو الذي يوجد الضمان للشيء المكتوب جامعا وظائف صيانته: الاستقرار (التركيب والترتيب) واستمرار التسجيل الرامي إلى تصحيح ضعف الذاكرة، وعدم دقتها. فالنص سلاح في وجه الزمن والنسيان(الثبات) وفي وجه براعات القول الذي يستدرك ويخلط (الاقتصاد) ويتنكر بسهولة تامة، وهو مرتبط تاريخيا بعالم بأكمله من النظم في القانون والدين والأدب والتعليم (الاستقصاء التام)؛ إذ هو "موضوع أخلاقي؛ أي الكتابة حين تشارك في العقد الاجتماعي. إنه يفرض نفسه، ويطالب بأن نطيعه، وأن نحترمه"[1].

وقد يقود هذا المذهب، في تحديد مفهوم النص، الذي نوافق بارت به، إلى مشادات منطقية، من أولئك الذين بينا أنهم يؤمنون بأنّ النص، هو: كل ملفوظ تم تثبيته بواسطة الكتابة[2]، دون الالتفات إلى تلك الخصائص المميزة له، التي بينت سابقا، بل وجدنا من يرى أنّ خصائص النص هي خلاف ما نقول به ونجزم[3]، بل إنّه يعترض على مفهوم بارت له أيضا، وإن لم يشر إليه؛ إذ إنّ بارت يفرق تماما بين العمل والنص، ويؤكد أنّ الأعمال الأدبية (الكتابية) تغص بها رفوف المكتبات، في حين

---

(1) المرجع نفسه ص ٢٦-٢٧ طبق هذه المعلومات على النص القرآني لا بد من أنها تنطبق جميعا عليه.

(2) نسيج النص: الأزهر الزناد، ص: ١٢. وانظر: تحليل الخطاب وعلم النص: صلاح فضل ص ٢٣٧

(3) ممن تبنى فكرة أن أي متتالية جملية تحمل أدوات ربط فهي نص أ. ي هاليداي ورقية حسن؛ إذ قام بحثهما الاتساق في اللغة الإنجليزية "Cohesion in English" الصادر في لندن عن دار long-man على فكرة وجود اعتبارات لغوية تجعل الخطاب نصا. انظر: الحاضر الغربي ونحو النص: ص٤٩ وما بعدها من هذه الدراسة.

أنّ النصوص نادرة جداً[١]، هذا من جهة. ولو أخذنا بوجهة النظر هذه[٢]، من جهة ثانية، فإنّ علم النص ونحوه ما هو إلا إعادة تبويب، لما قام القدماء (علماء النحو التقليدي) بتصنيفه، بتحويرات وتعديلات.

ونقر – في هذا المقام – بأنّ نظرية النص، قد ضمت مكونات سابقة: صوتية وصرفية ونحوية ودلالية وأسلوبية،ثم تجاوزتها[٣]. ونؤكد أنّ نظرية النص قد" فعّلت بعض الاعتبارات النحوية التي نقلت من نحو الجملة إلى نحو النص، على أساس أنها لم تعد تجد اهتماما في نحو الجملة، وهي اعتبارات تتعلق في المقام الأول، بما وراء الجملة، من علاقات، ووسائل ربط، وتماسك، وهذا ما أكده أكثر علماء النص. فلا اعتبار لأي نحو للجملة، إلا إذا كان جزءا من نحو النص"[٤] ولكن في الوقت ذاته، لا نقر بأنّ مجموع نحو النص ونظريته، هو هذه الاعتبارات المبثوثة في كتب النحو التقليدي في أبواب مختلفة. فنحو النص ليس جمعا لتلك الاعتبارات في فصل واحد، أو كتاب؛ بمعنى أن نحو النص، ليس إعادة تبويب لما تم تصنيفه، كما أنه ليس جزءا من نحو الجملة، بل العكس هو الصحيح.

وقد يُظن أن يكون هذا مؤديا إلى جعل الأعم الأغلب، مما نسميه نصوصا، غير نص. فينحصر العلم في زاوية ضيقة، وهي زاوية

---

(١) انظر: دراسات في النص والتناصية: ترجمة محمد خير البقاعي، مركز الإنماء الحضاري- حلب، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ص ص ١٢-١٣. مصدر الترجمة: De Loeuver au texte, Roland Barthes, in Le Bruissement de la langue, Seuil, 1984.

(٢) أي وجهة نظر هاليداي ورقية حسن التي تحدثنا فيها سابقاً.

(٣) علم اللغة النص: سعيد بحيري، ص ٧٦. وانظر: تحليل الخطاب وعلم النص: صلاح فضل، ص ٢٣٨.

(٤) علم اللغة النص: سعيد بحيري، ص ٨١-٨٢.

المكتوب الديني، وليس كله؛ إذ السنة مثلا، لم ترو بلفظ ثابت، وإنما الثابت منها المعنى، في الأعم الأغلب. وزاوية المكتوب القانوني، وليس كله أيضا؛ إذ إنّ الذي ثبت من المكتوب السياسي، القوانين فقط، بينما بقية المدونات السياسية، تروى بالمعنى، دون ثبات اللفظ فيها. مما يؤدي إلى إغفال أغلب المدونات اللغوية، وحصر علم اللغة النصي، في نصوص محدودة، قليلة، فقد يقال تعقيباً: نحن نحتاج إلى علم لغة يفسر اللغة كاملة، لا أجزاءً منها. وقد يقال بناءً على ما تقدم إنّ الحكمة، نسبية من ناحية، وغير قابلة للإثبات، من ناحية ثانية، وهنا يمكن أن نُخرج من بوتقة النص، النص القانوني الثابت؛ لأن الحكمة فيه نسبية، وليست مطلقة، وظنية وليست متيقنة. فلم يبق، إلا النص الديني، وهو نص من حيث حكمته نسبي أيضا؛ إذ هو حكيم، لمن آمن به، وليس كذلك، لمن كفر به وجحد، وهذا القول عام، دون تحديد نص ديني بعينه. وعلى ذلك، يمكن أن يظن أنّ دراسة النص، هي دراسة مستحيلة واقعا، غير قابلة للتحقق إلا في المثال، وهي بنية ذهنية خالصة، على افتراض وجود مثل هذا النص المثالي.

أقول في درء هذه الظنون إنّ مقولات بارت، في هذا السياق، كافية للرد على هؤلاء، الذين يريدون أن يجعلوا كل متتالية جملية خطية نصا[1]. أما قولهم من تقليص النصوص، بحيث لا يعود علم النص قادرا على استيعاب جميع اللغة. فنجيب عنه بأن نحو النص منهج ينطبق تماما، على النصوص، وهذا الانطباق لا يمنع أن تطبق مبادئ وقواعد هذا العلم، على العمل الأدبي حسب مصطلح بارت أيضا؛ إذ فرق كبير بين كنه

---

(1) مزيد من التوضيح، انظر: مقالة بارت من العمل إلى النص في كتاب دراسات في النص والتناصية ت: محمد خير البقاعي، ص ٩-٢١.

الشيء وفوائده. وأقرب مثال على هذا البنيوية التي أوجدها دوسوسير... فقد نشأت لتطبق على الكلام، ولكنها، فيما بعد، طبقت على الملفوظ والمكتوب، الآني والتعاقبي، مع أنها في أصلها أوجدت للتعامل مع الملفوظ؛ أي الآني فقط. أما قولهم أن النص سينحصر قسرا في النص الديني والقانوني، فإن هذا أيضا، مما قرره بارت في نظرية النص؛ إذ يقول: "إذاً، إنَّ مفهوم النص مرتبط تاريخيا بعالم بأكمله، من النظم والدين والأدب والتعليم"[1] والفكرة هذه ليس وليدة لحظتها عند بارت، ولكنها موجودة في ثنايا الفكر الغربي الفلسفي[2]. أما قولهم بنسبية الحكمة، فالمنطق يتطلبها؛ إذ أجمع القدماء على أن الجملة والعمل قبل النص، يطلبان افتراض الحكمة؛ لأنه بدون القصد والحكمة يصبح الفهم مستحيلا[3]، والنص يفترق عن العمل بأنه يتطلب قدرا أكبر من الحكمة؛ إذ هو وعي جمع لا وعي فرد، وبعبارة أدق، يتطلب إدراكا تاما للغة في مستويي الكلام الدال الفردي، واللسان المدلول الجمعي[4] والفرق بين ما نقول به ورأي دوسوسير، أنّ دوسوسير يؤمن أنّ اللسان لا يملكه فرد بعينه؛ ولذا لن يتحقق النص، في أي من أفراد مجتمعه. ولكن نحن نحور فكرته في قالب آخر، وهو بما أن الأمة أجمعت على نصيّة هذا النص، أو

---

(1) نظرية النص: رولان بارت، من كتاب: دراسات في النص... ت: محمد خير البقاعي، ص٢٧.

(2) انظر ما بعد الحداثة انفجار عقل أواخر القرن. النص: الفسحة المضيئة، سامي أدهم، دار كتابات: بيروت- لبنان ص ١٣١-٢٢٠.

(3) انظر: نهاية السول (١/١٥٨-١٥٩) نقلا عن منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي.

(4) انظر: موضوع الألسنية، دوسوسير،ص٤٥ مجلة الفكر العربي العدد ٨-٩ لعام ١٩٧٩.والفرق بين ما نقول به ورأي دوسوسير، أن دوسوسير يؤمن أن اللسان لا يملكه فرد بعينه، ولذا لن يتحقق النص في أي من أفراد مجتمعه، ولكن نحن نحور فكرته في قالب آخر، وهو: بما أن الأمة أجمعت على قداسة هذا النص أو تعاقدت على ذلك، فإنّ الوعي الجمعي ذاته هو الذي حقق نصية النص، لا منتجه الفردي، حسب مقولات البنيويين.

تعاقدت على ذلك، فإنّ الوعي الجمعي ذاته، هو الذي حقق نصية النص، لا منتجه الفردي، حسب مقولات البنيويين. ونحن ندرك هنا تماما أنّ هذا المذهب يقودنا إلى أن النص سابق للذات المتكلمة، وهذا الفهم له ما يؤيده في الفكر الغربي، يقول سامي أدهم نقلا عن فلاسفة الغرب: "ليس الخطاب(=النص) منطقا فقط، بل هو الآخر، الذي يُكوّن الذات، ويتماهى معها، فليست البداية الأصلانية هي الأنا الصافي، أو أنا=أنا كما ظن بذلك فيتشه. فالأنا الصافي لا تحمل في البداية شيئا، ولا تستطيع أن تمتد إلى خارج الذات؛ لتلقي بمبادئها في الآخر، البداية هي الآخر، وليس الأنا كما اعتقدت بذلك فلسفة الحداثة، منذ ديكارت، بل البداية في النصوص، بكل أنواعها، وهي التي تُكون الأصلانية المتجذرة في الإنسان "[1].

أما قولهم بخصوصية النص بالنسبة للمؤمنين به، وليس للجاحدين، فدراسة النص دراسة مستحيلة فنقول: إنّ النص بالنسبة للطرفين المؤمن به، والجاحد له، على السواء نص؛ ذلك أنهما يسلمان بحكمة لغة الناص، المتأتية من إدراكهما أنها تعبر عن وعي كلي شمولي، منضبط بخصائص الثبات، والظهور، والاستقصاء التام، والترتيب، والتركيب، والاقتصاد؛ أي أنها تحتوي في ذاتها خصائص نصية النص، ولا يجلبها من متلقيه، ونحن نتحدث عن حكمة البناء والسبك، وليس عن حكمة المعلومة المقدمة، مع أنه يستحيل عقلا، أن نؤمن بحكمة مجزأة؛ أي حكمة في جانب التركيب والترتيب، ولا حكمة في جانب المعنى والمضمون، فما دمنا نؤمن بحكمة التركيب والترتيب، فلا بد من أن نؤمن

---

[1] ما بعد الحداثة: سامي أدهم، ص: ١٤٥.

بحكمة المضمون أيضا[1]؛ لأن كلا الحكمتين لا تنفصل عن أختها، إلا في إطار الدراسات التعليمية فقط، أما واقعا فلا فصل. هذا من جهة، ومن جهة ثانية فالنص يكتسب نصيته من خلال وعي جمعي، وليس من خلال وعي إنساني، فعلم النص دراسة النص في إطار منظومة فكرية وثقافية محددة، وليس في إطار ثقافة إنسانية عامة؛ إذ العلم المخصص لدراسة هذه الظاهرة، هو علم اللغة العام، أما علم اللغة النصي فيدرس النص في إطار بيئته التي نصبته نصا، وشهدت له بالنصية؛ إذ هو يخاطب وعيها الجمعي، وعقدها الاجتماعي، وقيمها المتبعة ...

(١) يرى الباحث هذا الرأي؛ لأنه يفصل بين العمل الأدبي والنص. فالذي يؤمن بحكمة لغة النص. دون أن يؤمن بصدق مضمونه لا يعده نصا وإنما عملا أدبيا وكذلك الذي يؤمن بحكمة مضمون النص دون أن يؤمن بحكمة لغته يعده عملا أدبيا. والمقصود بالمضمون هنا ليس الفكرة المقدمة أو المعلومة؛ إنما المقصود أنّ الناص قدم فكرته بترتيب وتركيب كما قصد هو؛ بمعنى أنّ الذي قصده الناص ذات المعنى الذي وصل أو هو جزء مقصود منه حين تتعدد القراءات. بمعنى أن الناص لم يغفل المضمون الذي يريد، واحتمالات الفهم حين قدم التركيب. فعليه فإنّ دوسوسير مثلا لو أدرك العربية وسئل عن تركيب في القرآن فإنه لن يصل إلى نقيض ما توصلنا إليه، ولن يجد في مضمونه ما يناقض ما توصل إليه المؤمن به وإن أراد أن لا يؤمن بما قدم الناص من مضمون.

الخلاصة

يمكن لنا الآن أن نصل إلى مجموعة ملاحظات مركـــزة تحـــدد مرادنا من هذه المقدمة الأولى؛ إذ حاولنا فيها:

* بيان خطأ دارسي النص من الباحثين العرب المعاصرين، ذلك أنهم ظنوا أنّ مفهوم النص مرتبط بالظهور والانكشاف فقط، في الثقافـــة العربية.
* توضيح الخلط القائم بين مفهوم النص في الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية، وعلاقة هاتين الحقيقتين بالمصطلح.
* عرض إدراك العرب لمفهوم النص، الذي تبنته الثقافـــة الغربيـــة الحديثة؛ إذ لم يختلف مفهوم النص في الثقافة العربية، عنـــه فـــي الثقافة الغربية، إلا في وجود المصطلح في الأخـــيرة وفقـــده فـــي الأولى.
* أدرك علماء العرب القدماء الخصائص المحددة للنص إدراكا تامـــا، ضمن الحقيقة اللغوية، في حين لم يدرك المتقدمون هذه الخصائص في ثقافتهم النحوية، بل استجلبوها من الفكر الغربي. وبناء على هذا بقيت الثقافتان العربية، والغربية، في مجملهما، تميزان بين العمـــل الأدبي والنص. وأفرز هذا التمييز متشددين ومتساهلين في تحديـــد مفهوم النص في الفكرين: العربي والغربي.

(٢)
التراث العربي ونحو النص

* مدخل

سيحاول البحث في هذه المقدمة الثانية، أنّ يوضح علاقة التراث العربي بنحو النص، خلال ثلاث حقب تاريخية متباعدة، أولها: في القرن الخامس الهجري، وثانيها: في القرن التاسع الهجري، وثالثها: القرن الرابع عشر الهجري؛ أي في العصر الحديث، مرة قبل ظهور مصطلح نحو النص، ومفهومه، في الأوساط الثقافية العربية عامة، والأوساط اللغوية خاصة، ومرة بعد ظهور هذا المصطلح وتفشيه في أوساط المثقفين واللغويين.

أما الكتب التي ستتعرض لها هذه المقدمة الثانية، فهي: دلائل الإعجاز في علم المعاني، لعبد القاهر الجرجاني، المتوفى سنة ٤٧١ هجرية، وتفسير البقاعي: الموسوم بنظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر البقاعي، المتوفى سنة ٨٨٥ هجرية، وتفسير الأساس: المعروف بالأساس في التفسير، لسعيد حوى، الذي ألفه سنة ١٣٩٨ هجرية، وصدرت نسخته الأولى، سنة ١٤٠٥ هجرية، وكتاب النص القرآني لوليد منير الذي صدر سنة ١٤١٨هجرية عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي في القاهرة.

وكان سبب اختيار البحث لهذه الكتب بالتحديد، من بين ذلك الكم الهائل من كتب التفسير، والدراسات القرآنية[1] أموراً عدّة، أولها: أنها تمثل حقبا مختلفة في تناول الموضوع بالبحث. ثانيها: أنها تحدثت في قضايا بارزة في نحو النص. ثالثها: أنّ البحث لم يجد من الدارسين العرب من تنبه إلى الكتب الثلاثة الأخيرة في هذا المضمار.

أما سبب اختيار سفر الجرجاني هذا، مع أنه لم يكن كتابا في التفسير، في حين أنّ الكتابين التاليين له، اللذين سيتناولهما البحث بالدراسة من كتب التفسير، فعائد أولا، إلى كون كتاب الجرجاني من أوائل الكتب التي ربطت بين علم اللغة والتفسير، مع قرب شديد من مفاهيم نحو النص، كما عرضته الدراسات المعاصرة، فهو يعد بحق - من وجهة نظرنا - مصدرا، وعمدة في هذا الباب، فإغفاله تفويت لخير كثير. وعائد ثانيا إلى أنّ البحث لم يجد كتابا بعده، في التفسير النصي - إن جازت لنا العبارة - لم يتأثر به، ابتداءً من الكشاف للزمخشري (ت ٥٢٨ هجرية) الذي يعد عمدة في توظيف علم اللغة، والمباحث البلاغية، في تأويل النص القرآني، بما يحقق الترابط بين آياته. وقد تركنا الحديث في مباحث الكشاف، رغم أنه تفسير عمدة في هذا الباب؛ لأن محمد الخطابي، قد عالج هذا الكتاب في (لسانيات النص) بالإضافة إلى كتب أخرى، منها: تفسير الرازي، وبرهان الزركشي، وكتابا السيوطي: الإتقان وتناسق الدرر، وربما كان هذا سببا وجيها يسوّغ ترك البحث لهذه الكتب، وإسقاط الترجمة لها في هذه المقدمة، وربما يكون السبب الأوجه، أنّ البحث مهما

---

[1] تجاوز المطبوع من التفاسير فقط المئتي كتاب، ناهيك عن المخطوط.

بلغ من قوة، وجمع، وتمكن، فلن يستطيع الإلمام بكل جوانب الدراسات التي قدمت خدمة للنص القرآني؛ إذ ما من كتاب خُدم الخدمة التي حظي بها القرآن الكريم على مر الزمن، فالاختيار شرط أساس في تحقق البحث.

ويمكن للبحث - الآن - الولوج إلى عوالم تلك الكتب الأربعة؛ من أجل تسليط الضوء على بعض مباحثها، التي تتعلق بمفهوم نحو النص تحديدا، ونبدأ بها ترتيبا زمانيا، كما يلي:

١- الجرجاني ونحو النص

كان فضل الجرجاني كبيرا في دراسة موضوعات تتعلق بنحو النص، وبيان آليات انسجامه. ولا نشير هنا إلى دراسته موضوع الحذف والذكر، والتقديم والتأخير، والحقيقة والمجاز، والاستعارة والكناية، والتعريض؛ إذ هي موضوعات مرتبطة بجودة النص، وأثره في المتلقي، وتؤثر في تمايز النصوص بعضها من بعض، ولا ترتبط بموضوع كيفية بناء النص، من حيث هو نص، وقوانين إنشائه مباشرة، وإن كانت ذات أثر فاعل في تحديد مفهوم النص ذاته. ومع أنّ كثيرا من الدارسين رأوا في دراسة تلك القضايا، في دلائل الإعجاز وعيا من الجرجاني بنحو النص، والبحث يقرهم على ذلك، إلا أنهم تعسفوا في تأكيد قصديته دراسة هذا الموضوع، دون غيره، بصرف همه إليه، ويظهر ذلك جليا، في مقدمات دراسات أولئك الباحثين من العرب، الذين عنوا بنحو النص[١].

---

[١] الخطابي والفقي وفضل وغيرهم.

وقد كان لإدراك الجرجاني لطبيعة علم النحو أثرٌ بارزٌ - من وجهة نظر البحث - في خدمة نحو النص، وفهم النصوص، فهما علميا دقيقا، وما كان حديثه في بعض جزئيات نحو النص، كحديثه في الفصل والوصل - الذي يعد نموذجا بارزا لما يجب أن يبحث فيه هذا العلم، وليس هو كل نظرية نحو النص، ضمن فهم الجرجاني لعلم نحو النص بمصطلحه المعاصر - إلا إبرازا لموضوع ظاهر من مواضيع هذا العلم. وربما لم يقدم كتاب الدلائل كاملا، أكثر من نظرية جديدة لعلم النحو، وسيكون الدليل على صدق هذه الدعوى، ما قدمه الجرجاني ذاته، في الدلائل، حيث قال: "وأعلم أن ليس النظم (أي صناعة النص)[1] إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه، وأصوله، وتعرف مناهجه، التي نُهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها. وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه، غير أن ينظر في وجوه كل باب، وفروقه[2]".

يظهر جليا أنّ الجرجاني يرى أنّ النص لا يتكوّن إلا حسب قوانين النحو، ومناهجه، وهو هنا يدرك تماما أنّ علم النحو، ليس نحو الجملة فقط؛ إذ يرى أنّ نحو الجملة جزء يسير من علم النحو. ويؤكد هذا الفهم، ما أكمل به الجرجاني كلمته، فقال: "فينظر في الخبر... وفي الشرط والجزاء... وفي الحال... فيعرف لكل ذلك مواضعه، ويجيء به حيث ينبغي له"[3] فهذا هو الجزء من علم النحو، الذي يمكن تسميته بـ "نحو الجملة"، ضمن مفهوم الجرجاني، ولكنه يرى أنّ في علم النحو

---

(1) الكلام الذي بين قوسين للباحث.

(2) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص ٧٠.

(3) المرجع نفسه، ص ٧٠ .

أجزاء أخر، وذلك في قوله: " وينظر في الحروف، التي تشترك في معنى، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى، فيضع كلا من ذلك في خاص معناه..."(١) وهذا الجزء من علم النحو، هو أشد الأجزاء التصاقا بالأول، ولكنه يعد توسعة له؛ إذ يوضح ما يرتبط بالجملة ارتباطا أصليا، بعد تمام أركانها الأساسية: المسند والمسند إليه، مع أننا نرى أن الحال بأشكاله، المختلفة والمفاعيل بأنواعها، والتمييز، والتوابع... من هذا الجزء، وليس من نحو الجملة، بل هو ما يمكن أن نطلق عليه "نحو ما فوق الجملة"(٢) ثم يعطي الجرجاني جزءا ثالثا، من أجزاء علم النحو - كما يراه- وذلك إذ قال: " وينظر في الجمل، التي تسرد، فيعرف مواضع الفصل فيها، من مواضع الوصل..."(٣) وهذا الجزء هو الجزء الثالث، من أجزاء علم النحو، وهو الجزء الأساسي في نحو النص؛ لأنه المميز الحقيقي لنحو الجملة عن نحو النص؛ إذ فيه يتجلى ربط المتتاليات الجملية، التي تشكل النص الكلي، ومن خلاله نوضح تماسكها(٤). ثم يذكر جزءا رابعا من أجزاء علم النحو، وذلك في قوله: "وينظر في التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار، والإضمار والإظهار، فيضع كلاً من ذلك مكانه، ويستعمله على الصحة،

(١) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص ٧٠

(٢) نقصد بنحو ما فوق الجملة نحو المتعلقات والمنصوبات، وليس ما ذهب إليه بعض علماء نحو النص أنه مساوٍ في المفهوم لنحو النص.

(٣) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص ٧٠

(٤) يظهر جليا أنّ ما قام في أذهان القدماء من نحو النص هو موضوع الوصل والفصل كتجلٍ حقيقي لهذا النحو؛ فلا تجد من القدماء من التفت إلى الربط بين المتتاليات الجملية والمواضيع المختلفة إلا نظر في الوصل والفصل. في حين اختلفوا فيما وراء ذلك كالتقديم والتأخير والتكرار والحذف والإضمار.

وعلى ما ينبغي له"[١]. وهذا الأخير من أجزاء النحو، هو الذي يقاس به تمايز النصوص بعضها من بعض؛ إذ هو المُظهر لوعي الناص، أو الناظم، في ترتيب كلامه، حسب توالي المعاني في النفس - من جهة - وتأثيره في المتلقي - من جهة ثانية كان هذا هو الذي أكدّ الجرجاني أنه مدخل الإعجاز القرآني، وقد صرح بهذا المعنى، عندما كان يرد على أولئك الذين استصغروا أمر التقديم والتأخير، فشنع عليهم، ثم قال: "وكذلك صنعوا في سائر الأبواب فجعلوا لا ينظرون في الحذف والتكرار، والإظهار والإضمار، والفصل والوصل، ولا في نوع من أنواع الفروق والوجوه، إلا نظرك فيما غيره، أهم لك... وليت شعري، إن كانت هذه أمورا هينة، وكان المدى فيها قريبا، والجدى يسيرا، من أين كان نظم أشرف من نظم، وبمَ عظم التفاوت، واشتد التباين، وترقى الأمر إلى الإعجاز، وإلى أن يقهر أعناق الجبابرة؟[٢]".

يجدر بالبحث، أن يثبت أنّ منهجية الجرجاني عند نظره في نصوص اللغة، قائمة على هذا التقسيم؛ أي أن يبدأ دارس النص بنحو الجملة، فيثني بنحو ما فوق الجملة، ثم يعرج على نحو النص؛ ليصل منه إلى نحو الأسلوب[٣] (أو نحو الاختيار) كما وصفه الجرجاني ذاته في دلائله، ذلك لكون ضم الجمل بعضها إلى بعض، لا يحقق المراد من هذا العلم بالعطف، في إشارة إلى أنّ الجزء الثالث من علم النحو، ليس هو الغاية منه، ولا يشكل مزية في النصوص، وإن صح ذلك الربط، إذ قال:

---

[١] دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص ٧٠.

[٢] دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص ٨٧.

[٣] نرجو ألا يكون المتبادر أن نحو الأسلوب هو علم الأسلوب أو ما يعرف في علم النقد الأدبي بالأسلوبية، إذ الفرق بينهما كبير.

"وأعلم أن من الكلام، ما أنت تعلم إذا تدبرته، أن لم يحتج واضعه إلى فكر وروية حتى انتظم ...وذلك، إذا كان معناك، معنى لا يحتاج أن تصنع فيه شيئا غير أن تعطف لفظا على مثله... [1] فما كان من هذا وشبهه لم يجب به فضل؛ إذا وجب بمعناه، أو بمتون ألفاظه، دون نظمه وتأليفه، وذلك؛ لأنه لا فضيلة، حتى ترى في الأمر مصنعا، وحتى تجد إلى التخير سبيلا، وحتى تكون قد استدركت صوابا[2]".

ويشير البحث هنا إلى أنّ جهوده ستنصب على الأجزاء الثلاثة الأولى من علم النحو؛ أي على نحو الجملة، ونحو ما فوقها، ثمّ نحو النص، وسيترك النظر في نحو الأسلوب لعدة أسباب، أولها: ما قيد الباحث به نفسه، من أنه سيدرس نحو النص، وليس علم النحو في النص القرآني. ثانيها: أن البحث في نحو الأسلوب سيدخل الباحث في علوم أخرى، تتصل بالتأويل، وخلافاته، ومناهجه، وترجيحاته، مما يطيل الرسالة دون فائدة للبحث. وثالثها: أنّ البحث يزعم أن قوانين نحو النص: الكلية، والجزئية، لم تدرك بعد، ونحو الأسلوب قائم على نحو النص؛ إذ هو بابه، ومدخله، كما أنّ نحو ما فوق الجملة، باب نحو النص، ومدخل نحو ما فوق الجملة، هو نحو الجملة، وإن كانت الجهود والأفهام مضطربة في هذه الأبواب، إلا أنها قد درست في النحو التقليدي تحت باب نحو الجملة، في علم النحو، والمرام فيها هو الفصل، وإعادة التبويب، ليس غير. فلا صعوبة معها في الوصول منها إلى نحو النص. والصعوبة كامنة في ربط نحو النص بما قبله، وصولا منه إلى نحو الأسلوب؛ ذلك

---

[1] يذكر هنا نصا للجاحظ وما بعد الحذف تعليق عليه.

[2] دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص ٨٠.

أنّ نحو النص غير مستقر المنهج، ولا القوانين والاستراتيجيات، فالولوج منه، مع الجهل به، إلى نحو الأسلوب مستحيل.

٢- البقاعي ونحو النص

يعد كتاب البقاعي، من أبرز الكتب، التي التفتت إلى قضايا نحو النص، على مستوى التطبيق، في التراث العربي، رغم عدم الإشارة إليه من المحدثين، إلا نادرا(١). فلا أظن أن كتابا سبقه، في مضمار الربط بين الجمل، في المتتالية النصية، سواء على مستوى ربط السورة الواحدة، أو ربط السور المتتالية، والمتباعدة، حتى أنه ربط الناس بالفاتحة، وما بعدها، ولم يأل جهدا في ربط ما بينهما، وهذا ينفي دعوى سعيد حوى، في أنه غير مسبوق، وأن البقاعي قد جهد لربط السورة الواحدة، دون ربط السور ببعضها؛ إذ يقول البقاعي في حديثه في سورة الناس: "ومقصود هذه السورة، معلول لمقصود الفاتحة، الذي هو المراقبة، وهي شاملة لجميع علوم القرآن، التي هي مصادقة الله ومعاداة الشيطان، ببراعة الختام، وفذلكة النظام، كما كانت الفاتحة شاملة لذلك؛ لأنها براعة

---

(١) فقد وجدت إشارة واحدة لهذا الكتاب وفضله في كتاب الأساس في التفسير لسعيد حوى حيث يقول: "...ندرك أنّ علماءنا قد دندنوا حول ضرورة البحث في الصلة والمناسبة بين الآيات في السورة الواحدة بل كان البقاعي الذي يطبع تفسيره الآن ولم أطلع عليه يلوم علماء بغداد إهمالهم الكلام في هذا الشأن" **[الأساس في التفسير ص ٢٤]** والمدقق في هذا النص المنقول عن سعيد حوّى يدرك مباشرة أنه قد اطلع على سفر البقاعي؛ إذ كيف نجمع بين عدم اطلاعه عليه ونقله عنه. مع العلم أن سعيد حوى ينقل نصين قبل قوله (ندرك) استنتج منهما ما قد أدرك **[انظر الأساس:ص ٢٣-٢٤]** والنقلان موجودان في كتاب البقاعي **[مج ١ ص ٦-٧]** وليست قضيتنا هنا إثبات تأثر حوى بالبقاعي واطلاعه عليه، ولكن التنبيه إلى مغالطة منطقية ضرورة منهجية.

الاستهلال، ورعاية الجلال والجمال، فقد اتصل الآخر بالأول، اتصال العلة بالمعلول، والدليل بالمدلول، والمثل بالممثول"[1].

وقد ركز في تفسيره، على ربط الجمل بعضها ببعض، أكثر من عنايته بربط الجملة فيما بينها من عناصر، ولم يكن ذلك إنكارا منه لوجود الرابط؛ بل لأنه قرر، أنه أسهل تناولا من نظيره؛ أي أسهل من ربط الجملة بالجملة، فيقول: " وهذا العلم - يقصد علم المناسبات - يكشف أنّ للإعجاز طريقتين: أحدهما[2] نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب، والأول أقرب تناولا "[3].

ويقول في توضيح الفكرة الثانية : " والذي نبغي في كل آية، أن يبحث أول كل شيء، عن كونها تكملة لما قبلها، أو مستقلة، ثم المستقلة، ما وجه مناسبتها لما قبلها "[4].

ويعلن أنّ الأسلوب هو الترتيب المخصوص في نظم الآي، فيقول متبنيا ما نقله الأصفهاني[5] من رأي الرازي، في سورة البقرة: "ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة- يقصد البقرة- وفي بدائع ترتيبها، علِم أنّ القرآن، كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضا بسبب ترتيبه، ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: معجز بسبب أسلوبه، أرادوا ذلك"[6].

---

(1) نظم الدرر: مج٨، ص ٦١١.

(2) هكذا اللفظ في النظم والأصل أن يقال: طريقتين إحداهما...

(3) نظم الدرر: البقاعي مج١، ص ٧.

(4) نفسه، مج١ ص ٦.

(5) هو محمود بن عبد الرحمن الشافعي صاحب تفسير الأصفهاني توفي سنة ٧٤٩هجرية.

(6) نظم الدرر، مج١، ص ٦.

ويؤكد- كما أكد الجرجاني، في دلائله- أنّ المفسرين قصروا عن هذا الباب؛ لدقة مداخله، فيقول: "إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف، غير منتبهين لهذه الأسرار، وليس الأمر في هذا الباب، إلا كما قيل:

والنجم تصغر في الأبصار صورته فالذنب للطرف لا للنجم في الصغر"[١]

ويرى أنّ هذا العمل ليس عبثا، بل له ثمرة وفائدة؛ إذ يقول: "وثمرته- أي علم المناسبات- الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء، بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق، الذي هو كلحمة النسب، فعلم مناسبات القرآن، علْم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني، لما اقتضاه الحال"[٢].

ويحدد البقاعي طرق الوصول إلى تعلم هذا العلم، فيقول: "وتتوقف الإجادة فيه، على معرفة مقصود السورة، المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك، معرفة المقصود من جميع جملها؛ ولذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته إلى علم التفسير، نسبة علم البيان من النحو"[٣].

وينقل البقاعي في بداية سورة الفاتحة، عن شيخه[٤] منهج العمل في هذا العلم، فيقول: "الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع

---

[١] نفسه، مج١، ص ٦-٧.

[٢] نفسه، مج١، ص ٥.

[٣] نفسه ، مج١، ص ٥.

[٤] هو محمد بن محمد بن المغربي البجائي المالكي صاحب شرح جمل الخونجي في المنطق توفي سنة ٨٦٥هجرية .

القرآن، هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض، من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات، في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات، إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع، إلى الأحكام، واللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء العليل، يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها. فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك- إن شاء الله- وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية، في كل سورة، والله الهادي".[١]

والعمل الذي حاوله البقاعي، في هذا السفر، حاوله قبله نفر من علماء العربية، ولكن مع فارق أنّ أولئك، كانوا يتحدثون بالمسألة، كلما عَنَّ لهم شيء من تلك التناسبات، ولكن البقاعي – غير مسبوق – ألزم نفسه بمنهج ثابت؛ إذ حاول أن يربط كل سورة، بما قبلها وبما بعدها من السور، وكل آية بما قبلها وبما بعدها أيضا، كما أسلفت. وهذا منهج كان يستعمله المفسرون، عندما تكون حاجة ماسة، إلى مثل هذا الربط – من وجهة نظرهم– أو عندما يسألون عن علة مثل هذا الترتيب، في القرآن، ولكنهم- غالبا- كانوا ينصرفون عن مثل هذا المنهج في جل أعمالهم، منشغلين في تفسير النص آية آية، أو جملة جملة، وفي أقصى اعتبار موضوعات منفصلة، دون الولوج إلى عوالم النص الداخلية؛ لإحكام أجزائه بعضها ببعض- إن ترابطا كما فعل البقاعي، وإن تماسكا وترابطا، كما سيحاول هذا البحث. رغم أننا لا ننفي وصول البقاعي إلى كثير من تلك المبادئ التي تربط الفقرات، فقد كان ذا قرب شديد من موضوع

---

[١] نظم الدرر، مج١، ص ١١

ترابط الفقرات مع بعضها بعضا، فقد قدم في سورة البقرة هذا الترابط بقوله "وإن شئت قلت: مقصود هذه السورة وصف الكتاب فقط وما عدا ذلك فتوابع ولوازم"[١] وقد تنبه إلى عمل مبدأ الضدية في تناسب الآيات فقال:" ولما أردف البيان لأوصاف المؤمنين التعريف بأحوال الكافرين ... في معرض الجواب لسؤال مَن كأنه قال: هذا حال الكتاب للمؤمنين فما حاله للكافرين؟ {إنّ الذين كفروا} أي حكم بكفرهم ... وداموا على ذلك بما دل عليه السياق بالتعبير عن أضدادهم... ولما دل هذا الحال على أنهم عملوا ضد ما عمله المؤمنون من الانقياد كان المعنى {سواء عليهم...}"[٢] وتنبه إلى الانتقال بين الكلي والجزئي وحسن التقسيم فقال: "ولما افتتح سبحانه بالذين واطأت قلوبهم ألسنتهم في الإيمان وثنى بالمجاهرين من الكافرين الذين طابق إعلانهم إسرارهم في الكفران اتبعه ذكر المساترين الذين ألسنتهم خالفت قلوبهم في الإذعان وهم المنافقون... أي لما أرسلنا رسولنا انقسم الناس قسمين: مؤمن وكافر وانقسم الكافر قسمين: فمنهم من جاهر وقال: لا نؤمن أبدا، ومنهم من يقول..." [٣] وأدرك أثر المعادل للموضوع حين يكون محسوسا على ملموس فقال: "فلما علم ذلك كله وكانت الأمثال ألصق بالبال وأكشف للأحوال مثل حالهم في هداهم الذي باعوه بالضلالة بالأمور المحسوسة لأنّ التمثيل بها شأن عظيم في إيصال المعاني إلى الأذهان الجامدة وتقريرها فيها"[٤] وتنبه إلى حسن التهيئة والقديم قبل الولوج إلى غاية الخطاب ومراده فقال: "ولما ثبت بهذا البيان

---

[١] نظم الدرر، ص ٣٢.

[٢] نفسه، ص ٣٧.

[٣] نفسه، ص ٣٩.

[٤] نفسه، ص ٤٨.

عما للكافرين بقسميهم من الشقاوة مع تمام القدرة شمول العلم المستلزمان للوحدانية أنتج قطعا إفراده بالعبادة... فوصل بذلك قوله مقبلا عليهم بعد الإعراض عنهم عند التقسيم إيذانا بأنهم صاروا بما تقدم من ضرب الأمثال وغيرها من حيز المتأهل للخطاب من غير واسطة تنشيطا لهم في عبادته وترغيبا وتحريكا إلى رفع أنفسهم بإقبال الملك الأعظم عن الخضوع لمن هو دونه بل دونهم وبشارة لمن أقبل عليه بعد أن كان معرضا عنه بدوام الترفية..."[1] ثم نقل عن الحرالي قوله: "اعلم أنه كما اشتمل على القرآن كله فاتحة الكتاب فكذلك أيضا جعل لكل سورة ترجمة جامعة تحتوي على جميع مثاني آيها وخاتمة تلتئم وتنتظم بترجمتها. ولذلك تترجم السورة في عدة سور وسيقع التنبيه على ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى"[2] وذكر العطف على محذوف مفهوم من النص فقال: "ولما ذكر ما لهم ترهيبا اتبعه ما للمؤمنين ترغيبا فقال صارفا وجه الخطاب بالرحمة إلى نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم عاطفا على ما تقديره: فأنذرهم بذلك ولكنه طواه لأن السياق للاستعطاف"[3] وتنبه إلى السبب والنتيجة فقال: "فلو ترك التمثيل بها (الأمثال) لذلك لانسد ذلك الباب الذي هو من أعجب العجاب فقال تعالى على طريق الاستنتاج من المقدمات المسلمات: إنّ الله لا يستحيي ..."[4] ربما هذا كله يومئ بوجود مجموعة من المبادئ العامة في ذهن البقاعي تحكم النص في تعلق فقراته بعضها ببعض منها مبدأ التضاد، ومنها التقديم للخطاب وختمه الداخل في مبدأ حسن التقسيم، ومنها مبدأ الموضوع ومعادله، ومنها مبدأ الاستنتاج

---

[1] نفسه، ص ٥٣.

[2] نفسه ،ص ٥٤.

[3] نفسه، ص ٧١.

[4] نفسه، ص ٧٥.

حسن التقسيم، ومنها مبدأ الموضوع ومعادله، ومنها مبدأ الاستنتاج من المقدمات، ومنها مبدأ العطف على السياق، ومنها مبدأ الانتقال بين الكل والجزء، وجعل نظام ذلك كله مبدأ التتبع والملازمة.

وتجدر ملاحظة أنّ البقاعي لم يستطع- رغم منهجيته في الوصول إلى المعنى أو الحكم، من خلال تتبع الجمل المتتالية، وصولا إلى رابط معنوي بينها؛ أي من خلال منهجية لغوية خالصة – تجاوز معرفة العالم؛ كتخصيص اللفظ العام لغة، بالرجوع إلى السنة أو السيرة أو التاريخ؛ أي لم يستطع تجاوز الأحكام المبثوثة في كتب التفسير التي سبقته، وأبرز ما يؤكد هذا حديثه في تأويل قصة آدم عليه السلام في سورة البقرة[١].

وسنثبت، تاليا، أسماء بعض الكتب، التي عنيت بفكرة الربط، أو وحدة النص، مما اطلع عليه البقاعي، وأفاد منه[٢]، وهذه الكتب، هي:

- كتاب أبي جعفر، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨): البرهان في ترتيب سور القرآن.
- كتاب بدر الدين، محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤): البرهان في علوم القرآن.
- كتاب فخر الدين الرازي (ت ٦٦٠): مفاتح الغيب، المعروف بالتفسير الكبير.
- كتاب أبي بكر بن العربي (ت ٦٣٨): سراج المريدين.

---

[١] انظر: نفسه، مج١، ص ٨٦-١١٤.

[٢] ذكرت هذه الكتب لسببين، الأول: الإشارة إلى أن البقاعي لم يكن تفاحة مجنونة على ما يقال... أو طفرة في التفاته إلى هذه الفكرة، والثاني: الإشارة إلى أنَ الالتفات إلى جهد البقاعي التفات إلى هذه الجهود السابقة بالضرورة.

- كتاب شمس الدين، محمود الأصفهاني (ت ٧٤٩): تفسير الأصفهاني.
- تفسير ابن النقيب الحنفي (ت ٦٩٨): التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني السميع البصير.
- كتب أبي الحسن، علي بن أحمد بن الحسن التجيبي الحرالي المغربي (ت ٦٣٧): مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل، والعروة، والتوشية والتوفية.

وهذه الكتب الثلاثة الأخيرة، أكثر الكتب ظهورا، في سفر البقاعي، مما يعني: أنها كانت تحمل الفكرة التي دار حولها البقاعي أكثر من غيرها.

٣- سعيد حوى ونحو النص

بدأ سعيد حوى مقدمة تفسيره الأساس، ببيان جهود العلماء، الذين سبقوه، في مضمار دراسة الوحدة القرآنية، وقرر أنّ وحدة النص القرآني قد كانت هاجس علماء التفسير، منذ أول الوحي إلى اليوم، وأكد أنهم دندنوا حول وجود تلك الوحدة فيه، دون أن يصلوا إليها. بيد أنّ البحث لا يتفق مع سعيد حوى، بأنهم لم يستطيعوا الوصول إلى تلك الوحدة، ويرى سعيد حوى أن البقاعي - على سبيل المثال - قد وصل إلى هذه الوحدة في النص القرآني، من خلال ربط الآي بالآي في السورة، دون أن يتوصل إلى ربط السورة بما وراءها وما أمامها من سور؛ ولو كان رأي سعيد حوى هذا في البقاعي صحيحا، فإنّ هذا يعني ضرورة منطقية، أنه هو

أيضا، لم يصل إلى تلك الوحدة؛ لأن عمله في سفره الأساس، لا يختلف عما فعل البقاعي، في نظم الدرر- اللهم- إلا في الشكل الترتيبي، من جهة، وفي بعض الإضافات في فهم آية بعينها، من جهة ثانية، مما لا يحكم باختلاف المنهج وتغير النتائج[1].

لا ينفي البحث وصول البقاعي وسعيد حوى من بعد للوحدة القرآنية، وفي الوقت ذاته يؤكد عدم بيانهما للآلية التي وصلا بها إلى تلك الوحدة. اللهم إلا شذرات مبثوثة في ثنايا كتابيهما[2]، لا تحقق في مجموعها التصور الكلي لنحو النص نظريةً، ولا تمكن الدارس من إعادة البناء فهما على مستوى التنظير، وإن أجادا على مستوى التطبيق إلا أنهما لم يقدما الكثير[3] على مستوى التنظير. فلم يتحدثا في بيان كيفية تماسك الجملة في ذاتها، والجملة مع ما فوقها، ثم تماسك الجملة مع الجملة، وصولا إلى وحدة جزئية في النص، ومنها إلى وحدة كلية فيه. وكيف يقف الجزء عند نقطة بعينها لا يستطيع تجاوزها؟ وما شكل الرابط الذي يربط الأجزاء ببعضها: أهو نحوي، أم دلالي، أم كلاهما، أم خلاف ذلك؟ كل هذا لم يجب عنه الرجلان، مع أنه أساسي في إثبات صحة الربط أو الوحدة، التي وصلا إليها- حقيقة- أو نفيها.

نشير هنا إلى منهج سعيد حوى في بناء أبواب أساسه حيث أخضع الكتاب لشكل ترتيبي، من شقين، الأول: ترتيب القرآن، كنص كلي

---

(1) انظر: الأساس في التفسير: مج١، ص ٢١-٢٤.

(2) أشار البحث إلى بعض هذه الشذرات عند البقاعي فيما مضى من كلام. انظر ما تقدم: البقاعي ونحو النص.

(3) هذا يؤكد أن النظرية كانت حاضرة في ذهن الرجلين وإن لم تظهر على السطح، ولا يعني بحال من الأحوال أنهما يفقدان النظرية. وقد يعود ذلك لطبيعة البحث الذي قدماه؛ إذ أنه يعنى بالتطبيق لا بالتنظير.

كامل، إلى أربعة أقسام، هي : قسم الطوال، وقسم المئين، وقسم المثـاني، وقسم المفصل. وهذا الشق تقليدي الطابع، لا فضل للرجل فيـه. والشـق الثاني: ترتيب السورة الواحدة، ضمن مجموعتها. أما السورة الواحدة فقـد قسمها إلى أقسام، هي: القسم، والمقطع، والفقرة، والمجموعـة. ويسـوغ الفرق بين القسم، والمقطع، والفقرة، والمجموعة، بأن المجموعة داخلـة كجزء في الفقرة الطويلة، وأن الفقرة داخلة كجـزء فـي المقطـع، وأن المقطع داخل كجزء في القسم[1]. هذا التقسيم، يصدق على السور الطوال، وقد لا ينطبق - ضرورة - على السور الأخرى.

وقد بدأ سعيد حوى بربط الجملة بالجملة، دون ذكـر القوانيـن، والاستراتيجيات، التي سمحت له بذلك. ولحظنا أنّه قد قام بربـط الفقـرة بالفقرة، دون بيان: لمَ كانت تلك فقرة؟ ولم تكن قسما، أو مقطعا؟[2] وكأنه يصدر عن مسلمات، من أن هذه فقرة، وذلك قسم. رغم أننـا لـم نجـد إجماعا، على قانون يحكم الفقرة، لنقول بأنّ هـذا، معلـوم مـن النحـو بالضرورة، فهو يصدر عن بديهيات، غير مسلم بها، من مثل ما سـبق، ومن مثّل عدّه القرآن نصا. رغم أنه لم يعرّف النص، ولم يقم حدَّه.

ويمكن أن نتتبع خط سيره، في سورة البقرة، على النحو التالي[3] توخيا للدقة في وصف جهده:

<u>المقدمة:</u> تمتد من الآية ١ إلى ٢٠ و مكوّنة من ثلاث فقـرات، الأولى: من الآية ١ إلى ٥، والثانية: من الآية ٦ إلى ٧، وتكوّنت الفقـرة

---

(١) انظر : نفسه، مج١، ص٣٠-٣١

(٢) انظر :نفسه، مج١، ص٦٤-١٤١

(٣) انظر :نفسه، مج١، ص ٥٩-٦٧٨. وللتيسير أنظر :فهرس المجلد الأول سورة البقـرة ، ص ٦٧٧-٦٨٠(١/ص)

الثالثة- تحديدا- من ثلاث مجموعات: الأولى: من الآية ٨ إلى ١٠، والثانية: من الآية ١١إلى١٦، والثالثة: من الآية١٧ إلى ٢٠ .

أما **القسم الأول** من هذه السورة، فقد تكوّن من **ستة مقاطع**.

وتكون المقطع الأول من هذا القسم، من ثلاث فقرات،وكانت الفقرة الأولى: من الآية ٢١ إلى ٢٥ والثانية: من الآية ٢٦ إلى ٢٧والثالثة: من الآية ٢٨ إلى ٣٠ .

أما **المقطع الثاني**، فلم يذكر فيه فقرات ولا مجموعات وكان من الآية: ٣٠ إلى ٣٩.

ثم كان **المقطع الثالث** ويمتد من الآية ٤٠ إلى ١٢٣ ويتكون **من مدخل للمقطع** من الآية٤٠ إلى ٤٦، ومن فصول: **الفصل الأول فقرة** تمتد من الآية ٤٧ إلى ٦٢، وثانية تمتد من الآية ٦٣ إلى ٧٤. **ثم الفصل الثاني** ويبدأ من الآية ٧٥ وينتهي بالآية ١٢١، ويتكون من **مدخل** الآية ٧٥، وفقرة أولى من الآية ٧٦ إلى ٨٢، والفقرة الثانية من الآية ٨٣ إلى ٨٦، والفقرة الثالثة من الآية ٨٧ إلى١٠٣، وقسمها إلى ثلاث مجموعات الأولى: من الآية ٨٧ إلى ٩١، والثانية: من الآية ٩٢ إلى٩٩، والثالثة: من الآية ١٠٠ إلى ١٠٣، أما الفقرة الرابعة فكانت من الآية ١٠٤ إلى ١٢١. ثم تأتي **خاتمة المقطع** من الآية **١٢٢** إلى **١٢٣**.

أما **المقطع الرابع** فكان من الآية ١٢٤ إلى ١٤١، وكانت الفقرة الأولى: من الآية ١٢٤ إلى١٢٩، والثانية: من الآية ١٣٠ إلى١٣٤، والثالثة: من الآية ١٣٥ إلى١٤١.

أما المقطع الخامس فكان من الآية ١٤٢ إلى١٥٢، وكانت الفقرة الأولى فيه: من الآية ١٤٢إلى١٤٣، والثانية: من الآية ١٤٤ إلى ١٤٧، والثالثة: من الآية ١٤٩إلى١٥٢.

أما المقطع السادس والأخير فكان على أقسام، القسم الأول: بدأ من الآية ١٥٣وانتهى عند الآية ١٦٧، وكانت الفقرة أولى فيه من الآية ١٥٣إلى ١٦٢، وكان داخلها الآية ١٥٧ مجموعة مستقلة، والآية ١٥٨ مجموعة ثانية. ومن الآية ١٥٩ إلى ١٦٢ مجموعة ثالثة، والفقرة الثانية من ١٦٣إلى١٦٧.

والقسم الثاني من ١٦٨إلى٢٠٧ **والقسم الثالث** من ٢٠٨إلى٢٨٤، ثم **خاتمة السورة** الآيتان ٢٨٥و٢٨٦.

قد يقال عند النظر في تطبيقات هذا البحث أنه لم يقدم تقسيما مخالفا لتقسيمات سعيد حوى هذه؛ إذ سيجد قارئ هذا البحث أنّ الفقرة الأولى من التطبيق في سورة البقرة تبدأ من ١-٥ والفقرة الثانية من ٦-٧ والفقرة الثالثة من ٨-٢٠. كما أن الفقرة الرابعة عندنا كانت من ٢١-٢٤ بينما هي عند سعيد حوى تمتد إلى ٢٥ في حين نرى أن الآية ٢٥ وحدها تشكل فقرة مستقلة، وقد بدأت الفقرة التالية من ٢٦- ٢٧ عنده وعندنا، وكذلك تبدأ الفقرة التالية من ٢٨وتنتهي في ٢٩ في فهمنا وفهمه، وتبنينا ما تبنى من أن الفقرة التالية من ٣٠-٣٩، ثم جعل الفقرة التالية من الآية٤٠ إلى ٤٦ كما فعلنا. وسنرى في الفصل الثاني من هذا البحث المسوغات المادية والمنطقية لتبني مثل هذا التقسيم، مما لا نجده في أساس سعيد حوى، ولا يعيبه؛ إذ ظهر مما قدمت سابقا أنّ الرجل- رحمه الله- لم يكن يسعى إلى إثبات نظرية في نحو النص، بل كان يعنى بالتطبيق العملي على النظرية مباشرة[1].

[1] أو ربما الأقرب أنه كان يطبق أفهامه على القرآن ليتسنى للتالين له أن يكملوا جهده الضخم باشتقاق النظرية النحوية التي قام عليها منه. وما ينطبق على سعيد حوى في هذا المقام ينطبق على البقاعي أيضا.

بقي أن نشير إلى أن سعيد حوى لم يألُ جهدا في الاستعانة بما هو خارج النص؛ لإثبات صواب منهجه، في التقسيمات التي ذهب إليها، فاستعان بأسباب النزول، والحديث الشريف، والسيرة، والتاريخ...الخ. والمعنى: أنه استعان بالعالم لفهم النص، وهذه قضية وإن كانت مثبتة في فكر علماء نحو النص المعاصرين- على ما سيظهر في المقدمة الثالثة من هذا الفصل- إلا أنها غير ثابتة على وجه التحقيق، وهي غير منطقية، في استخدامه لها في مواضع التطبيق؛ إذ كيف يستعان **بظني الثبوت**: أسباب النزول، والحديث الشريف، والسيرة، والتاريخ، وإن كان قطعي الدلالة وهو ليس كذلك؛ لإثبات قطعي الثبوت: النص القرآني، وإن كان ظني الدلالة[1]. وتظل النقطة الأساسية في المسألة: أنّ حوى، قد استعان بما هو غير لغوي(العالم) لفهم ما هو لغوي(النص) [2].

---

[1] أكد علماء الأصول هذه الحقيقة، وقد ذكروا استعمال العلماء لذلك؛ أي استعمالهم الأمارة في موضع الدليل، من خطأ؛ إذ جعلوا بذلك الأمارة دليلا. وكل ما ورد في كتبهم في الاستدلال بالظني على القطعي حمل على معنى الاستئناس ليس غير، على ما صرح به الآمدي في الإحكام: ج٢ ص١٠ .

[2] ونضرب لذلك مثلا من أن أسباب النزول في الآية الواحدة قد تكون متعارضة أو متناقضة والأحاديث في كل سبب صحيحة لا يمكن دفعها في أن كل سبب محتمل بنفس النسبة التي يحتمل فيها السبب الآخر. والقرآن على ما صرح ناصه {لا ريب فيه} ومعنى الريب في هذا الموضع ليس رديف الشك، بل هو كالشك تماما مرتبة من مراتب العلم الخمسة، وهي: اليقين والظن والريب والشك والوهم. فالريب هو ما تساوت فيه نسبتان بلا مرجح، فعندما يذكر في سبب نزول آية واحدة أكثر من حديث شريف، وتكون تلك الأحاديث متعارضة أو متغايرة أو متناقضة بلا مرجح لأي النسبتين في الذهن، لا يمكن أن نرجح واحدا على آخر؛ لأننا نكون حينها قد وقعنا في الريب، فمثلا عندما نجد أنّ الآية التالية من سورة البقرة وهي: {الم} قيل في سبب نزولها خمسة أقوال:

أحدها: أنه من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله روي في ذلك حديث صحيح عن أبي بكر

والثاني: أن معناه (أنا الله أعلم) رواه أبو الضحى عن ابن عباس وبه قال ابن مسعود وسعيد بن جبير .

والثالث: أنه قسم رواه صالح عن ابن عباس وخالد الحذاء عن عكرمة.

والرابع: أنها حروف من أسماء. ثم فيها قولان:

أحدهما: أنّ الألف من (الله) واللام من (جبريل) والميم من (محمد) قاله ابن عباس .

وثانيهما: أنّ الألف من (الله) تعالى واللام من (لطيف) والميم من (مجيد) قاله أبو العالية.

والخامس: أنه اسم من أسماء القرآن قاله مجاهد والشعبي وقتادة وابن جريج.

كل رأي من هذه الآراء جاء محمولا على حديث عن الصحابة والتابعين. ولا يعقل أن الصحابي أو التابعي يقول برأيه دون أن يكون قد سمع من الرسولﷺ أو عنه، فلو سلمنا بأن هذه الأحاديث يُفسر بها القرآن لوصلنا إلى تعارض الأدلة، وبما أنها متساوية فالأخذ بأيّ منها أخذ بريب؛ إذ لا مرجح يعضد حديثا على آخر، فصار أخذ أي حديث مردوداً بصاحبه. ولو نظرنا في أغلب أسباب النزول التي قيلت في سورة البقرة على سبيل المثال لا الحصر ذات السند المقبول (الصحيح أو الحسن) لوجدنا أنها لا تخرج عن دائرة الريب التي جاء القرآن ذاته من أول آية فيه لينفي مطلقا وجوده فيه. هذا من جهة أسباب النزول. أما بالنسبة للأحاديث الشريفة وبخاصة ذلك الحديث الذي استند إليه سعيد حوى رحمه الله في إثبات صحة تقسيمه لسور القرآن فلا يقل بعدا عن أسباب النزول في الاستعانة بما هو خارج النص عليه والتأكيد هذا نورد الفقرة التي جاء بها هذا الحديث عند سعيد حوى ثم نناقشها وهي قوله:: "هناك أكثر من أثر يذكر السبع السور الطويلة الأولى من القرآن ويخصها بالذكر، وقد عقد ابن كثير لذلك فصلا تحت عنوان (ذكر ما ورد في فضل السبع الطوال) وذكر بهذه المناسبة حديثا له أكثر من سند هو: عن النبي: أعطيت السبع الطوال مكان التوراة، وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور وفضلت بالمفصل" ، قال الشيخ المحدث عبد الله الغماري في كتابه (جواهر البيان في تناسب سور القرآن) عن هذا الحديث: فهذا الحديث حسن. هذا الحديث ذكر أنّ القرآن أربعة أقسام القسم الأول هو السبع الطوال، ونحن سنرى في هذا التفسير كيف أن واقع القرآن يصدق هذا التقسيم من خلال المعاني وكثير من الأمور التي سنراها".

إنّ هذا الحديث الذي يرويه سعيد حوى عن ابن كثير من الأحاديث التي ليس لها مكررات في الكتب التسعة، فقد ورد مرة واحدة في مسند الإمام أحمد بن حنبل بالسند التالي: [حدثنا سليمان بن داود أبو داود الطيالسي قال أخبرنا عمران القطان عن قتادة عن أبي المليح الهذلي عن واثلة بن الأسقع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال] نورد هذا السند؛ لأن دلالة قول سعيد حوى "له أكثر من سند" توهم أن الحديث من المتواتر المعنوي، وهو ليس كذلك. ويؤكد هذا ما رواه سعيد حوى ذاته عن الغماري من أن هذا الحديث حسن؛ أي ليس بمتواتر لا لفظا ولا معنى ولا بصحيح أيضا. لا نريد أن نقول وإن جاز لنا أن أول كلام سعيد حوى يناقض آخره، بل نقول أنه ربما نسي أو سها أو غلط. ثم إنّ هذا الحديث لم يرد في مسند الإمام أحمد كما ذكره سعيد حوى، بل ورد كما يلي:{ أعطيت مكان التوراة السبع وأعطيت مكان الزبور المئين وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل} ولاحظ أن كلمة (الطوال) لم ترد في متن الحديث كما أثبتها سعيد حوى في أساسه، فمن أين جاء بهذه الكلمة هو أو الذي نقل عنه دون تحقيق في هذا الموضع تحديدا؟ أغلب الظن أنه استعان بحديث آخر وردت فيه هذه

الكلمة وهو التالي:{ حدثنا معاذ بن هانئ، حدثنا إبراهيم بن طهمان، حدثنا عاصم، عن المسيب بن رافع قال: قال عبد الله: السبع الطوال مثل التوراة، والمئين مثل الإنجيل، والمثاني مثل الزبور، وسائر القرآن بعد فضل} وانفرد بهذا الحديث من أصحاب الكتب التسعة الدارمي وليس له مكررات عند غيره بلفظه، ونلحظ مباشرة أن كلمة (الطوال) قد وردت في هذا الحديث نعتا لكلمة (السبع) فكأني بـراوي الحديث الأول قد استجلب الصفة من الحديث الثاني؛ إذ لا يوجد لكلا الحديثين مكررات في كتب الحديث.

أما الحديث الأول الذي في مسند الإمام أحمد فإن سنده مرفوع ولكن في رجلين من رجاله جرح أولهما الطيالسي حيث قيل أنه حافظ غلط في أحاديث. وثانيهما القطان حيث قيل أنه صدوق يهم ويرمي برأي الخوارج، ومعروف في علوم الحديث أنّ من دواعي رد الحديث أن يكون قائله من أصحاب المذاهب. فانتقل هذا الحديث من مرتبة الصحة بالرفع إلى مرتبة الضعف بالسند، إذ إنّ اتصال سنده لم يعفه من ضعف رجاله. ولا يقال فيه حسن، كما ذهب الغماري؛ لأن الحسن إما حسن بذاته أو بغيره، وهذا ليس حسنا بذاته لأن سنده ضعيف وغريب، ولا يقال حسن بغيره؛ لأنه لا يعضده حديث أخر صحيح يسند معناه. ولا قرآن يؤكده. أما الحديث الثاني فهو ضعيف بسنده؛ إذ هو موقوف؛ أي لم يصل سنده إلى الرسول ﷺ ومنقطع؛ إذ لم يذكر التابعي، بل ذكر الصحابي وشيخ المصنف دون ذكر عمن أخذ الشيخ. فما دام في سنده انقطاع فهو ضعيف. ثم إن رجلين من رجاله فيهما كلام أولهما إبراهيم بن طهمان قيل: فيه ثقة ويغرب، وثانيهما عاصم قيل فيه صدوق له أوهام. ثم إن كلا الحديثين فيه تحديث وإخبار وعنعنة، وهذا في علوم الحديث مضعف للحديث، أي لم يسلم فيه التحديث. هذا من جهة السند. أما من جهة المتن فالحديثان أولى بالرد؛ ذلك أن كلمة (السبع) وكلمة (المئين) وكلمة (المثاني) وكلمة (المفصل) ألفاظ عامة غير محددة، فما الدليل فيها على أن الرسول ﷺ قصد بالسبع تحديدا السور الأولى التالية للفاتحة، وقد قيل السبع الفاتحة لحديث آخر هو التالي:{ قال عبد الله حدثني أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير وهذا لفظ حديث ابن نمير قال حدثنا أبو أسامة عن عبد الحميد بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : ما أنزل الله عز وجل في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل}. ولم يكتف العلماء في الاختلاف في دلالة لفظ السبع بل اختلفوا أيضا في دلالة كل لفظة من الألفاظ الأخرى، فقيل في المئين: ما قاربت المائة في عدد آياتها، وقيل هي التي تلي السبع الطوال في القصر، وقيل في المثاني: هي التي تلي المئين في القصر، وقيل هي الفاتحة لتكرار قراءتها في كل ركعة، وقيل هي التي تقل آياتها عن المئين وتزيد على المفصل، وقيل في المفصل: هي السور من(ق) إلى آخر المصحف، وقيل هي من الحجرات إلى آخر المصحف. قلنا هذا كله لنبين أن الحديث الذي قسم سعيد حوى القرآن بناء عليه غير قطعي بدلالته كما أنه غير قطعي بثبوته، والقاعدة الأصولية الكبرى تقول: ما دخل إليه الاحتمال بطل به الاستدلال. فهذا الحديث من حيث سنده احتمالي ومن حيث متنه احتمالي أيضا فلا دليل به.

٤ ـ وليد منير ونحو النص

من الخطاب إلى النص

حاول وليد منير أن يقدم فهما خاصا للنص القرآني، من خلال تقديم فهم جديد لمفهوم النص، بحيث يقدم من خلال هذا المفهوم المفترض، آليات النص القرآني في الترابط، وهو يسند في بناء مفهومه هذا، على مجمل النظريات الحديثة في نحو النص، دون أن يتبنى واحدة منها، فينتقي من بينها، ما يناسبه، عند تبدي مشكلة له في النص، أو فكرة تحتاج إلى داعم تنظيري، وقد تعامل مع النص القرآني على أنه نص كلي واحد ففسر منسوخه بناسخه، وإن تباعدت المسافة بينهما، ومجمله بمفصله، وإن اختلف السياق المبدي لكل في موضعه، ودخل إلى علم التأويل، والتصوف؛ ليبدي من النص ما خفي حينا، ويخفي منه ما ظهر أحيانا أخرى؛ ليصل إلى مصداق مفهومه للنص المترابط، وهذا المفهوم الذي قدم لا يصمد أمام التمحيص كما سيظهر تاليا.

رأى وليد منير أنّ الخطاب يمثل " جملة المنطوقات أو التشكيلات الأدائية التي تنتظم في سلسلة معينة - على نحو تاريخي -

---

ولا تختلف السيرة والتاريخ من حيث بنائهما المعرفي ومنهج النقل عنهما عما هو موجود في مناهج الحديث الشريف. فلذا صار الأخذ بأي من تلك المذكورة آنفا استعانة بما هو خارج لفظ النص على فهم النص.

ربما الذي قاد إلى ذلك المنحى الظن بأن الحديث الصحيح قطعي الثبوت بمعنى أن الرسول الكريم قاله يقينا وليس الأمر كذلك فالحديث الصحيح ما هو إلا حديث آحاد يظن أن الرسول الكريم قاله ولا يجزم إذ هو صحيح على شرط من صححه وليس معنى صحيح بحال من الأحوال أنه صح وثبت أن الرسول قاله.

دلالة ما، وتحقق أثرا متعينا "[1] يُخلق من التفاعل الحواري مع المجال الاجتماعي، الذي يعدُّ مهادا لتلقي موضوعه، فيتجادل مع غيره من الخطابات، ويشتبك مع وعي المخاطبين، في محاولة لدفعهم إلى حقل قناعاته؛ فيرتكز على تحولاته[2]، التي لا تخلو من تعارضات تطفو على سطحه، تنم عن طبيعة المجاوزات المرحلية، التي يمر بها، أثناء شق طريقه إلى المعنى؛ لتبلور في مجموعها، فاعلية الحوار مع العالم، الذي يسعى فاعل الخطاب إلى تغييره، أو إعادة تركيب عناصره[3].

يظهر جليا أنّ وليد منير لا يقدم تعريفا للخطاب، بالقدر الذي يصف فيه ظاهر حركة الخطاب الديني - القرآن الكريم تحديدا- في الزمن. وهو يربط مفهوم الخطاب هذا بالمنطوق الشفهي، دون المخطوط الكتابي، من غير مسوغ علمي؛ لهذا الربط. وهذا يقود إلى أن القرآن الكريم نص ديني ناتج من تناصه مع الخطاب والواقع؛ بمعنى أن النص يساوي مفهوم التناص أو هو المصداق الواقعي لهذا المفهوم.

يقدم وليد منير فرقا بين الخطاب والنص؛ إذ يساوي بين الكتابة/ القول، و النص/ الخطاب، وذلك لعدّه الكتابة رديف النص، والقول رديف الخطاب[4] ثم يستشهد بقول بول ريكور " لنطلق كلمة نص على كل

---

(1) النص القرآني: وليد منير، ص ١٧ .

(2) تحولات الخطاب ما هي إلا أداة قياس متدرج لطاقة الإنسان على استيعاب إرادة ذلك الخطاب والتوافق مع قوته، وهي التي يفسر بها وليد منير ظاهرتي: التنجيم، والنسخ. هذا يعني أن المخاطب لم يكن يعلم جبلة الإنسان وطبيعة الفرد والمجتمع حتى أنزل الخطاب منجما فكشف هذا التنجيم لصاحب الخطاب تلك الطبيعة التي كانت غائبة عنه، فاستدرك بالتحويل المسمى بالنسخ حينا والتراجع المسمى بالمنسي حينا آخر.

(3) انظر: النص القرآني، ص١٧..

(4) انظر: المرجع السابق نفسه ص ٢٠ .

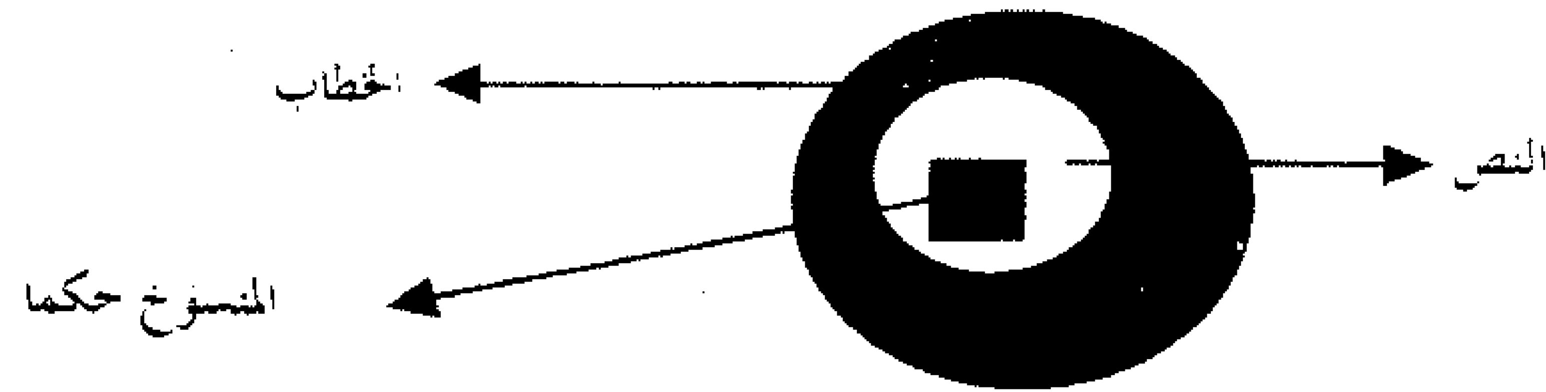
خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة. إنّ هذا التثبيت أمر مؤسس للنص ذاته ومقوم له"[1]؛ ليتبنى تأسيسا على هذا القول- تعريفا للنص، هو التالي: النص " هو النتوء الطبوغرافي للخطاب. النص: هو الخطاب المثبت، أو بمعنى آخر: النص = الخطاب - المحذوف منه. حيث إنّ الخطاب = النص + المحذوف من الخطاب"[2]. ويرى أنّ في النص شيئا من المحذوف منه، على شكل حفريات معرفية، تركها الخطاب لنا في النص، وهي التي تسبب التناقضات فيه؛ فإذا تم تجريد هذه التجسدات الجزئية (المحذوف حكما دون التلاوة) في مبادئ أصلية ظهر الاتساق[3].

ويظهر جليا أن النص بمفهوم وليد منير هذا، لا يعدو كونه المكتوب من خطاب سابق، ولكنه تميز عن سابقيه، ممن تبنوا هذا الرأي، أنه طور المفهوم قليلا؛ ذلك حين ربط النص بالمدون بعد كونه خطابا

---

(1) بلاغة الخطاب وعلم النص: صلاح فضل، ص ٢٣٧، وانظر : النص القرآني، ص٢٤ .

(2) النص القرآني، ص٢٤-٢٩. ويقصد بالمحذوف منه، ما يلي:١- المنسوخ تلاوة، ٢- المستبعد لعدم التواتر، ٣- المنسي. فلم يبق من المحذوف من الخطاب، في النص، إلا المنسوخ حكما المثبت تلاوة. والشكل التالي يوضح المسألة عنده:



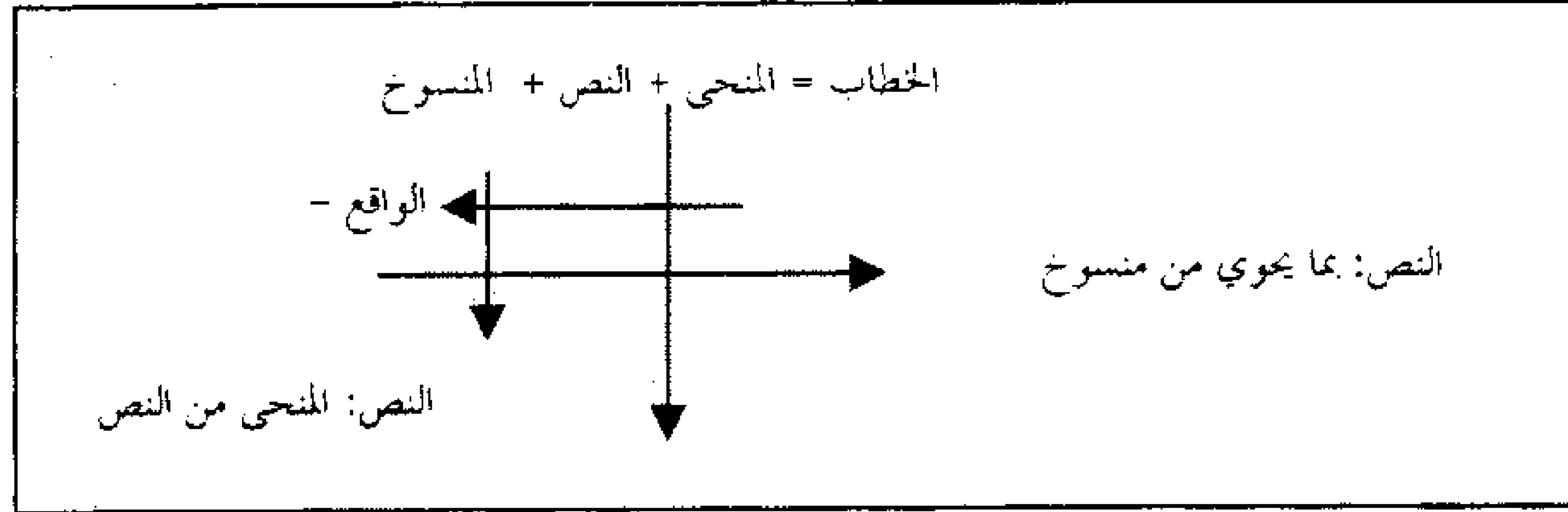
ويرى أن هذا المنسوخ حكما هو المشترك المتبقي من الخطاب في النص وله فوائد هي: ١- الإشارة إلى الحقيقة على هيئة مثال؛ بأن يعطي الإمكانية العليا ثم يسمح بالواقع . ٢- إضاءة انفتاح الجزء على الكل والنسبي على المطلق؛ بأن يعدي المعنى المرتبط بالواقعة إلى مطلقه. ٣- الكشف عن دور الواقع – التاريخ في تشكيل الواقع الإنساني، من أجل أن يسعى الإنسان إلى تغير واقعه.

(3) انظر: النص القرآني، ص ٢٥.

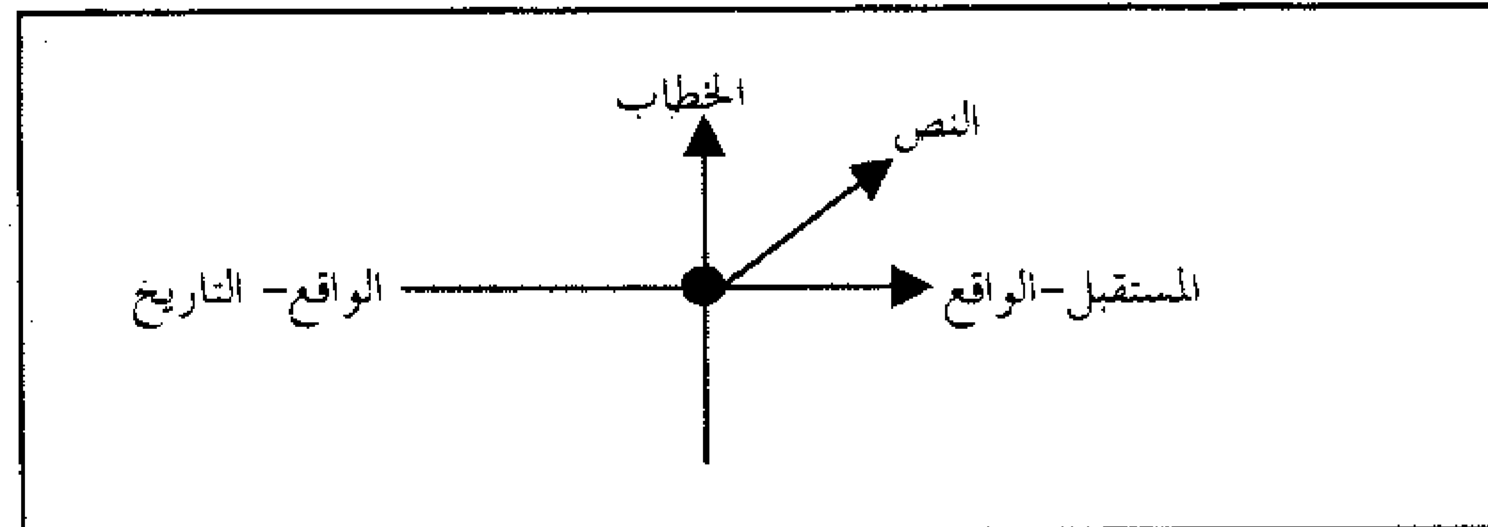
شفهيا سابقا؛ إذ هو عنده- أي النص - ليس هو كل مدون على العموم، بل يشترط في النص أن يكون خطابا متحولا؛ بمعنى أن كل نص، قد كـــان خطابا من قبل. وهذا ما سبق وأشرنا إليه عنده، من إيمانه بأنّ الخطـــاب يرتبط بالمنطوق دون المكتوب. وكذلك نجد أن وليد منير يربـــط اتســاق النص بنفي التناقضات فيه، فكلما كان النص بلا تناقضات، كان متســـقا؛ أي كلما زادت التناقضات قل الاتساق، فالعلاقة بين الاتساق والتناقض في النص علاقة عكسية.

يجدر هنا ملاحظة أن هذا التنظير يفسر النص القرآني، وينطبـق عليه، ولكنه في المقابل، يقف عاجزا أمام نصوص دينية أخرى، من مثـل التوراة أو الإنجيل؛ ذلك أنّهما فقدا تاريخيا الخطاب من وجهة نظر وليـــد منير هذه، فلم يتحول الخطاب فيهما إلى نص. فعلى تعريفه لمفهوم النص بأنه الخطاب - المحذوف منه، فإن الكتب السماوية السابقة للقرآن، ليســت نصوصا؛ إذ هي واقعا النص فيها = الخطاب. ثم إنها؛ أي الكتب الســابقة (التوراة والإنجيل تحديدا) لم ينزلا منجمين، بل دفعة واحدة، وهذا يعنـــي أنهما لم ينفتحا على حركة الزمن، من جهة، وفقدا الانفتاح على حركـــة الفعل داخل حركة الزمن، من جهة ثانية، لما فقدا النسخ. فهذا يعني أنـــهما فقدا بنية التعارض في النص، التي تهيئ له محورا مـــن محـــاور تعـــدد الدلالة والتحولات الضامنة للتطبيق على المستوى الواقعي، هذا ناهيك عن فقدهما الخطاب سلفا الضامن للحوار مع المجال الاجتماعي والجدل مـــع وعي المخاطبين، هذا الجدل هو الذي يدفع المتلقين له إلى حقل قناعاتـــه، كما يرى وليد منير. مما يجعل تعريفه للنص قاصرا عن إلقـــاء الضـــوء على حده، من حيث هو نص، غير مرتبط بنص بعينه.

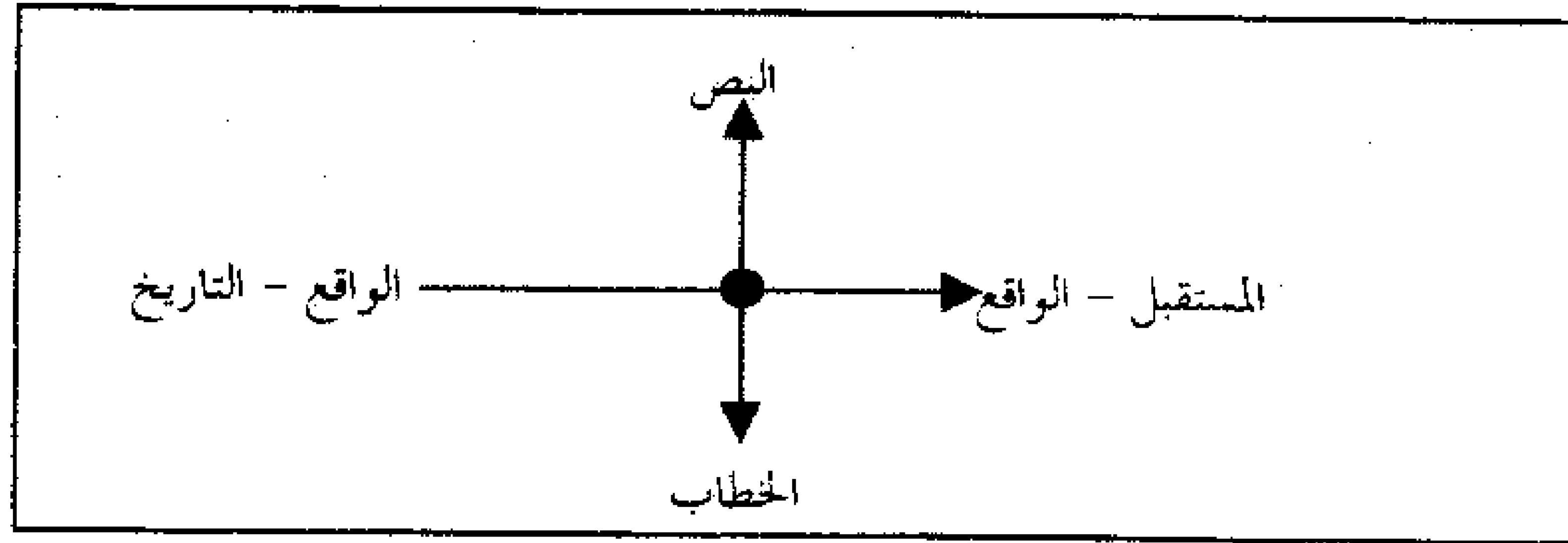
ويرى وليد منير أنّ النص يتقاطع مع الخطاب؛ إذ النص متحول عنه، الذي يتقاطع بدوره؛ أي الخطاب مع الواقع - التاريخ؛ لأنه جزء منه يعمل على تغييره. ويتقاطع النص مع ذاته، إذ هو يحوى نصا منحى، لارتباطه بالخطاب، ويمكن توضيح ذلك من خلال الشكل التالي كما قدمه وليد منير:



ويمكن التعليق على هذا الرأي بأنه رأي غير منضبط، بل هو رأي عقيم؛ إذ إنّ النص الذي يتحدث فيه، نص غير موجود واقعا، إلا في ذهن وليد منير وحده؛ ذلك أن النص لا يتكون في بنائه النهائي بهذه الطريقة، فلو أخذنا مثلا التوراة أو الإنجيل نموذجا، وليس القرآن في ظاهر حركة في الزمن فإنّ هذا المخطط لن ينطبق عليه، وهذا سبب كاف لرفض فكرته. ثم لو أردنا أن نحقق البناء الذي قدم في الخطاطة السابقة فإن الشكل سيكوّن كما يلي، لا كما قدم هو؛ مما يؤكد اضطراب تصوره:



ولو حاولنا أن نبني خطاطة توضح خط سير وتشكل التوراة أو الإنجيل اللذين نزلا دفعة واحدة دون تنجيم أو نسخ أو حوار مع الواقع فإن الشكل سيكون هو التالي: مما ينفي مسلماته:



وبناء عليه، يصبح لا معنى لقوله: فقد عاد النص قولا لغويا مكتفيا بذاته، ومكتملا في دلالته محددا بشكل كتابي تام، مستغنٍ عن الخطاب، والواقع - التاريخ، معا[١]؛ لأنه صنع نموذجه الكلي، فاصبح متعاليا[٢] ولذا رأى أنّ تأويل كل النص، بما هو نص (لضمان نفي تناقضه) مقترن ... بتفسير اكتماله، وعلوه، والوقوع على مناط أسراره[٣]؛ لأن النص الذي

(١) قلنا لا معنى لقوله أعلاه لأننا وجدنا في الواقع نصوصا لم تعد مكتفية بذاتها بعد أن كانت محتاجة إلى الخطاب لأنها لا خطاب لها أصلا فهي فالخطاب فيها = النص تماما. فإن قلنا أن النص مكتف بذاته متعال عن الخطاب فقد نفينا وجود النص ذاته لأن النص في هذه الحالة هي الخطاب.

(٢) قصد بالتعالي عن الواقع – التاريخ والخطاب ولم يقصد بالتعالي القداسة.

(٣) انظر: النص القرآني، ص ٢٩. قصد باكتماله: بأنه بديل مستقل عن الواقع والخطاب لا يحتاج إليهما، وقصد بعلوه: بأنه ليس الواقع ذاته ولا الخطاب أيضا، بل هو مغاير لهما فهو كينونة جوهرية مفارقة لمصدره. وقصد بالوقوع على أسراره: أي محاولة الكشف عن علاقة الغائب منه بالحاضر فيه، وإدراك ما يصل بين أطراف متناقضاته المختلفة بربطها بالثقافة السائدة، وإدراك ما يفصل بينها، بربطه بالثقافة البديلة، التي يحاول إيجادها في متلقيه.

تعالى عن الخطاب والتاريخ حسب هذه النظرة، هو النص القرآني وحده، دون سائر النصوص، في الثقافة العربية. وليس كل نص متناقض ليفسر تناقضه باكتماله وعلوه والوقوع على مناط أسراره؛ إذ على فهمه هذا، لا أسرار في نص لا تحولات فيه.

ويظهر هنا أن وليد منير يرى النص عالما موازيا للعالم الخارجي، من جهة، فهو - أي النص - لا يحتاج إلى العالم لفهمه، وهو من جهة ثانية لا يحتاج إلى الخطاب أيضا[١]، فنستذكر هنا مقولة دوسوسير من أن دراسة اللغة تتم من ذاتها وفي ذاتها ولذاتها[٢] فكأن وليد منير استلهمها حين قرر أن النص مكتف بذاته خارج عن الخطاب والتاريخ - الواقع في آن معا. وهذا القول قد ينطبق على النص القرآني، دون غيره من النصوص الدينية - كما سبق أن أوضحنا؛ ذلك أنّ النصوص الأخرى يتساوى الخطاب فيها، مع النص، فلا مجال للقول باستغنائه عنه، أو إمكانية دراسته بمعزل عنه، هذا، إن آمنا معه، بأنّ النص القرآني لم يصبح نصا حتى تحول ودوِّن؛ أي آمنا معه بأنّ النص القرآني مجرد تناص مع الخطاب والواقع[٣].

---

(١) تجدر الملاحظة أن وليد منير رغم قوله هذا إلا أنه لم يستطع الوصول إلى مفهوم النص حتى استعان بفهمه للخطاب وللواقع؛ بمعنى أنه لم يستطع أن يفهم النص من ذاته ولذاته حتى استعان بالعالم.

(٢) علم اللغة العام: دوسوسير،ت: يوئيل يوسف عزيز، ص ٢٥٣.

(٣) هذا الكلام يقود ضرورة إلى الاعتقاد بما ينافي الواقع والعقيدة من عبقرية محمد وبشرية القرآن. وهو رأي استشراقي معروف.

بنيتا النص الصغرى (الاختلاف) والكبرى (التخلص)

ثم بيّن وليد منير أنّ القوة الفاعلة في النص، والمؤثرة فيه تأثيرا فاعلا- غير قوة التعارض، المتمثلة في الناسخ والمنسوخ، السالفة الذكر - هي قوة الاختلاف، وهي تقع في مستوى الدلالة لا في مستوى النحو أو اللفظ؛ ويفسر معنى الاختلاف؛ بأنّه العلاقة التي تكون بين شيئين غير متماثلين، وغير متضادين،في النص؛ مما يثري النص، ويعدد الدلالة فيه. ويرى أنّ هذا الاختلاف، يتحقق من خلال ضروب أسلوبية ثلاثة، هي: الاقتصاد، والإسهاب، والمخالفة السياقية[1]. ويرى تحقق الاختلاف ليس في هذه الظواهر، بل نتيجة لها. فمثلا، عندما يقتصد النص بفواتح السور من الحروف، أو في الحذف بأنواعه، أو بالاشتراك، أو بغموض مرجع الضمير، فإنّ اقتصاده هذا، يؤدي ضرورة إلى غموض، وتناوب دلالات. هذه الدلالات المختلفة، ليست متناقضة، وليست متشابهة، فهي مختلفة. وعليه، رأى منير أنّ الاقتصاد، يؤدي إلى بنية الاختلاف بنتائجه، وليس هو ذاته المختلف. وكذلك الأمر بالنسبة للإسهاب. فعندما تتعدد التنويعات السياقية للقص، أو يحدث تكرار في النص، فإنّ هذا يقود إلى معان إضافية مختلفة عن المعاني التي قدمها النص، حين يفقد تنوع القص فيه، أو التكرار، وهذه الدلالات الجديدة، ليست نقيضا للدلالة الأولى، وليست مشابهة لها، في الوقت نفسه، فهي مختلفة عنها. وكذلك الأمر بالنسبة

---

[1] لقد جعل وليد منير ظهور الأول في أربع ظواهر، هي: فواتح السور من الحروف، والحذف، والاشتراك وغموض مرجع الضمير. وجعل الإسهاب يظهر في تعدد التنويعات السياقية للقص، والتكرار، وجعل المخالفة السياقية في ظواهر من أهمها: مخالفة سياق العدد، والالتفات، والإبدال بين الحروف والصفات. وقرر أنّ بعضا من تلك الظواهر السابقة تندرج تحت مصطلحين عرفا في علوم القرآن بالمجمل والمتشابه.

للمخالفة السياقية؛ فعندما يحدث في النص مخالفة لسياق العدد، أو التفات بين الضمائر، أو إبدال معنى حرف بآخر، فإن الدلالة تختلف، وهي ليست مناقضة للأصل اللغوي، ولا مشابهة له، فالدلالة الجديدة مختلفة عن السابقة لها، وهذا ما قصده وليد منير بالاختلاف، وقدمه على أنه بنية صغرى من بنى النص القرآني.

ويظهر جليا أن وليد منير، لا ينظر إلى الاقتصاد ذاته، أو الإسهاب، أو المخالفة السياقية، قانونا عاما في النص، بل ينظر إلى أثر هذه الظواهر، في الدلالة المتحققة فيه، على أنها القانون، بدليل أنه رأى أن الاختلاف، هو القانون العام في النص، وليست السابقة تلك[1]. وهذا يعني؛ أنه لم يفرق بين نحو النص، ونحو الأسلوب؛ ذلك أنّ الحذف والتكرار والإضمار[2]، على سبيل المثال، لا الحصر، من مباحث نحو الأسلوب، من جهة أثرها في النص، وعلاقاتها بالمعنى المتحصل من دلالتها، ترتيبا وتركيبا واختيارا. وهذا يقود إلى أنّ وجود هذه الظواهر في النص، ليس غاية في ذاته، بل هو وسيلة لتعدد المعاني، التي يحكمها قانون الاختلاف. وهذا يعني أيضا أنّ النص الذي يفقد هذه الظواهر، يفقد بنية الاختلاف فيه؛ أي يفقد قدرا من نصيته. وهذا المنحى يفسر - لو اتفقنا معه - بعض قضايا النص القرآني. ولكن، ما الذي يفسر بقية الظواهر؟ فهذا التفسير يقود إلى أنّ وجود الضمائر غير الملتفت فيها مثلا؛ أي تلك التي لا تحمل تعدد معنى، في النص، ليست من الاقتصاد

---

(1) المقصود: الاقتصاد والإسهاب والمخالفة السياقية .

(2) المقصود على فهمه لتلك المفاهيم على أنها نوع من الإحالة وجودا وفقدا؛ لأن الحذف والإضمار مثلا من قواعد الاقتصاد اللغوي عندما ينظر إليهما كاختصارات لعناصر سابقة أو لاحقة. يتم توضيح هذه الفكرة في الفصل الثاني.

في شيء؛ إذ وظيفة الاقتصاد - من وجهة نظره- أن يكشف عن بنية اختلاف تقود إلى تعدد دلالات مختلفة، وجائزة. وتلك الضمائر، غير الملتفت فيها، لا تقود إلى هذه البنية الدلالية. فما القانون الذي يفسرها ؟ فمثل هذه الضمائر مسكوت عنها، في نظريته. ومثل هذا، يقال في كل واحدة من الظواهر الأسلوبية التي احتفل بها. ثم هو لا يقدم تلك الظواهر الأسلوبية، على أنها أدوات ربط، أو تماسك، في النص، بل على أنها أدوات تفكيك، وكسر اتساق فيه. فتلك الظواهر أدوات هدم للنص، في حين أنّ الذي يبني اتساق النص، مع ذاته، ومع العالم، هو المتلقي، عندما يقوم بالكشف عن الروابط الحقيقية تحت تلك الظواهر، فبنية الاختلاف التي يمكن أن يكتشفها المتلقي، هي التي يمكن أن يقال عنها أداة اتساق النص، وليست الظواهر الأسلوبية السابقة. فمنير هنا يصدر عن مسلمة أولى مفادها: أنّ النص متسق بل واجب الاتساق، وعن مسلمة ثانية مفادها: أن الاتساق في النص دلالي، لا نحوي. بل يرى أن النحو يحاول أن يكسر اتساق النص، لولا حكمة المتلقي، واستناد النص على منطقية واقعية سابقة، قامت بتشكيله.

ثم عرج وليد منير على التخلص[1] كبنية اختلاف كبرى في النص[2]، ويرى أنّ القدماء قد كدّوا في بحث شروط التخلص من وصل وتنظير وتلازم وتقابل وملاءمة[3] بيد أنه نفى بحثهم التخلص، على أنه

---

(1) يقصد بالتخلص: فن الانتقال من فكرة إلى أخرى مختلفة مع المحافظة على رابط بين الفكرتين، يسمح للسياق بالاستمرار بردم كل فجوة أو مسافة تظهر في النص من خلال مبدأ الانحلال التعاقبي الذي يقوم على وجود فراغ وملئه؛ فوجود الفراغ بين الفكرتين فاصل وملؤه واصل، وهذه الحركة التعاقبية هي التي تحقق الاتصال والانفصال في الوقت نفسه.

(2) انظر: النص القرآني، الفصل الثالث، ص٥١ وما بعدها .

(3) انظر: نفسه، ص٥١.

البنية الكبرى، في علم المناسبة[١]، وأخذ عليهم، أيضا، ميلــهم إلــى مــزج المناسبة بأسباب النزول؛ مما أجبرهم على دراسة الموضوع ضمــن إطــار التشابه، أكثر من دراستهم له في إطار الاختلاف[٢]، كما أخذ عليهم الولــوج في تفصيلات فرعية متشعبة؛ مما كثّر الكم عندهم، وأخفى القانون النـــاظم له[٣].

ونود هنا أن نلفت إلى أنّ وليد منـــير يـــرى أنّ القدمـــاء درســـوا موضوع التخلص، ضمن إطار التشابه، لا الاختلاف. ولا أجد فرقا بين قوله وقولهم. فبما أنه أثبت لهم الالتفات إلى التشابه، فقد أثبت لهم - بالقدر نفسه- الالتفات إلى الاختلاف. فالقدماء لولا التفاتهم إلى التخالف بيـــن المتتاليـــات الجملية، لما بحثوا عن المناسبة بينها، فلما دققوا النظر، وجدوا أنّ الداعـــي لتوالي المتخالفين، فيما أصله الاتصال، وجـــود المـــلازم، أو النظـــير، أو المقابل، أو الملائم. فالقدماء لم ينظروا إلى أنّ أصل المتتاليات الجملية فـــي النص القرآني التشابه، بل الاتصال. ولكنهم فسروا الانفصال بمبدأ التشابه أو المناسبة. وهذا ما يتبناه وليد منير ذاته حين يشرع بتجلية مفهوم التخلـــص؛ ذلك حين يقول: " إذا كان التخلص، هو: فن الانتقال من غرض إلى آخـــر، ومن معنى إلى معنى مختلف، فإنّ دراسة كيفيـــة التواصـــل الدلالـــي بيـــن الأغراض المتباينة، وشكل انفتاح المعاني على بعضها البعض[٤]، تقتضـــي بداءة أن نلم بأبعاد النظام السياقي، الذي يشمل فـــي تعاقبيتـــه، الأغـــراض والمعاني، على حد سواء "[٥]؛ لأنه الجدير بالكشف عن فضاء الحركة

---

(١) انظر: نفسه.

(٢) انظر: نفسه.

(٣) انظر: نفسه، ص٥١-٥٢.

(٤) هذه عبارة المؤلف والصواب أن يقال: بعضها على بعض.

(٥) نفسه، ص ٥٢. ويقصد بالنظام السياقي الامتداد الخطي المنظم للكلام والمنتظم به.

للنص القرآني، وإضاءة فلك العناصر التي تسبح داخله.

ويرى وليد منير في سياق الكلام السابق، أن امتداد الكلام ينشئ سلاسل كلامية تشكل حلقات مترابطة؛ إذ الترابط، هو شرط المعنى. والاتصال دون الترابط يصبح انفصالا. ويرى أن للترابط ثلاث مستويات مبدئية، هي: العطف[1]، والتجاوز البسيط[2]، والمجاوزة[3]. ثم يضيف إليها - أي لمستويات الربط تاليا - الفاصلة القرآنية[4]. ويرى أن التخلص

---

(١) يقصد بالعطف المصطلح النحوي المعروف.

(٢) يقصد بالتجاوز البسيط: الربط بين جملة وكلمة في الجملة التالية لها مباشرة مثل: اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴿خلق الإنسان من علق. فالرابط كان واضحا وهو تكرار الفعل خلق في الجملة الثانية وهو مرتبط الفعل خلق في الجملة الأولى. أو الربط بين الجملة السابقة وضمير من الجملة اللاحقة من مثل: وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين﴿ ما خلقنا هما إلا بالحق. فكرر في الثانية الكلمة خلقنا كربط واضح، وأبدل من الاسمين (السموات والأرض) الضمير (هما) كربط تضميني.

(٣) يقصد بالمجاوزة كسر الاتساق نتيجة فقدان الجزئيات انتماءها إلى عالم واحد في الكلام، بشكل ظاهري أي فقد الوحدة المنطقية مما يخلق فجوة أو مسافة في التعاقب السياقي، ويعود الاتساق بإعادة المنطق إليها، من خلال مبدأ الانحلال السياقي أي انحلال معنى تضمه الآية السابقة في اللاحقة بما يتيح له - للمعنى - أن يتطور ويتحول ويثرى مشكلا أبعادا جديدة وآفاقا مستحدثة تنفصل عما قبلها وتتصل به في آن.ومثاله: يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها ...الآية. ويرى منير أن الجزئية التي تولد المعنى الواحد في كثير من السور القرآنية تستغرق آيتين أو أكثر ثم تنحل في جزئية أخرى تعقبها لتستغرق الأخيرة عددا آخر من الآيات وهنا يسعى النموذج الكلي للتخلص إلى إقامة حد من التوازن الحرج الذي يضمن توفر خاصيتي الاتصال والتلاؤم في مقابل خاصيتي التباعد وكسر الاتساق اللتين تولدهما فكرة المسافة أو الفجوة السياقية. فعن طريق المبالغة أحيانا في التكرار والإشباع والاستطراد تخفف الفجوة من درجة حدتها لنعود فنعثر على الصلة التي فقدناها بين حلقات المتوالية. وهكذا تعمل بنية التخلص على محورين هما: الاتساع الوصفي والقطع الإيمائي.

(٤) انظر: النص القرآني، الفصل الثالث، ص ص ٥٣ - ٥٤ . ويقصد أنّ الفاصلة القرآنية تقوم على الفصل المؤقت، بين نقاط الاتصال السياقية؛ ذلك، أنها تقوم بوقف صوتي، عند نهاية الجملة؛

الصوتي قانون عام في النص القرآني ينتظم الصياغة الصوتية الكلية فيه. ونزعم أن هذه الأخيرة؛ أي الفاصلة القرآنية، مقحمة في الترابط النصي، فهي لا تناقش هنا، ولا ينبغي لها أن تكون في هذا السياق. فدلالة الفاصلة القرآنية، دلالة إيقاعية في المقام الأول، تخدم في تجويد المقروء وتقريبه من نفس المتلقي، أكثر من علاقتها في ربط المعاني أو الإشارة إلى هذا الربط.

يظهر هنا أنّ وليد منير لا يثير قضية التماسك النحوي؛ بل هو يخلط بين القوانين النحوية والقوانين الدلالية؛ إذ يجمع بين العطف النحوي، والتجاوز والمجاوزة الدلاليين. بل نزعم أنّه يتحدث في كلٍ، على أنه من الترابط الدلالي. محاولا في فعله هذا، أن يجمع بين مقولات بارت في العهد البنيوي، ومقولات علماء النص، وبخاصة فنديك - كما سيظهر لاحقا في المقدمة الثالثة - وذلك عند حديثه في فكرة الفجوة السياقية، من جهة، والفراغ، وملئه، من جهة ثانية، وعند حديثه في الثنائيات الضدية في النص كذلك، وتولد المعنى، من خلال الجمع بين تلك الثنائيات، وفض تعارضها، أو تناقضها؛ أي في إيجاد اتصال لها بعد انفصالها، وتشظيها، وفي تركيزه على أثر المتلقي في هذا الفعل، بما يشبه القول بموت المؤلف عند بارت، في درجة الصفر للكتابة؛ أي أن وليد

فيكون الوقف المعنوي، يساوي الوقف الصوتي فيها، ومثاله: إنّا أنزلناه في ليلة القدر۞ أو تقوم بوقف صوتي، قبل تمام الجملة، وعندها يكون الوقف الصوتي، غير مساو للوقف المعنوي، ومثاله: الرحمن ۞ علم القرآن ۞ . ويرى منير، أن الفاصلة، تؤدي دور المفصل، في الانتقال من معنى إلى آخر، في كثير من الأحيان، ومثاله: تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيراً ، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ۞وعباد الرحمن الذين ... الآية. فالفاصلة الصوتية الراء ،حرفا، كانت لموضوع أول، في حين صارت الفاصلة الميم لموضوع ثان، آخر.

منير يحاول أن ينشئ نظرية في نقد النص، أكثر من محاولته إنشاء نظرية في فهم النص، أو مفهومه. ويرى البحث، أنه في هذا، قد خرج من دائرة علم نحو النص، إلى دائرة أخرى تالية، وهي دائرة علم الأسلوب، وبخاصة عندما كان يتحدث في التجاوز البسيط؛ ذلك أنه لا يحاول هناك بيان التماسكات النحوية داخل الموضوع الواحد، بالقدر الذي كان يحاول فيه، بيان سبب اختيار الناص لتركيب دون أخر حينا، ومفردة دون أخرى حينا آخر، مما يردم فجوة مفترضة على المستوى الدلالي في النص. ولو سلمنا بقوله ورضيناه؛ لأفضى بنا الأمر إلى التسليم بأن النص مفكك على المستوى النحوي، لا سبيل إلى اتساقه، إلا على مستوى التأويل الدلالي، وهذا الأخير، لا يتم إلا بمعلومة مسبقة (عقيدة) متبناة في النص، قبل الولوج إليه. وهذا خلاف ما نؤمن به، من أن النص - أي نص - يجدر أن يكون متماسكا على المستوى النحوي، ومترابطا على المستوى الدلالي. وإلا انتفت نصيته. وهذان الفعلان؛ فعل التماسك والترابط يتمان دون الحاجة إلى عقيدة مسبقة في النص.

ورأى وليد منير أنّ الانتقال المتواتر بين الإسهاب والتكثيف[1]، والانتقال بين الموضوعات، أو الجزئيات، أو بين المعاني، وخط المخالفة السياقي، بما ينطوي عليه من الفقدان والاستعادة، والغياب والحضور،

---

[1] نلحظ هنا أن وليد منير لم يبين كيف يتم الإسهاب في النص، وما هي الآليات التي يتبعها النص ليسمح لنفسه بالإسهاب دون أن يفقد نصيته؟ وكذلك الأمر بالنسبة للتكثيف وماذا يقصد به أيقصد المقابل للسرد؟ (نقل الحركة الواقعية – الفعل- إلى حركة كلامية) أم قصد به نقل الحركة العاطفية إلى فعل كلامي بالتصوير والمجاز والكناية؟ ... أم قصد به التعبير عن الحركة الواقعية بأقل عبارة ممكنة. وعلى أي التعريفين أو غيرهما: كيف تم للناص لغويا هذا الفعل؟ وما أثره في تماسك النص وفقده؟ وهل الإسهاب والتكثيف في متتالية جملية واحدة أم في متتاليتين مختلفتين؟ كل هذا لم يقدم وليد منير فيه شيئا؟ مما يجعل الفهم ضبابيا وأقرب للطلاسم.

والاتساق وكسره(على مستوى الدلالة) يهيئ للنص في احتوائه على هذه الثنائيات المتضادة[1]، أن يعمق الفجوة السياقية حينا بالمجاوزة، ويخففها قليلا بالتجاوز، من خلال فقده للصلة ثم العثور عليها، ويردمها ردما شبه تام بالعطف. ويتم ذلك كله، في مساحة سردية لا تتجاوز الآيات الأربع، وقد تتوزع تلك الثنائيات على مساحة سردية أكبر، في أحيان أخرى، لتشمل سورة بكاملها[2].

ويظهر أنّ وليد منير لا يريد أن يقدم تحديدا للنص؛ بل يتركه أرضا مشاعا يجتزئ منها ما يشاء وقت يشاء، إذ هو لم يقدم لنا لمَ كانت الآيات الأربع نصا مرة والسورة القرآنية بكاملها نصا في مرة ثانية ؟ وكأني بوليد منير هنا يود أن يجعل الحدس هو الفيصل في المسألة، كما فعل سابقاه البقاعي وسعيد حوى. على الرغم من أنّ نحو النص يبحث عن الآلية التي تتكون فيها الفقرة، من جهة، والآلية التي تجمع الفقرة مع التالية لها من جهة ثانية، وهذا ما فقده الثلاثة المتأخرون: البقاعي وسعيد حوى ووليد منير. مع فارق أنّ الأولين من الثلاثة المذكورين سالفاً قد وصلا بحدسهما إلى حدود الفقرة دون كشف آليات تشكلها واستراتيجيات بنائها.

---

(1) نلحظ هنا أن وليد منير يتبنى الفهم البنيوي الذي يقيم اللغة على التقابل بين ثنائيات ضدية بين الدال والمدلول وهذا فهم خاطئ من وجهة نظرنا، ونرى أن من تحدث به لم يدرك مقولات دوسوسير في المسألة واعتمد على أفهام العرب البنيويين أمثال الغذامي في الخطيئة والتكفير، وكمال أبو ديب في نظرية الخفاء والتجلي، راجع الكتابين ثم قارنهما بمحاضرات دوسوسير في علم اللغة.

(2) انظر: النص القرآني، ص ٦٣-٦٤.

الخلاصة

ظهر جليا مما تقدم، أنَّ علماء العرب المشتغلين بالقرآن الكريم يدركون تماما أنه نص، وأنّ التعامل معه لا يتم إلا بالنظر إلى تماسكه وترابطه، وإن كان التماسك لديهم مفهوم بداهة، من العلم به كتابا، يجري على سننهم في التخاطب. فأغفلوا التعامل معه، ضمن أطر التماسك النحوي، وإن أشار الجرجاني – من أول الأمر في دلائله – أنه يسير وفق قوانين النحو العربي، بلا خلاف، فألزم نفسه بأن يثبت سيره الدلالي، وفق قوانين البلاغة العربية، فحقق شذرات، من هذا الترابط الدلالي؛ وذلك أنّه كان يسعى إلى إثبات فكرته، التي حاول الوصول إليها بالمثال والمثالين، وليس بالتتبع الحرفي، لكل نص؛ ذلك - حسب ظننا - أنه كان يؤمن أنّ المثال الواحد كاف؛ لإثبات وجود الترابط فيه، فقد أشار إلى منهج التعامل مع النص إشارة دون التصريح. ثم جاء البقاعي ليطبق تلك الفكرة على النص القرآني كاملا؛ ليثبت بالتتبع الحرفي لكل آية، أنّ القرآن نص مترابط دلاليا، وأنه لم يكن مقطعا مجزأ، رغم نزوله منجما. وقد وفق في بناء تفسير رابط للآي - من وجهة نظره - دون أن يقدم المنهجية الكاملة، لهذا الجهد، وإن أشار إليها كما تقدم. ثم جاء في العصر الحديث سعيد حوى، ليؤكد جهد البقاعي، بالسير على خطوه - رغم أنه يدعي عدم الاطلاع على سفر البقاعي - ليقوم بذات العملية؛ أي الإدلال على أنّ القرآن الكريم مترابط دلاليا، وأنه نص يعضد أوله آخره، ويشهد آخره لأوله باللحمة والترابط، ولكنه لم يقدم المنهج الذي اعتمد عليه في هذا الجهد، وإن أشار في المقدمة، إلى أنه بث المنهج في تضاعيف كتابه. والواضح جليا أنَّ سعيد حوى قد كان يعمد إلى التفسير الحرفي للآي، ولم

يقدم جديدا في هذا الباب، ثم إنه لم يقدم جديدا في آليـــات تقســيم الآي، التقسيم الذي فعل، كما أنه لم يتجاوز ملاحظات القدماء في ربط سياق كل مجموعة آيات (فقرة) بما سبقها، أو تبعها من فقرات. وعلى كل فإنَّ نحـو النص قد كان قابعا في ذهن هؤلاء العلماء الأفاضل - رغـــم أنـــهم لـــم يصرحوا بذلك - وبخاصة فكرة الترابط الدلالي، ولم تنتف فكرة التماســك النحوي من أذهانهم، وإن لم يدرسوها؛ لعلمهم بأنها ليست محل خـــلاف. وهذا ما لاحظناه في جهد وليد منير في النص القرآنـــي كذلـــك. وتجنبـــا للإطالة، وجمعا للفائدة، فإننا نقدم بين يدي القارئ الكريم، أبـــرز جـــهود العلماء العرب، في مضمار نحو النص، في نقاط مقتضبة، كما يلي:

* اهتم الدارسون – على مرِّ العصور – في الثقافة العربية، بـــالوحدة القرآنية، من خلال جهود العلماء في إنشاء تفسيرات للقرآن، تراعي ربط الآي بالآي، داخل السورة الواحدة، وربط السورة بالســـورة، داخل القرآن الكريم، على اعتبار عده، نصا كليا واحدا.
* تضافرت جهود نحوية وبلاغية، لتوسيع علم النحو، ليشمل دراســة النص، من حيث هو نص، ودراسة أثره من حيـــث هـــو اختيـــار للناص أو الناظم.
* شكَّل الجرجاني نقطة وعي شاملة بعلم النحو، حيث قـــرر أقســـامه الحقيقية، ابتداء من نحو الجملة، مرورا بنحو مـــا فـــوق الجملـــة، وصولا إلى نحو النص، انتهاء بنحو الأسلوب.
* شكَّلت دراسة الوصل والفصل، مرتكزا أساسيا في الولوج إلى نحـو النص، في الثقافة العربية.
* بدأت الدراسات النصية التطبيقية على القـــرآن الكريـــم بالجـــهود التفسيرية، وبدأت خجولة متأنية على ما يلمـــح البقـــاعي، تـــدرس

الترابط في النص، على المستوى الدلالي، في بعض النصوص دون بعض.

* تفجرت التطبيقات الكاملة للوحدة القرآنية، وترابط القرآن الكريم، على يد البقاعي، حين درس القرآن الكريم، على مستويين، مستوى ربط الآي بالآي داخل السورة الواحدة دلاليا، ومستوى ربط السورة بالسورة داخل القرآن الكريم، كنص كلي، دلاليا أيضا.

* اعتمد الدارسون جميعا على الحدس، وليس على نظرية نحوية في الربط سواء على المستوى الداخلي (الآي بالآي) أو على المستوى الخارجي (السور بالسور) وكانت نتائجهم على حدسهم، دقيقة إلى حد كبير، مما ينبئ بوجود نظرية قائمة في عميق بنيتهم الفكرية، وإن لم تظهر على السطح، عند التطبيق. وكان أضعفهم وعيا بهذه النظرية، آخرهم وليد منير. وربما يُفسر ذلك، بالتفاته إلى جهود الغرب، والصدور عنها، أكثر من التفاته إلى جهود من سبقه، من العرب.

* وظَّف العلماء العرب، في إثبات الوحدة الدلالية في القرآن الكريم، معرفة العالم، كمعرفة أسباب النزول، والسيرة، والحديث، والتاريخ.

* لم يحاول علماء العرب الوصول من خلال هذا الجهد الكلي الضخم، إلى القوانين التي شكلت النص، باستثناء تلك الشذرات، التي قدمها الجرجاني، في الدلائل، والبقاعي في النظم.

* نظروا إلى التماسك النحوي، على أنه سهل، من جهة، ويمكن الوصول إليه بيسر، من جهة ثانية، فقفزوا عن مقدماته الضرورية، إلى النتائج النهائية، فأثبتوا الوحدة، دون إثبات الطريق إليها.

(٣)

الحاضر الغربي ونحو النص

.- مدخل

تعرفنا- في المقدمة السابقة- جهود العرب، في نحو النص، وبخاصة عند علماء التفسير، من خلال ثلاث فترات زمنية متباعدة، ولكنها على تباعدها، من وجهة نظر البحث، تعد عينة ممثلة، لما كان يجري في تراثنا العربي، حول هذا المفهوم، لا المصطلح، وسنحاول في هذا المقدمة الثانية، أن نتلمس كيفية تعامل العلماء الغرب مع هذا المفهوم، ولن نلتفت إلى جهود قدمائهم؛ لأننا لا نجد إلى ذلك سبيلا، من جهة؛ ولأن جهود معاصريهم الكثيرة، كفتنا مؤونة ذلك، من جهة ثانية؛ فلذا سنحصر درسنا لهم، في جهود معاصريهم، من خلال مجموعة من العلماء، الذين عنوا بنحو النص، وهم: هاليداي ورقية حسن، وفنديك، وبراون ويول؛ لنصل من خلال هؤلاء، إلى مفهوم- ولو أولي- لمفهوم نحو النص، عندهم، فما النص؟ وما القواعد التي تشكله؟ وما القواعد التي تساعد في تحليله؛ من أجل الوصول إلى الفهم، والإفهام.

١. هاليداي ورقية حسن

تقوم وجهة نظر أ.ي هاليداي ورقية حسن، في كيفية تشكل النص، على أيمانهما العميق بأنّ نحو النص، ما هو سوى دراسة الاعتبارات اللغوية الخمسة الرابطة بين جمل لغوية في متتالية خطية، وهذه الاعتبارات هي:

- **الإحالة**: مجموعة من العناصر، التي تحتاج، عند تأويلها، إلى مرجع، كالضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة. وتقسم الإحالة- حسب نظرهما- إلى مقامية؛ وهي خارجية، تحيل إلى العالم. ونصية؛ وهي داخلية، تحيل إلى النص. وقد جعلا من الخارجية: ضمائر التكلم،والخطاب. أما ضمائر الغيبة، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة(١) فقد جعلاها من الإحالة الداخلية، في الإطار العام(٢).
- **الاستبدال**: تعويض عنصر، في النص، بعنصر آخر(٣).
- **الحذف**: افتراض عنصر، غير موجود في النص، فيه؛ لدلالة عنصر سابق عليه(٤).
- **الوصل**: ربط عنصر سابق، بآخر لاحق، بواسطة عنصر دال: كالعطف، والاستدراك، والإضراب، والتعليل، والشرط، والظرف.

---

(١) يقصد الباحثان بأدوات المقارنة: كلمات مخصوصة في كل لغة تشير إلى مقارنة عامة أو خاصة. فالكلمات التي تشير إلى تطابق أو تخالف عام منها: كلمة ينسبه، وكلمة مثل، وكلمة غير، وكلمات نفي الشبه نحو: لا يشبه، خلاف... فهي أدوات مقاربة عامة، أما الكلمات التي تشير إلى الكمية أو الكيفية بين شيئين محددين نحو: صيغة التفضيل، فهي أداة مقاربة خاصة، وكل تلك الخاصة والعامة من وجهة نظرهما هي أدوات نصية لا تختلف عن الضمائر وأسماء الإشارة.

(٢) قلنا في الإطار العام لأنهما جعلا ضمائر التكلم والخطاب ضمائر ذات إحالة خارجية، أي مقامية إلا في بعض الحالات كالكلام المستشهد به، والخطاب المكتوب، والسردي، في حين أنهما قد جعلا ضمائر الغيبة ذات إحالة داخلية أي نصية في كل الحالات.

(٣) ويقسمان الاستبدال إلى ثلاثة أقسام هي الاستبدال الإسمي؛ أي يستبدل إسم بإسم من مثل (واحدة وأخرى) واستبدال فعلي من مثل (فعلت بدل الفعل الصريح). واستبدال قولي ممن مثل قولنا: (ليس غير وكذلك) في سياقات اختصار الجمل وعدم تكرارها.

(٤) ويقسمانه ذات التقسيم السابق؛ أي حذف اسمي (كاستخدام الإشارة) وحذف المشار إليه (أي رجل أخوك؟ هذا }الرجل{ أخي). وحذف فعلي نحو (هل كنت تدرس؟ كنت }أدرس{) وحذف قولي نحو (كم درست؟ }درست{ ساعة).

- **الاتساق المعجمي**: وينقسم قسمين: الاتساق المعجمي التكراري، والاتساق المعجمي التضامي، ويعرَّف الأول، بأنه إعادة عنصر معجمي[١]، أو مرادفه[٢]، أو شبيهه[٣]، أو عنصر عام يشمله[٤]. ويعرف الثاني، بأنه توارد زوج من الكلمات بالفعل[٥] أو بالقوة[٦]؛ نظراً لارتباطهما بحكم علاقة ما.

ويرى الباحثان، أنّ النص يكتسب نصيته، من وجود تلك الاعتبارات؛ إذ هما يميزان الخطاب من النص، بمعنى: أنهما يؤمنان بأنّ نصية النص قضية داخلية، وظيفة المتلقي أمامها الحكم بوجودها، أو عدمه؛ إذ قد قام بحثهما[٧] على موازاة بين الاتساق في النص، والخصائص التي تجعل من عينة لغوية ما نصاً [٨]؛ مما حدا بهما، إلى عدّ الروابط داخل النص، هي النصية؛ أي الخاصية التي تحول الخطاب إلى نص؛ لأن الخطاب- من وجهة نظرهما- هو ما فوق الجملة[٩]، في حين أنَّ النص هو الروابط التي تسمح بالحكم على الخطاب بأنَّه متسق. فالنص ميزة من ميزات الخطاب[١]، ويؤدي هذا الفهم بالضرورة إلى عدّ

---

(١) مثاله: شرعت في الصعود إلى القمة، كان {الصعود} سهلاً.

(٢) مثاله: شرعت في الصعود إلى القمة، كان {التسلق} سهلاً.

(٣) مثاله: شرعت في الصعود إلى القمة، كان {المشي} سهلاً.

(٤) مثاله: شرعت في الصعود إلى القمة، كان {هذا} سهلاً.

(٥) قصدا ارتباط الكلمتين لأن دلالة إحداهما ملازمة لدلالة الأخرى بالتعارض أي أنهما أضداد.

(٦) قصدا ارتباط الكلمتين ببعضهما لأن دلالة إحداهما متضمنة في دلالة الأخرى كجزء منها.

(٧) البحث المقصود هو الاتساق في اللغة الإنجليزية .

(٨) انظر: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب: محمد الخطابي، المركز الثقافي العربي، ص١٢.

(٩) يقصدان بما فوق الجملة ليس مفهومنا الذي قدمناه في المقدمة الأولى أي متعلقات الجملة التي لا تكون مفيدة دون تعلقها بالجملة. كالنسب الناقصة والنسبة الوصفية والإضافية ... بل يقصدان به الخطاب؛ أي يساويان بين مفهوم ما فوق الجملة ومفهوم الخطاب.

ميزة من ميزات الخطاب[1]، ويؤدي هذا الفهم بالضرورة إلى عدّ كل عمل كتابي نصا؛ إذ لا يخلو عمل كتابي، نافَ عن الجملة، مهما كان جنسه أو نوعه، من تلك الروابط، أو أدوات الاتساق- على ما يسميانها - كلها أو بعضها.

رغم هذه الدقة المنهجية في طرح هاليداي ورقية حسن، فإنهما لم يستطيعا أن يوصلا قارئهما، إلى الإجابة عن تساؤل بسيط مفاده: لمَ - ما دامت نصية النص فيه - يختلف الحكم على نص ما، بين شخصين من أبناء لغته عند وجود هذه الأدوات؟ بمعنى: أنَّ النص الواحد، قد يحكُم شخص من أبناء اللغة بنصيته، ويحكم آخر، في الوقت ذاته، بعدم وجود النصية فيه. أي يحكم أحدهما بأنه مجرد عمل أدبي حسب مفهوم بارت للعمل في حين يحكم الآخر بأنه نص حسب مفهوم بارت للنص. هذا الإشكال يقود بالضرورة إلى عدم التسليم بوجهة نظرهما هذه، من أنَّ النص يتشكل عند وجود أدوات الاتساق، التي عرضا لها، وذكرت سابقا أعلاه؛ إذ لا بد من وجود اعتبارات أخرى، غير هذه التي ذكراها. فلو سلمنا بمقولتهما، لوصلنا إلى كون كل عمل أدبي نصا، وهذا خلاف الواقع. ثم لو طبقنا نتائج دراستيهما على أي مكتوب (نصا أو عملا أدبيا) لوجدنا أن المتحصل لا يتجاوز ما قُدم في الأسلوبية الإحصائية. هذا ما لحظناه عندما اطلعنا على دراسة (الفقي) الذي طبق مفهومهما للنص وأدواته، على النص القرآني، فوصل إلى قراءة أسلوبية للنص، وفق مفهوم الأسلوبية الإحصائية، التي نعلم جميعا، أنَّ عليها من المآخذ، ما يجنبنا التعامل معها مفردة، في دراسة العمل، فكيف، والحال أنا نتعامل

---

(1) لسانيات النص، ص ١٦.

والنص[1]. فلو سلمنا بقولهما وبنتائج دراسة (الفقي) المشار إليها، المبنية على وجهة نظرهما، لكان مفهوم علم اللغة النصي، يساوي- تماما- مفهوم الأسلوبية الإحصائية، وهذا خلاف واقع العلمين. ومع هذا، فلا ننكر أن بين تلك الاعتبارات(أدوات الاتساق) وعلم اللغة النصي وشائج قربى، لا تخفى على ذي عين؛ إذ قضية علم اللغة النصي، ليست الجواب فقط، عن سؤال كهذا: هل هذه الأدوات تربط المتواليات الجملية، أم لا؟ إذ علم اللغة التقليدي، قد وصل إلى إجابة هذا السؤال- منذ عصور خلت- إجابة شافية، ولم يدع مجالا لمستزيد. ولكن سؤال علم اللغة النصي مختلف تماما عن السؤال السابق؛ إذ سؤاله: كيف استخدم النص هذه الاعتبارات؟ ولماذا؟ من جهة. وكيف يتأثر النص ربطا وتماسكا نتيجة هذا الاستخدام؟ من جهة ثانية؛ لأنّ الحكمة تقتضي ألا تكون المسألة مسألة وجود تلك البدائل الرابطة، من ضمن بدائل محتملة، بل المسألة مسألة، ما أثر هذا البديل، في التماسك التركيبي، والربط المعنوي، في الوقت ذاته.

٢- فنديك ونحو النص

حاول فنديك بمنهج آخر، يختلف عن منهج هاليداي ورقية حسن، أن يجد القواعد التي تسمح للمتلقي بالحكم، على نص ما، بالنصيّة، بمعنى: أنَّه عمل أدبي منسجم ومترابط. ورغم أن مفهوم فنديك للنص لا يختلف، عن مفهوم هاليداي ورقية حسن له، بمعنى: أنَّه يرى أنَّ كلَّ

---

(١) راجع كتاب: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، الجزء الأول، صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع(القاهرة)، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

متتالية جملية خطية نص، وإن اختلف معهما، فيما يخلق النصيـــــة، فـــي العمل الأدبي.

اعتقد فنديك أنّ المعنى السياقي؛ أي معنى المفردة فـــي تركيـــب جملي ما، يختلف عن معناها المعجمي؛ أي خارج التركيب، وآمن أنّ هذا الاختلاف من أثر السياق، ويعني بالسياق – هنا – معرفة العالم تحديـــدا؛ أي: مجموع الخبرات الحياتية الواقعية، التي يكتسبها الفرد، في منظومتـــه الاجتماعية. وأكد أنّ هذه المعرفة، هـــي التـــي تشـــكل المعنـــى، فـــي النصوص[1]. وهي التي تخلق انسجامه، وترابطه. وفرق بين الانســـجام

---

(١) لقد صاغ محمد الخطابي في لسانيات النص مشكلة حاول فنديك حلها في كتابه (النص والســياق) ألا وهي: مشكلة "صعوبة الفصل بين المعنى المعجمي وبين المعرفة حول العالم في النصـــوص، بحيث يرى أن المعرفة التي يقدمها المعجم ليست إلا مجموعة فرعية من معرفتنا للعالم" [**لسانيات النص، ص ٣٠**] ربما منشأ هذا الفهم عند فنديك عائد إلى فهم دوسوسير للدال والمدلول؛ إذ قـــرر الأخير – في محاضراته – أن الدال عنصر مادي متحيز في الواقع، وهو الكيـــان المـــادي القـــابل للدراسة – بالمفهوم التجريبي للكلمة – بمعنى أنه قابل للخضوع للحواس، بينمـــا المدلـــول – وهـــو المساوي الذهني للدال – غير مادي تماما؛ بمعنى أنه: فيزيائي – بيولوجي – كيميائي – نفســـي (منطقة وسط بين المادي والمعنوي) إذ هو القابل لأن يتحول إلى ذهني –نفسي خـــالص (مفـــهوم مجرد) وهذا الأخير هو اللغة (المفهوم) غير قابل للخضوع للحواس؛ أي غير قـــابل للتجريـــب إطلاقا، في حين أن الثاني؛ أي اللسان (فيزيائي – بيولوجي –كيميائي – نفسي) يمكن إخضاعـــه للتجربة – لو كانت لدينا الأدوات والأجهزة المحققة لذلك – فيبقى دليلنا على اللغة من وجهة نظـــر علمية هو الأول (الكلام) وبما أن الدال (الكلام) لفظ واحد، فلا بد من أنّ المدلول ذات اللفظ، قـد تحول إلى رامزة أخرى؛ أي انتقل من الطاقة الفيزيائية في الموجات الصوتية إلى طاقة كـــهرو – كيمائية بحكم البيولوجيا دون أن تتغير قيمة الدال حين تحول إلى مدلول، وحتى تنتهي العمليـــة لا بد من وجود مرجع واحد يعود إليه اللفظ الدال حين تحول إلى مدلول ليكوّن في الذهـــن صـــورة الشيء، وتكمن المشكلة – هنا – فبما أن الدال لفظ واحد والمدلول ذات الدال في القيمة وإن تغـــير الشكل، والمعنى أو المفهوم هو ارتباط المدلول بمرجع واحد في الواقع فلا بد من أن يكون فـــهمنا للكلام المركب خروجا عن اللغة؛ لأن هناك معنى سياقيا جديدا قد تحصّل بالذهن ليـــس ضمـــن العلاقات التي حددها دوسوسير؛ لذا انطلق فنديك إلى العالم ليفسر هذا المعنـــى الســـياقي خـــارج منظومة اللغة. وهنا نود أن نؤكد على خطأ مثل هذا المذهب الذي عم كتب الغرب ســـواء فـــي

والترابط؛ إذ الترابط، هو: وجود علاقة سبب ونتيجة في التركيب، وتكون الجمل مترابطة، بالقدر التي تكون فيها النتائج متعالقة مع المقدمات، تعالقا مباشرا، ويضعف الترابط، كلما كان التعالق غير مباشـــر، أو غامضـــا. وربط بين درجة التعالق من حيث مباشرته، وقبول المتلقي للنص[1].أمـــا

نحو الجملة أو في نحو النص؛ إذ فرق كبير بين الدلالـــة والمعنـــى؛ لأن المعنـــى لا يوجـــد إلا بالتركيب؛ إذ هو ناتج عن تفاعل مقدمات توصل إليه، وهو منطقي مستفاد من دلالة اللفظ. بينمـــا الدلالة قضية أخرى مختلفة؛ إذ توجد في اللفظ المفرد فلكل لفظ مفرد دلالة. وهذه الدلالـــة عنـــد تحليل اللفظ عامة تدل على مطابقه: صورة المرجع بالمصطلح الحديث، وما ينحل إليه المرجـــع في المنطق؛ أي أجزاؤه وما يلزم هذا المرجع حتى يقوم كزمانه ومكانه؛ أي ظرفه. فالدلالة فـــي اللفظ دلالة مفرد لا دلالة تركيب – من جهة – وهي شاملة للكل والجزء والظرف– مـــن جهـــة ثانية – وهي خلاف المعنى – من جهة ثالثة – فإن ركب اللفظ مع لفظ آخر صارت الدلالة فـــي الذهن معنى ناتجا عن تركيب الدلالة، لا عن الدلالة ذاتها، وصار المعنى صـــرف الدلالـــة عـــن المطابق أو إليه، أي صار المعنى تخصيص الدلالة. وهذا ما لم يلتفت إليه فنديك ولا سواه ممـــن ناقشوا نحو الجملة أو نحو النص. اللهم إلا جون ليونز في موضعين الأول حين بين أنّ المشـترك اللفظي يمكن أن يحمل دلالتين أو أكثر عندما يكون مفردا. فلفظ (housewife) مفردة معناها ربـة بيت، وعلبة خياطة صغيرة. إلا أنها عند التركيب إما أن تكتسب تحديدا للمعنى أو تظـــل علـــى عمومها بين المعنيين فمثـــال الأول: (buxom housewife). ومثـــال الثـــاني (beautiful housewife good housewife). والموضع الثاني حيـــن قـــرر أن العبـــارات مـــن مثـــل(I haven't) يمكن أن تنطبق على كل فعل منفي لو وجود السياق الكلامي التركيبي الذي يحددهـــا بدلالة واحدة دون سواها من ضمن الممكن المعنوي الافتراضي. [**اللغة والمعنى والسياق: جـــون لوينز، ص١٧١-١٧٢، ٢١٨**] ومختصر القول أن المعنى يتركب من دليلين فأكثر بينما الدلالـــة تكون قبل التركيب فـــ[الدال (١) = المدلول (١) = المرجع (١)] + [الدال (٢) = المدلـــول (٢) = المرجع (٢)]+ [الدال (ن) = المدلول (ن) = المرجع (ن)] = معنى (١) فـــالمعنى مســـتفاد مـــن التركيب وليس من العالم كما ظن فنديك في بحثه. فالخلط جاءه من مساواته بين الدال والمدلـــول من جهة، ومساواته بين المدلول والمرجع حينا، وبين المدلول والمعنى حينا آخر من جهة ثانيـــة، فالمدلول ليس المعنى، والمرجع ليس المعنى أيضا (سواء الصورة التي في الذهن أو تلك التـــي في الواقع) بل المعنى هو النتيجة المحصلة من ارتباط الدال(١) بالدال (٢) إذ خصص الـــدال (١) الدال (٢) والعكس صحيح فنشأ المعنى من تحديد المراد المقصود من الدلالة أهـــو المطـــابق أم المتضمن أم الملازم أي الكل أم الجزء أم الظرف الملازم.

(١) انظر: لسانيات النص، ص ٣١-٣٣.

الانسجام، فقد جعله مرتبطا بالدلالة؛ وذلك من خلال التعالقات التالية، وهي: تطابق الذوات[1] والكل والجزء، والملكية[2]، ووجود الإطار[3]، والحالة العادية المفترضة للعوالم[4]،

وتعالق المحمولات[5]، والتذكر والاسترجاع[6]. وأدخل في انسجام النص، قضية الترتيب، وركز على الترتيب المقيد، دون الحر؛ إذ هو الذي يظهر قصدية الناص. وحدوثه -أي الترتيب المقيد - دون أثر دلالي، أو تداولي، يخل بالانسجام في النص من وجهة نظره[7]. ثم تحدث في قضية تمام النص ونقصه[8]. وبين أن المعتبر في النص، ليس التمام أو النقص، بل هو الاختيار، بحيث لا تظهر جمل أو قضايا لا تخدم البنية الكلية في النص؛ لأن ذلك يؤدي إلى اختلال انسجام النص[9] وبنى فنديك

---

(١) الضمائر المحيلة إلى شيء بعينه، ويعبر عنه مرة ثانية بالتطابق الإحالي. وهو ما يعرف في الثقافة العربية بدلالة المطابقة في المبهم والمضمر.

(٢) وهو ما يعرف في الثقافة العربية بدلالة التضمن.

(٣) كعلاقة الخاص بالعام وهو ما يعرف في الثقافة العربية بدلالة التضمن أيضا.

(٤) كوجود أشياء ضمن تصور كلي مما يفضي إلى الحقل الدلالي وهي من دلالتي التضمن والالتزام.

(٥) كعلاقة أشياء لا تنتمي إلى حقل دلالي واحد ولكنها تستلزم وجودها في إطار قريب أي علاقة بين إطارين قريبين وهو ما يدخل في دلالة الالتزام.

(٦) خلق علاقة نتيجة لوجود علاقة أخرى قائمة تطلبها مما يندرج تحت دلالة التضمن أو الالتزام .

(٧) الترتيب الحر : لا يظهر للمتلقي دليل على أصله: كان معي علي وسليمان وتوفيق. بالنسبة للمتلقي هذا لا يختلف عن الترتيب التالي كان معي توفيق وعلي وسليمان. إذا كان يسمع الجملة لأول مرة.

الترتيب المقيد: يظهر مباشرة أن الترتيب فيه اختلاف عن الأصل : صليت ركعتين ثم توضأت ودخلت المسجد. فسيسأل المتلقي: الأصل أن يتوضأ ثم يدخل المسجد فيصلي...

(٨) الخطاب التام هو الذي يذكر كل الوقائع المشكلة لمقام معين يوجد فيه. ولا يمكن تحقيقه واقعا. الخطاب الناقص هو الذي ينفي من الوقائع الفعلية المشكلة لمقام معين يوجد فيه.

(٩) انظر: لسانيات النص، ص ٤٠-٤٢.

كل هذا؛ ليصل إلى أنّ النص، ما هو إلا بنية كلية، ذات موضوع؛ بمعنى: أنّ النص يدور في بؤرة محددة، هي موضوعه. وأنّ كلّ الجمل الأخرى، ما هي إلا شرح، وتفسير، وإعادة صياغة، لتلك البؤرة. واستدل على سلامة فكرته، بأن المتلقي، بعد سماعه للخطاب، أو قراءته للنص، يسأل: ماذا قال؟ هذا موضوع غير مترابط. ما العلاقة بين هذه وتلك؟...الخ. وهذا يؤكد أنّ المقصود هو إيجاد بنية كلية ذات موضوع [1].

مما تقدم، يظهر جليا أنّ فنديك لم يكن يبحث عن تحليل الخطاب، بقدر ما كان يبحث عن منطقية النص. ورغم ذلك لم ينجح في إثبات هذه المنطقية، ويدل على ذلك، ما قدمه جون ليونز في كتابه اللغة والمعنى والسياق حين قرر المثال التالي[2]:

(Have you seen Mary? I haven't. Peter hasn't ether. She is never here when she should be.)

فأكد نصية هذه المتتالية الجملية، في حين رفض رفضا قاطعا، قبول نصية المتتالية الجملية ذاتها حين أضاف إليها بعض التحسينات، التي لا تمس العلاقات التي قررها فنديك سواء في مستوى الترابط، أو الانسجام، أو الترتيب، أو البنية الكلية والموضوع، ولا يمكن عدُّ التحسينات التي أضافها جون ليونز، من قبيل تلك التي عدها فنديك نصوصا فوق تامة، أو تحت تامة، والنص المحسن هو التالي:

(Have you seen Mary? I have not seen Mary. Peter has not seen Mary (ether). Mary is never here when she should be.)

---

(1) انظر: نفسه، ص٤٢-٤٦.

(2) جون ليونز: اللغة والمعنى والسياق، ص ٢١٩-٢٢٠.

فالقاعدة التي أقرها فنديك، بأنّ القضايا تكون متعالقة؛ أي تحقق النصية، بقدر ما تكون مرتبطة بموضوع التخاطب، عادت مسألة فيها نظر؛ إذ القطعة الثانية أشد ارتباطا بموضوع الخطاب من الأولى فقد حققت تطابق الذوات، والتطابق الإحالي، ووجود إطار، وتعالق محمولات، وعلاقة استرجاع، مع هذا لم تحقق النصية.

على كلٍّ، فهذا مجمل رأي فنديك في نحو النص، ولا نزعم أنه لم يقارب قضايا نحو النص، بل ندعي أنه قاربها في جزئية من جزئياتها، وعنصر من عناصرها، دون أن يصل إلى نظرية دقيقة شاملة، لمفهوم النص ونحوه، قابلة للتطبيق على جميع النصوص، لا على تلك التي اختارها هو، أو صنعها.

٣ – براون ويول ونحو النص

ينطلق براون ويول، باتجاه ثالث، حيث يعدان كلّ وحدة لغوية أكبر من الجملة، موضوعا لتحليل الخطاب[١]، وينطلقان أيضا، من اختزال وظائف اللغة، إلى وظيفتين أساسيتين، هما: النقل والتفاعل[٢]؛ لذا، كان من أبرز مبادئ الانسجام، في الخطاب– عندهما– السياق؛ بمعنى: مجموع العناصر الخارجية (غير اللغوية)، التي تساعد في نقل المعلومة،

---

(١) انظر: لسانيات النص، ص ٤٧ .

(٢) نفسه: ص ٤٧–٤٨ ومفهوم النقل عندهما هو: نقل المعلومات بين الأفراد والجماعات والأفكار والثقافات. أما مفهوم التفاعل فهو: استخدام اللغة من أجل تعزيز العلاقات الاجتماعية والحفاظ عليها.

أو تنشيط التفاعل، ضمن مفهوم التعاون، بين المرسل والمتلقي[١]. وذكروا عشر خصائص، يمكن أن نلاحظ تأثيرها في خطابات متنوعة، مجتمعة أو متفرقة[٢]، وهي: المرسل، والمتلقي، والجمهور، والموضوع، والمقام، والقناة، والنظام، وشكل الرسالة، والمفتاح، والغرض[٣]. وكان مبدأ التأويل المحلي، ثاني مبادئ الانسجام – عندهما – بمعنى: تقييد تأويل النص بما ورد فيه من معلومات، واستغلال المعرفة السابقة، عن طبيعة النصوص، وتشكل المواقف؛ أي: الالتزام بدوائر النص المعطاة، دون التعسف في التأويل، وليّ عنق النص، باحتمال المعنى البعيد، عند وجود معنى أقرب، يمكن التدليل عليه، من النص مباشرة[٤]. أما مبدأ التشابه، فكان ثالث هذه المبادئ، ويعني: اعتماد مقارنة نصوص حالية بنصوص

---

(١) نفسه:ص ٥٢- ٥٦؛ لأن إلزام المتكلم /الكاتب نفسه بالوظيفتين أو إحداهما يدل على تعاونه مع المتلقي؛ إذ هما الوظائف المحتملة للغة عندهما.

(٢) نفسه، ص٥٢.

(٣) نفسه :ص٥٣. ويمكن توضيح مفهوم كل واحدة من هذه الخصائص فيما يلي:

- المرسل: المتكلم /الكاتب الذي ينتج القول.
- المتلقي :المستمع/القارئ الذي يتلقى القول.
- الجمهور: هم الحضور مستمعون آخرون حاضرون يساهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي.
- الموضوع: مدار الحدث التواصلي.
- المقام :زمان ومكان الحدث التواصلي وكذلك العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين بالنظر إلى الإشارات والإيماءات وتعبيرات الوجه...
- القناة :الكيفية التي يتم بها التواصل بين المشاركين في الحدث التواصلي: كلام، كتابة، إشارة...
- النظام :اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغوي المستعمل في التواصل.
- شكل الرسالة: دردشة، جدال، عظة، خرافة، رسالة غرامية...
- المفتاح :الهدف من الرسالة وغايتها: الإقناع، التأثير .
- الغرض:أي أنّ كل ما قصده المشاركون نتج عن الحدث التواصلي.

(٤) نفسه: ص٥٦-٥٧.

المبادئ، ويعني: اعتماد مقارنة نصوص حالية بنصوص سابقة، والقياس على معطيات السابق في اللاحق[1]. وختم هذه المبادئ بمبدأ التغريض، ويعني: افتراض أن الجملة الأولى، في أي نص، لها الحظ الأوفر في التأثير بالجمل التالية؛ ذلك أنّ كل جملة، تُفهم بناء على معطيات الجملة التي قبلها، وحركة النص، حركة تراكمية خطية؛ لذا كانت الجملة الأولى، هي الأوفر حظا في التأثير[2]، مما حدا بعض الدارسين، إلى عد العنوان، هو مفتاح العلاقات في النص، وموجه الفهم؛ لأنه يكون في البداية[3].

يمكن لنا من مناقشة المبادئ، التي قدمها براون و يول، أن نتوصل فعلا إلى أنّ التشابه مثلا، من وجهة نظرهما، يفترض وجود خبرة عامة سابقة، عن النصوص والمواقف، فهما يفترضان أنه لا وجود لفهم النص، ما لم توجد معرفة العالم. وهذه الفكرة، لا تختلف، إلا بالصياغة، عما قدمه فنديك، في هذا المنحى. أما عند حديثهما في التأويل المحلي، فكانا يتحدثان في قضية أي الملازمات التي يجوز استدعاؤها، عند تأويل النص؟ هذه الفكرة كانت في خلد فنديك تماما، ولكنه أولى مناقشة المتضمن على الملازم، وهما فعلا العكس؛ أي قدما مناقشة الملازم على المتضمن. ونظرا لحديثهما في التفاعل، وظيفةً من وظائف اللغة، فقد بنيا عليها أنّ النص الذي يفقد خيطا من خيوط التواصل التفاعلي، لا بد من افتراض هذا الخيط فيه، بناء على منطق صوري خالص، وإلا عادت اللغة غير تفاعلية. وهذا أيضا، كان من منهج فنديك؛ لذا كانت عمليات الانسجام، التي قامت عندهما، على هذه المبادئ، هي ما

---

(1) نفسه: ص ٥٧- ٥٩.

(2) نفسه: ص ٥٩-٦١.

(3) نفسه، ص ٦٠.

يلي: أولا: المعرفة المسبقة: وتنحصر عندهمـــا فيمـــا يلـــي: الإطـــار، والمدونة، والسيناريو، والخطاطة، وهي جميعا توصل إلى فكرة واحدة مع اختلاف المسميات[١] فاستعمل علماء النفس المعرفي الأخيرين، في حيـــن استعمل علماء الذكاء الاصطناعي[٢] الأولين[٣]. ثانيا: الاستدلال كافتراض تجسيري[٤]. ثالثا: الاستدلال كرابط مفقود[٥]. وميزا، خلال هذا العنـــوان، بين الاستدلال، والترابط الآلي، والترابط غير الآلي[٦]، ووصلا إلى نتيجة أنَّ الاستدلال يعدُّ ملء للفراغ، أو التقطع في التأويل[١].

---

(١) انظر نفسه ص ٦١-٦٩، ويمكن تحديد مفهوم كل مصطلح من السابقة بدقة بما يلي:

الإطار: طريقة تمثل بها المعرفة الخلفية بوجود وضعيات جاهزة في ذهن المتلقـــي ناتجـــة مـــن معرفته بالعالم يقوم من خلالها بتكيف المعطى الجديد بتغيرات وتحويرات علـــى تفـــاصيل عنـــد الضرورة؛ أي استحضار كل البيئة المحيطة بالمرجع في الواقع كخبرة سابقة يوظفها المتلقي فـــي فهم النص.

المدونة :جزء من الإطار تعنى بتأكيد أنَّ ما يفعّل من الإطار هو التابع القريب ويســـتبعد التـــابع الأبعد.

السيناريو: استغلال المتكلم/الكاتب للمقدمات المناسبة كي تقود إلى تنشيط الإطار المناسب خـــلال عملية التواصل .

الخطاطة: استغلال المتكلم/الكاتب بنيات معرفية تضم توجهات حتمية ضمن الثقافة الفرد وجنســـه تهيئ المتلقي لتأويل النص بطريقة ثابتة.

(٢) الذكاء الاصطناعي، هو: البرمجيات التي تحمّل بها الآلة لتسلك (سلوكا محـــددا أو تصـــل إلـــى نتيجة) بناء على البرمجة فتمتلك القدرة على القياس.

(٣) نفسه: ص ٦٢.

(٤) نفسه: ص ٦٩-٧٠، ويقصد بهذا المصطلح عملية افتراضية يقوم بها القارئ للانتقال من المعنـــى الحرفي(المنطوق حسب مصطلح علم أصول الفقه) لما هو [مكتوب / مقـــول] إلـــى مـــا يقصـــد [المتكلم/ الكاتب] إيصاله(المفهوم حسب الأصوليين).

(٥) نفسه ٧: -٧١، ويمكن ضبط مفهومه بما يلي:وصول المتلقي إلى نتيجة لم تذكـــر فـــي النـــص باستغلال مقدمات صادقة مذكورة .

(٦) نفسه: ص ٧١-٧٢، ويمكن أن يعرّف كل مصطلح منها بما يلي:

تجدر الإشارة هنا إلى أنّ علماء الذكاء الاصطناعي الذين عنـــوا بعلم اللغة النصي وتحليل الخطاب، لم يتعدوا إجمالا الأفكار التي قدمـــت أنفا، وبخاصة، تلك التي قدمها فنديك، وبراون ويول[٢]، فقد عنوا جميعـــا بمنطقية النص، من خلال المقدمات والمعنى والأسباب والنتائج.

- **لاستدلال** :عملية قبول احتمال دلالة مقدمات على نتيجة لا توصل إليها أصلا مع عدم وجود مقدمات كافية تسند نتيجة أخرى.
- **الترابط الآلي** :عملية الاستنتاج من مقدمات صادقة.
- **الترابط غير الآلي**:عملية الاستنتاج من مقدمات صادقة. نتيجة تعد مقدمة جديـــدة لاســـتنتاج تال.

(١) نفسه ص ٧٣-٧٥ ويقصد بها عملية الاستدلال التي في الهامش أعلاه؛ بمعنى هو الوضع الـــذي يحتاج المتلقي إلى إنشاء مقدمات إضافية غير موجودة في النص أصـــلا قائمـــة علـــى معرفتـــه الشخصية بالعالم من أجل الوصول إلى الفهم.

(٢) راجع: لسانيات النص، ص٦، ٧٧-٨٧.

الخلاصة

عرضنا، في المقدمة الثانية، لأربعة كتب، تناولت موضوع نحو النص، في الثقافة العربية. آملين أن نستطيع تعميم النتائج التي وصلنا إليها، من خلالها، على مجمل الثقافة العربية، وقد فعلنا. وعرضنا هنا في مقدمتنا الثالثة، وجهة نظر ثلاثة كتب، في الثقافة الغربية المعاصرة، تناولت نحو النص بالدراسة. وسنحاول بناء على ما ذكرناه، في هذه المقدمة، أن نخلص إلى نتائج، نعتقد أنها قابلة للتعميم، على مجمل الثقافة الغربية، في موضوع نحو النص، أسوة بما فعلنا، في مقدمتنا الثانية.

لقد حاول علماء الغرب جاهدين الوصول إلى قواعد عامة، وقوانين ثابتة، تحكم النص اللغوي. وما الجهود التي عرضناها في مقدمتنا هذه، إلا دليل صارخ على صدق نواياهم تجاه هذا الأمر. مع هذا فإن الجهود الثلاثة، يمكن أن توصف بأنها لم تستطع الوصول إلى قواعد كلية تحكم النص، ولم تصل إلى قوانين عامة له، بل حاول كل نفر منهم، أن يثبت نظريته، بالأدلة، وبالبراهين المتوفرة لديه، دون أن يلتفت إلى جهد الآخر- عمليا- ويبني عليه. فنظر الأول في التماسكات النحوية، في حين نظر الثاني في الترابطات الدلالية، في مستوى الربط الدلالي التضمني، ونظر الثالث في الترابطات الدلالية، في المستوى الدلالي الالتزامي، فلم يلتفتوا إلى تعاضد تلك القضايا فيما بينها، لتشكل بذرة طيبة لنحو نص حقيقي، كما أنهم جميعا أغفلوا التطبيق الكلي على النصوص الكاملة، واكتفوا بالإشارة إلى مقطعات من نصوص، أو متتاليات جملية مصنوعة، ليست طبيعية. وهذا، وإن وقع به بعض الدارسين العرب، إلا أنهم كانوا يعتمدون على مقطعات طبيعية، وليست مصنوعة.

وإن وجدنا علماء العرب لا يذكرون مصطلح نحو النص صراحة، وإن دندنوا حول مفهومه كما ذكر سعيد حوى في أساسه في المقدمة الأولى، فقد وجدنا علماء الغرب، لا يتفقون على المصطلح الذي أطلقوه، ليضم كل تلك الجهود، فتشعب إلى مصطلحات كثيرة، ظهرت في عناوين كتبهم، من مثل: نحو ما فوق الجملة، نحو النص، علم النص، قواعد النص، علم اللغة النص، تحليل الخطاب، التماسك والاتساق النصي... الخ.

وكانت النقطة الثابتة في الجهدين الغربيين الأخيرين، دون الأول، أنهما تجاوزا مادية اللغة وتجريبيتها، إلى معنوية اللغة ومنطقيتها، وهذا تحول في المنهج، وليس تطورا في المعرفة، والثابت للبحث، أنّ الغرب في جهودهم الحثيثة، للوصول إلى نظرية في نحو النص، لم يستطيعوا أن يتجاوزوا أربع مقولات للعلماء العرب، ظهرت جليا في تراثنا اللغوي، هي:

* أدوات الربط ذات أثر فاعل في ربط النصوص وتماسكها: ذلك أن علماء العرب درسوا هذه الأدوات في إطار دراستهم للنحو التقليدي، وكل ما أضافه علماء الغرب في هذا الباب أنهم جمعوا هذه الأدوات في صعيد واحد وأدخلوها في دراسة نحو النص مباشرة.
* دراسة الدلالة وأنواعها: ذلك أن علماء العرب في إطار جهدهم الأصولي درسوا الدلالة وأقسامها: المطابق، والمتضمن، والملازم، في المباحث اللغوية وكل ما أضافه علماء الغرب أنهم ربطوها

بمصطلح نحو النص، في حين أن أصوليينا[١]، لم يدرسوها تحت هذا المصطلح، وإن درسوها ضمن مفهومه، لأن النص القرآني كان في أذهانهم .

* دراسة النص ضمن إطار معرفة العالم: ذلك أن علماء العرب لم يستطيعوا أن يتجاوزوا معرفتهم بأسباب النزول، والسيرة، والحديث، والتاريخ...الخ، ولم يستطع علماء الغرب أيضا، أن يتجاوزوا معرفة المقام الحالي الخاص، عند فهم العلاقات داخل النصوص. بيد أنّ العرب- في إطار التنظير، لا التطبيق- قد تجاوزوا هذه المشكلة، لكن التقليد،وعدم القدرة- عمليا- على كسر السائد، أبقاهم دائرين في فلك معرفة العالم. فالمشكلة- عربيا- تختلف عنها- غربيا- فهم لم يستطيعوا على المستويين-التنظيري والتطبيقي- تجاوز معرفة العالم، في حين تجاوز العرب المسألة على مستوى التنظير ووقعوا فيها على مستوى التطبيق.
* جزئية التفكير في النص: فالذين تحدثوا في قضايا نحوية، أغفلوا القضايا الدلالية، فتحدث هاليداي في التماسك النحوي في النص، وأغفل الترابطات الدلالية، كما أن براون ويول، وفنديك تحدثوا في ترابطات دلالية، وأغفلوا التماسك النحوي، وقد وجدنا ذات الأمر عند البقاعي، وسعيد حوى، اللذين تحدثا في الترابطات الدلالية في النص، وأغفلا التماسك النحوي فيه[٢].

---

(١) راجع:البحث النحوي عند الأصوليين، ص ٢٩٣-٣٠٩.

(٢) ربما كان لعلماء العرب فضل في بروز إدراكهم – جميعا – لأهمية التماسكات النحوية وأثرها في النص في حين لم تظهر هذه الأهمية عند سائر علماء الغرب.

الفصل الثاني:

النص القرآني: تطبيق

- من النص إلى الفقرة.
- من الفقرة إلى النص.

تمهيد الفصل الثاني

بعد أن مضى حديث في الفصل الأول في مفهوم النص وآراء النصيين فيه — عربا وغربا— بدا أنّ في كلامهم صوابا كثيرا وخطأ، وقد وُضح كل رأي من تلك الآراء في حينه وموضعه. بقي كي تكتمل الصورة أن يُقدم بديل مناسب يجلي ما استطاع إلى ذلك سبيلا نحو النص بأن يدخل فيه ما هو منه، ويخرج منه ما ليس كذلك. ولتحقيق ذلك سنحاول أن نتلمس القواعد الأساسية التي تحكم النص نحوا ودلالة من خلال التطبيق في سورة البقرة كما أرهص بذلك عنوان الرسالة.

كانت البداية هي الأصعب: فمن أين نبدأ؟ أ نبدأ من أصغر وحدة في النص، أم من أكبر وحدة فيه؟ فإذا كان النص، في بنائه النهائي، هو الوحدة الكبرى، فما وحدته الصغرى: أهي الصوت، أم الكلمة، أم العبارة، أم الجملة، أم الفقرة، أم خلاف ذلك[١]؟

كان لزاما علينا منطقيا أن نبدأ من البناء الكلي، المقدم لنا، وهو النص؛ لنبحث عن وحداته الصغرى. وقد تبين بعد تفكيك النص، أنّ

[١] قلنا هذا لأن نحو الجملة القديم ناقش الجمل منبتة عن سياقها النصي، ونحو الجملة الحديث ناقش ذات المسألة ولكن ضمن مدرستين: الأولى ما درسناه في البنيوية، من أن أصغر وحدة قابلة للبناء، والتراكب، في اللغة، هي الصوت (الفونيم) ثم تتركب منه الكلمة ومن الكلمات الجملة التي تحمل دلالة، والثانية ما عرفناه ، في النحو التوليدي- التحويلي من أن الجملة (sentence) هي أصغر وحدة، قابلة للتحليل؛ إذ تنحل إلى كلمات والكلمات تنحل إلى أصوات. فحق لنا، أن نسأل عن أصغر وحدة قابلة للتركيب والتحليل في النص، وبخاصة أنه قد تبين لنا من مناقشات مرت في الفصل الأول أن النص ليس مجرد تتالي جمل يحكمها نحو الجملة.

وحدته الصغرى هي الفقرة، فوسمنا عنوان المبحث الأول من هذا الفصل الثاني باسم (من النص إلى الفقرة) وحاولنا فيه، أن ندلل على هذه الحقيقة، من أن الفقرة هي أصغر وحدة في النص، فبحثنا عن القوانين والقواعد العاملة فيها، فوجدناها لا تخرج عن قانونين أساسيين، يقومان على مجموعة كبيرة من القواعد. أما القانون الأول، فهو القانون الذي يؤذن بابتداء الفقرة وانتشارها من بعد، واقترح البحث حينها تسميته بقانون الاتساع. وأما القانون الآخر، فهو القانون الذي يؤذن بضم الفقرة وإحكامها؛ وكأنه يعمل على الطي بعد النشر، الذي عمل عليه القانون الأول، واقترح البحث تسميته بقانون الاقتصاد؛ لما يتم فيه من اختصار عناصر في النص على مستوى المفردة والتركيب. ثم تبين أنّ هذه العملية، بعمل هذين القانونين في النص، لا تثبت كل الصورة المرتجاة، التي نريدها، بل تؤكد شطرها فقط؛ أي أنَّ النص مكوَّن من فقرات؛ هي وحداته الصغرى، دون أن نثبت أن هذه الفقرات — وهي منفصلة؛ إذ إنَّ كلَّ وحدة مستقلة عن أختها— مترابطة فيما بينها؛ إما نحوا، أو دلالة، فأنشأنا عنوانا جديدا، هو المبحث الثاني، ووسمناه (من الفقرة إلى النص) وحاولنا فيه، أن نجد هذه القوانين، أو المبادئ، أو الطرق، التي تسمح للوحدات الصغرى (الفقرات) بالترابط فيما بينها، وختمنا هذا الفصل بمجموعة من النقاط التي تعد- من وجهة نظرنا- خلاصة نتائجه.

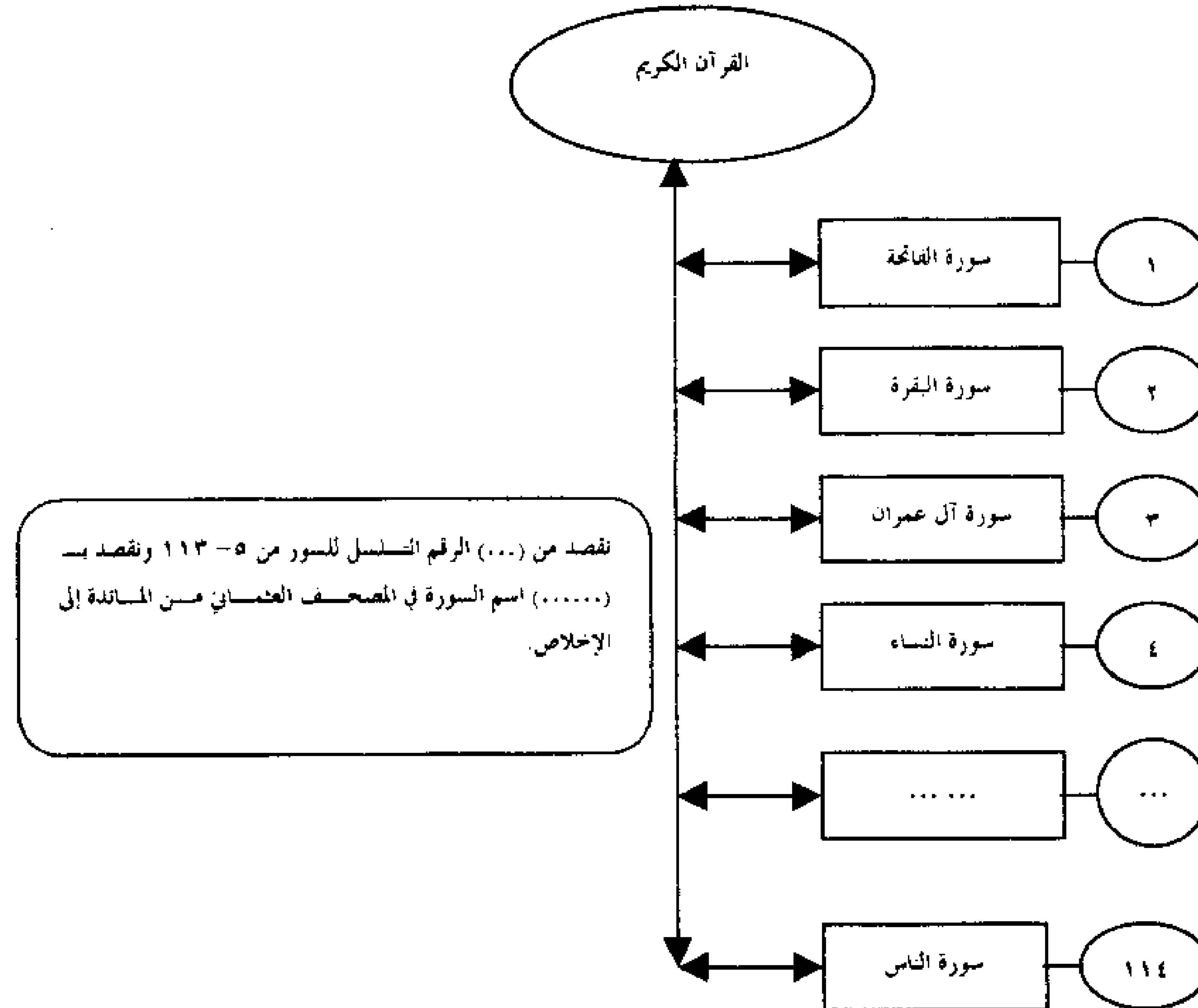
قصد البحث أن يشير إلى أن النص يبتدئ من ذاته وينتهي فيها ولا يتجاوز ذلك إلى العالم بحال من الأحوال؛ ذلك حين بدأ هذا الفصل بعنوان (من النص إلى الفقرة) وقفاه بعنوان (من الفقرة إلى النص)؛ ليثبت بهذا الفعل أنّ التفكيك والتجميع للنص أو التحليل والتركيب فيه ما هما إلا

عمليتان دراسيتان تهدفان إلى الوصول إلى قوانينـــــه وقواعـــده لا إلـــى عناصره وأجزائه.

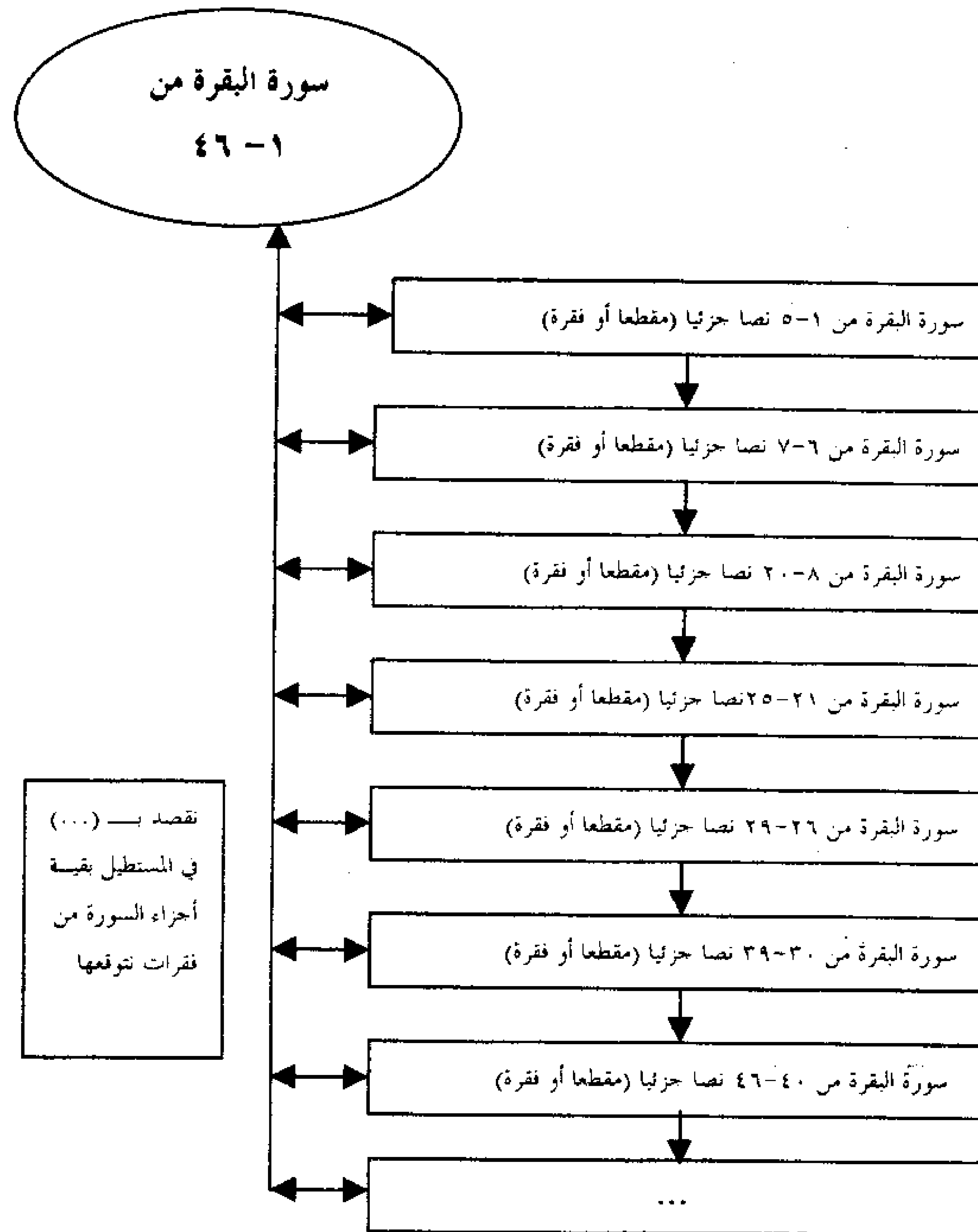
١
من النص إلى الفقرة

٠- مدخل

سنبدأ أولا بالتعريف بشكل النص، الذي اخترناه؛ لتحديد قواعد النصية فيه. هذا النص هو النص القرآني، وهو — كما نعلم جميعا – ذلك الكلام المنزل من الله تعالى على نبيه محمد ابن عبد الله ﷺ بواسطة الوحي جبريل عليه السلام المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس، الموجود بين دفتي المصحف. فلو أردنا أن نتصور النص القرآني، فإننا لا بد من أن نمر بالخطاطة التالية:



وضمن هذا التصور للنص القرآني، سندرس سورة واحدة مـــن سوره، وهي سورة البقرة؛ أي السورة الثانية، ولو أردنا أن نكوّن تصورا كليا عن هذه السورة، بمعنى أن نجعلها نصا مستقلا، فإنه يمكن أن نكـوّن الصورة الجزئية التالية، بتحليل النص(سورة البقرة) إلى نصوص أصغر، وذلك كما يلي:

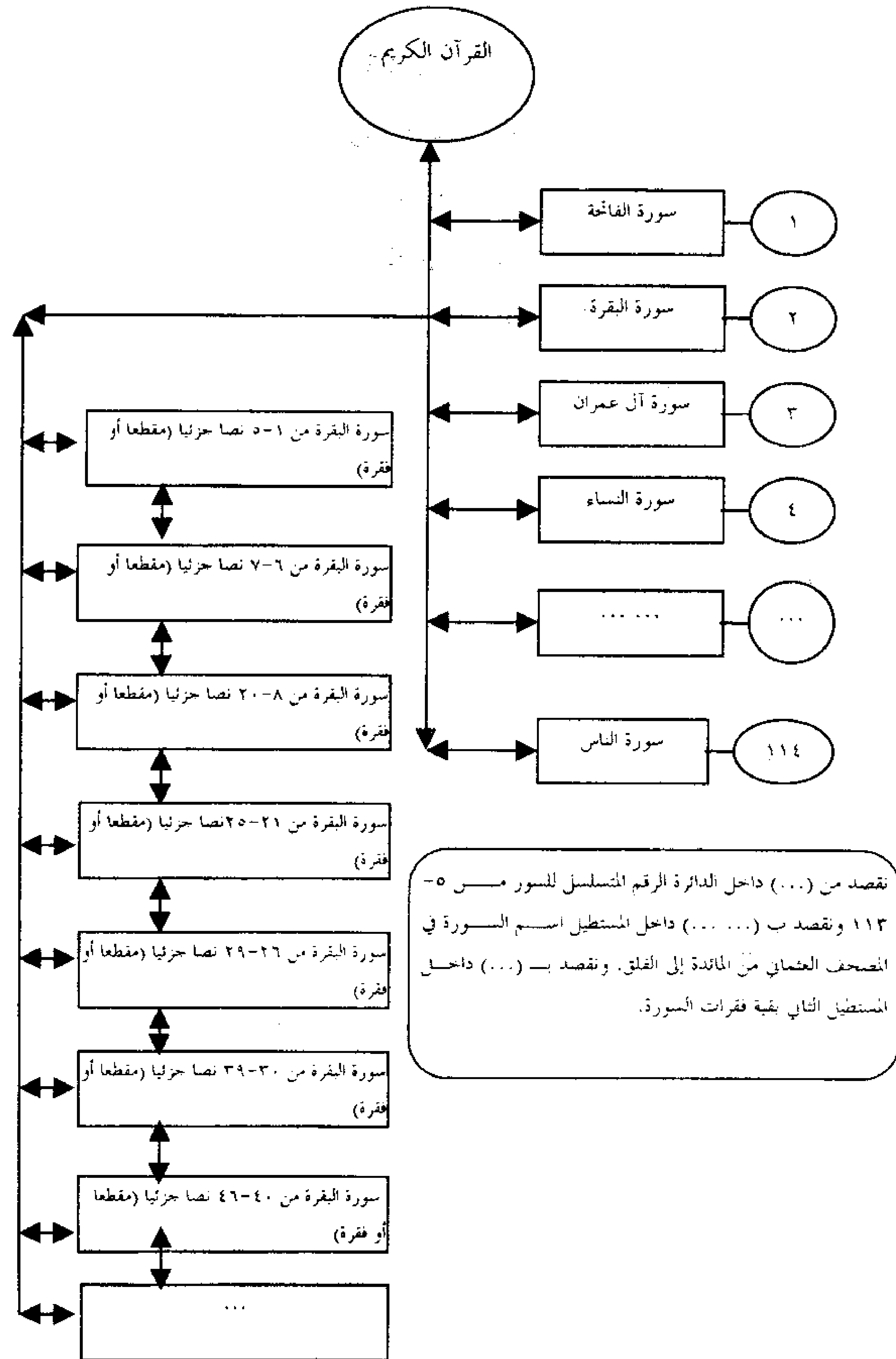


هذه العملية المجزئة للنص الكلي، إلى نصوص أصغر، ليست بدعا، أو عملية خارجة عن قدرات العقل البشري، وخواصه في التصور، بل هي قائمة في قدرته على التركيز، بمعنى أنه قادر على تصور الكل، وعلى تصور الجزء، وعلى تصور الجزء تصورا كليا، وتصور الكل تصورا جزئيا، ولا يعنى هذا الفصل، فصلا قطعيا، بين الكل والجزء، بل هو فصل مؤقت؛ للوصول من خلاله إلى إدخال جزئيات غير متناهية، في كل واحد، بقصد فهم العلاقات الموجودة للكل، على صورته، التي تبدر للذهن أول وهلة. وهي عملية آلية، غير مقصودة لذاتها، ولا في ذاتها، يستغلها الباحثون — عادة —لأغراض الدراسة، والمعلمون لأغراض التدريس[1].

ولو أردنا تصور سورة البقرة، تصورا كليا له أجزاء، داخل التصور الكلي للقرآن الكريم، فإننا نحتاج إلى تجميع الخطاطتين؛ أي الخطاطة التي يتصور من خلالها العقل البشري القرآن الكريم كاملا، والخطاطة التي يتصور من خلالها الجزء (سورة البقرة) بعد أن يقوم بتحليلها، إلى أجزائها؛ فينتج — لدينا — الخطاطة الجديدة التالية:

---

[1] تماما كالعملية التي قام بها دوسوسير عندما فصل بين علم اللغة الآني والتعاقبي لذات الغرض. انظر: علم اللغة العام، ص٩٨-١١٧ .


القرآن الكريم
سورة الفاتحة
١
سورة البقرة
٢
سورة آل عمران
٣
سورة النساء
٤
... ...
...
سورة الناس
١١٤
سورة البقرة من ١-٥ نصا جزئيا (مقطعا أو فقرة)
سورة البقرة من ٦-٧ نصا جزئيا (مقطعا أو فقرة)
سورة البقرة من ٨-٢٠ نصا جزئيا (مقطعا أو فقرة)
سورة البقرة من ٢١-٢٥نصا جزئيا (مقطعا أو فقرة)
سورة البقرة من ٢٦-٢٩ نصا جزئيا (مقطعا أو فقرة)
سورة البقرة من ٣٠-٣٩ نصا جزئيا (مقطعا أو فقرة)
سورة البقرة من ٤٠-٤٦ نصا جزئيا (مقطعا أو فقرة)
...
نقصد من (...) داخل الدائرة الرقم المتسلسل للسور من ٥-١١٣ ونقصد ب (... ...) داخل المستطيل اسم السورة في المصحف العثماني من المائدة إلى الفلق. ونقصد بـ (...) داخل المستطيل الثاني بقية فقرات السورة.

وقد يسأل سائل هنا فيقول: لقد جعلت القرآن الكريم كلا، وسورة البقرة جزءا، فكيف جعلت للجزء، سورة البقرة، أجزاء، في هذه الخطاطة؟ فنعيد السائل هنا إلى ما قدمناه، في الفقرة السابقة، من أن الجزء، إذا تم التركيز عليه، صار بالنسبة للمتلقي، كلا بحد ذاته، فاحتاج إلى تجزيء. وسنجد — فيما يلي — أنَّ جزء الجزء هذا(الفقرات داخل سورة البقرة). يمكن تجزيئه، إلى وحدات أصغر. وهذه **أول قاعدة من قواعد نحو النص** وهي، **قاعدة تفكيك النص إلى وحدات أصغر محتملة**؛ فلو حاولنا تصور النص القرآني، فسنجد فيه وحدات قابلة لنظر المتلقي، وأخرى غير قابلة لذلك النظر؛ بمعنى، أنها وحدات ثابتة؛ فهو، من حيث وحدته الكبرى (القرآن) ثابت، وكذلك هو؛ أي ثابت، بالنظر إلى وحدتيه الوسطى (السورة) والصغرى (الآية)، فلا مجال للتغيير داخل هذه الوحدات، أو التحوير؛ أي هي وحدات ثابتة، مستقرة، فلم يبق لمفكك النص شيء يتحكم فيه، ضمن أطر الوعي الجمعي، إلا الدلالة وما ينتج عنها من معان كلية، يمكن لمتلقي النص مفكِكا، أن يتوقع تمامها، أو احتياجها لما يليها؛ لذا قلنا فيما مضى إنّ البنى الدلالية في النص احتمالية؛ بمعنى، أنَّ كل مفكِك يحتمل وقوف النص عند جزء منه، ولا يمتنع على مفكِك آخر، أن يحتمل غير ما احتمل الأول، أو أن يفترض تجزيئا جديدا، لبعض المقاطع (الفقرات)، التي ظن مفكك للنص الأول، أنه يقف عندها. ونضرب مثلا لذلك، أنّ المقطع (أو الفقرة) الثالث، من سورة البقرة، الذي مددناه في هذا البحث، من الآية (٨) إلى الآية (٢٠)، ربما يوقفه بعضهم، عند الآية (١٦)، ويجعل الآيات من (١٧-٢٠) مقطعا(أو فقرة) جديدا، يحمل مضمونا منفصلا عن ذلك الذي نرتجيه فيه. ويظهر أن هذا الفعل، الذي يشار إليه هنا لا يثلب المنهج الذي نود تقديمه، والقاعدة التي نرتجي

تأسيسها؛ إذ إنّ كلا الفريقين المفككين، ما انفكا يسيران على منهج تفكيك المحتوى، مع غض النظر، عن نتائج هذا التفكيك. فيبقى القانون الضابط لعمل مفكك النص واحدا، وهو تفكيك المحتوى أو المضمون.

وقد يظن من تقسيم النص القرآني، في سورة البقرة، على هذا النحو، أننا نعتقد بأن هذه الأقسام لا وشائج قربى بينها، وأن كل مقطع من هذه المقاطع نص مستقل بذاته لا يربطه رابط بما سبقه ولا بما يلحق به. ونود أن نؤكد أننا سنحاول من خلال هذا التجزيء أن نصل إلى أمور، أولها: أن المتبادر أن النص، في ذهن متلقيه، نص مركب من وحدات كبرى وصغرى؛ بمعنى أن النص ليس كلا واحدا بل كلا موحدا ضمن حكمة ناصه، وأنّ هذه الأجزاء تكونت نتيجة النظرة الأولى إلى النص؛ أي أنه المتبادر من الوهلة الأولى وليس بعد إعمال قدرة المتلقي على التركيب. ويعمل التركيب على مستويات، أولها: تركيب النص المقطع في ذاته من أوله إلى آخره على أساس أنه هو أيضا وحدة كلية كبرى قابلة للتفكيك من جهة، وإعادة التجميع من جهة ثانية، بحيث يتم ربط المقطع الأول بالمقطع الثاني على مستويين، أولهما: حسن التخلص؛ بمعنى تمام المعنى مع نهاية المقطع الأول، وحسن الدخول إلى المقطع التالي نحويا ودلاليا، بحسن ربط أجزاء المقطع التالي بعضها ببعض، وربط المتحصل منها معنى، بالمتحصل من المقطع السابق معنى، دون تعارض أو تناقض أو استحالة، بحيث تستمر العملية في المقاطع التالية بالآلية ذاتها؛ أي تلك التي تم بها ربط المقطع الأول بذاته، وبما يليه. وهنا نجد أن المقاطع ترتبط بعضها مع بعض ارتباطات، منها ما هو داخلي على مستوى المقطع ذاته، وتكون نحوية من جهة، ودلالية من جهة ثانية، ومنها ما هو

خارجي على مستوى المقاطع المتتالية، وتكون نحوية ودلالية أيضا. نشير هنا إلى أنّ **القاعدة الثانية من قواعد نحو النص هي قاعدة التجميع.**

تجدر ملاحظة أنّ تفكيك النص مسألة دلالية عامة في الاعتبار الأول؛ إذ هي محاولة من المتلقي لأن يجعل كل متتالية جملية تعبر عن/أو تحمل موضوعا واحدا في صعيد، بينما مسألة تجميع النص فيه نحوية دلالية في آن معا، وتكون عملية داخلية وخارجية في الوقت ذاته أيضا. وربما لا نجانب الصواب إذا قلنا إنّ تجميع النص الذي نقول به هنا هو ما دار حوله علماء نحو النص من بداية نشأة هذا العلم إلى اليوم تحت عنوانين رئيسين، هما: التماسك والترابط *Coherence & Cohesion*؛ لأنهما عبارة عن محاولة لإعادة تجميع النص وفق منحيين، أحدهما نحوي والثاني دلالي. هذا يعني أنّ علماء النص -ضمنا- آمنوا بإحدى فكرتين الأولى، أنّ النص مفكك أصلا وبلا روابط، ويعمل نحو النص على إيجاد روابط غير موجودة في النص، وهذه فكرة بعيدة. والثانية أنّ النص وحدة كلية قابلة للتفكيك ولا يمكن فهمه حتى تفكك هذه الوحدات، ثم يعاد تجميعها من أجل الوصول إلى المنهجية التي ينبني عليها والأسس التي يعتمدها الناص في تركيب نصه. ولولا هذا الإيمان ما استطاعوا أن يتحدثوا في انسجام النص وترابطه.

١-١

بنيــة الفقــرة: النشــر

٠- مدخــل

يجد دارس النص، أيّا كان هذا النص، أنه يحمل أساسا، موضوعا واحدا، أو مجموعة مواضيع، ولو أمعنا النظر في النص القرآني – تحديدا – لوجدنا أنّه لا يختلف من هذه الناحية، عن بقية النصوص، أو الأعمال الأدبية الأخرى، فنجد فيه السورة النص الذي يتكون من موضوع واحد، والسورة النص الذي يتكون من أكثر من موضوع. ويمكن تمييز المواضيع بعضها عن بعض داخل هذه السور بطريقة بدائية جدا، ولكنها مضمونة في أغلب الحالات، وهذه الوسيلة هي الحدس بالموضوع بحيث تفصل بين الفقرات بتغير الموضوع بين متتاليتين جملتين؛ بمعنى أنّ الموضوع التالي يختلف عن السابق له من حيث الدلالة، ولكن هذه الوسيلة رغم كونها مضمونة في يد الخبير المتمرس، تفتقر إلى وجود دليل مادي عليها، يصدّق حدس الخبير، وهي ليست أداة مضمونة في يد المتعلم المبتدئ – دائما – ولذا لا بد من إيجاد آلية أكثر ضمانا من الحدس الخالص، يمكن الركون إليها عند الحديث في تمايز الفقرات.

١- بنيــة الفقــرة

قدمنا أنّ النص يتكون من نقاط فصل موضوعية هي الفقرات التي يدركها ابن اللغة، بحدسه وسليقته، ونود أن نسأل هنا، هل يمكن أن

تكون ثمة قوانين أساسية تحكم النص؟ وإذا كانت هذه القوانين حقيقة قائمة فما هي؟ وبخاصة أنّ الدراسات السابقة لم تقدم تصورا واضحا للفقرة، وللنص من بعد. وقد حاولنا في هذا الصدد أن ندرس - كي نصل إلى قوانين الفقرة - النص القرآني في سورة البقرة وتحديدا من الآية (١) إلى الآية (٤٦). وقد توصل البحث بعد تحليل تلك الفقرات – التي أوصلت إليها القراءة الأولى للنص حدسا– تحليلا نحويا إلى ما يلي:

١-١: البؤرة الأصلية

لم يستطع القدماء من المتعاملين مع النص القرآني تجاوز هذا الحدس الباني للفقرات داخل النص القرآني، ففي سورة البقرة تحديدا أجمع المفسرون على أن الآيات الأربع الأولى بعد {الـم} تتحدث في موضوع واحد هو المتقون، وأنّ الآيتين التاليتين؛ أي السادسة والسابعة تتحدثان في موضوع آخر هو الكافرون؛ في حين أنّ الآيات التالية من الثامنة إلى الآية العشرين تتحدث في موضوع ثالث هو المنافقون. ولم نستطع - مثلهم تماما - أن نتجاوز بحدسنا اللغوي هذه الحقيقة. فما الذي جعلها حقيقة في وعي أمة كاملة قديمها وحديثها؟ للإجابة عن هذا السؤال عمدنا إلى هذه الفقرات الثلاث أو المفاصل المذكورة آنفا محللين[١]؛ فوجدنا أن كل فقرة من هذه الفقرات الثلاث تحتوي على بؤرة أصلية؛ بمعنى أنّ كل فقرة تحوي جملة نحوية واحدة بؤرة تشكل في الذهن نسبة تامة مستقلة بقابليتها للفهم، في حين أن بقية الجمل التالية لهذه النسبة

[١] انظر: الملاحق من ١-٣.

تشكل نسبا ناقصة متعلقة بالجملة البؤرة، وتابعة لها لا تستقل بقابليتها للفهم. وتقع هذه البؤرة الأصلية - عادة - في بداية الفقرة؛ بحيث تكون أول جملها. وليس ذلك بغريب ولا مخالف لمجمل الآراء الحديثة في نحو النص؛ حيث حمّل علماء النص الجملة الأولى فيه عبء تراكمية المعنى[1] مع خلاف أصيل بيننا وبينهم؛ فهم يشيرون إلى العنوان - غالبا - على أنه البؤرة الأصلية في النص أو الجملة المفتاح (**Topic Sentence**) على مصطلحهم، ونحن نرى أن الجملة الأولى في كل فقرة هي التي تشكل البؤرة الأصلية، وليس شرطا أن تكون العنوان. ويمكن أن نشير هنا إلى الجمل التي شكلت بؤرا أصلية في النص الذي نحن بصدد دراسته؛ أي من الآية الأولى إلى الآية ست وأربعين وذلك كما يلي:

- ذلك الكتاب.
- إنّ الذين كفروا سواء عليهم.
- ومن الناس من يقول آمنا.

قلنا إنّ هذه الجمل تشكل بؤرا أصلية في فقراتها التي تنتمي إليها؛ لأن ما بعدها من الجمل والعبارات والألفاظ تعلقت بها بعلاقة ما، ولا يمكن فهمها إلا بتعليقها بها[2]. ويمكن تطبيق هذه الآلية في استنتاج أن الجمل التالية تشكل بؤرا أصلية في الفقرات التي تنتمي إليها وهي:

- يا أيها الناس اعبدوا .
- وبشر الذين آمنوا ...أنّ لهم.
- إنّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها...

---

(1) انظر: لسانيات النص، ص ٥٩-٦١.

(2) راجع الملاحق الثلاثة.

- كيف تكفرون بالله.
- وإذ قال ربك للملائكة إني.
- يا بني إسرائيل اذكروا.

تجدر هنا ملاحظة مهمة؛ وهي أن الجملة البؤرة لا يمكن أن تتشكل أصلا من نسبة ناقصة في الفقرة، بل يشترط فيها أن تكون علاقة حمل أو إسناد فقط، في حين أنّ الجمل التابعة لها يمكن أن تتكون من جميع النسب المحتملة في لغة ما؛ أي المحتملة في نحو الجملة في تلك اللغة.

١-٢: تمدد البؤرة

وجد البحث بعد التطبيق في سورة البقرة أنّ الفقرة لا تتكون من جمل منفصلة بل تتكون من جملة واحدة متصلة أو مستمرة فيما يليها من تراكيب: جمل، وعبارات، وألفاظ، بحيث تبقى هي المسيطرة على التراكيب التالية لها، وهذا ما يحقق الخطية في الفقرة. وعندما ينتهي التواصل النحوي داخل الفقرة تنتهي الفقرة ذاتها، لتبدأ فقرة جديدة. وهذا ما أشرنا إليه من كون الفقرات منفصلة غير متصلة؛ أي على المستوى النحوي فقط، دون المستوى الدلالي على ما سيتضح فيما بعد، عند الحديث في العنوان التالي (من الفقرة إلى النص)، وقد لحظنا أنّ الفقرة لا تتشكل فقط حول البؤرة الأصلية فيها، بل يمكن أن تستمر الفقرة بتعليق التراكيب التالية بعنصر من عناصرها، بحيث تتماسك العناصر الجديدة مع هذا العنصر المتماسك أصلا مع البؤرة الأصلية في الفقرة، دون أن

تؤثر هذه البؤرة الجديدة في تماسك النـــص النحــوي أو علـــى وحــدة موضوعه الدلالي. وقد أطلقنا على هذا العنصر الجديد الذي يساعد فـــي مسك النص النحوي اسم "البؤر الثانوية". وقد تبين أنّ البؤرة الثانوية يمكن أن تتكون من عنصر واحد في الفقرة أو أكثر. ونضرب لذلـــك أمثلـــة موضحة، بما يلي:

المثال الأول: عبارة {للمتقين} شبه الجملة عملت علـــى تحويــل النص من التعلق بالبؤرة الأصلية {ذلك الكتاب} إلى التعلق بها مباشـــرة، مع أنها علاقة توضيح منبثقة عن علاقة إســناد متماســكة مـــع البـــؤرة الأصلية {ذلك الكتاب}. وبقيت تعمل في الفقرة إلى أن انتهت الفقرة ذاتـــها بقول الحق سبحانه (هم المفلحون) .

المثال الثاني: الجملة المشكِّلة للخبر في الفقرة الثانيـــة { ســـواء عليهم} أنشأت بؤرة ثانوية غير تلك الأصلية التي بدأ بها النص فقرتـــه { إنّ الذين كفروا...} وبقيت الفقرة فيما بعد هذا التركيب المتشكل من علاقة حمل تدور في فلك هذا التركيب. ثم نشأ فيما بعد تركيب تالٍ وهو { ختـــم الله} متماسكا نحويا مع البؤرة الثانوية، وهو في الوقت ذاته بؤرة ثانويـــة جديدة تتوسع الفقرة من خلالها فيما يلي من تراكيب.

المثال الثالث: كانت البؤرة الأصلية في الفقرة الثالثة جملة {ومن الناس من يقول}. وقد شكلت جملة الصلة {من يقول} بؤرة ثانوية توســـع النص بالاستناد إليها، وبقيت هذه الصلة بالمفرد المقدرة به تشكل محـــل تعليق لكل التراكيب التالية لها.

وهذه البؤر الثانوية جميعا بقيت تتصل بالبؤرة الأصلية بعلاقـــات نحوية متعددة، بحيث لم تنفصل الفقرة الواحدة عند أي منها لتشـــكل فـــي

ذهن المتلقي قطعا موضوعيا[1]. ويمكن أن نوضح كيفية تعالق تلك البؤر الثانوية بالبؤرة الأصلية من خلال معرفة القوانين التي تسمح باتساع الفقرة، وذلك فيما يلي من كلام.

١-٣: قانون الاتساع

الفقرة ليست جملة عادية، بل هي جملة ممتدة في الزمان والمكان، بمعنى أنها ليست مجرد مسند ومسند إليه بالمعنى الدقيق لمفهوم الجملة؛ فهي ليست فعلا وفاعلا فقط ولا مبتدأ وخبره، بل هي هذا بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من المتعلقات بها من جهة، ومجموعة أخرى من الجمل المكافئة لها والموازية. وقد دأب النحو قديما على دراسة الجمل بعْد اجتزائها من سياقها الكلامي أو الكتابي؛ من أجل تسهيل تعليمها للنشء من المتعلمين، لسببين -فيما نظن- الأول: لتخليص هذا الناشئ من أميته بالقراءة والكتابة، والثاني: إيمانا من الوعي الإنساني عامة بأنّ الفقرة ما هي إلا متتاليات جملية. فمن أدرك الجزء (الجملة) وأتقنها، وعرف أساليب القوم في إجرائها في درج الكلام والكتابة تحقق له الكل؛ أي معرفة النص دون حاجة من المعلم أن يثقل المتعلم بتعليمه الكل مركبا، وبخاصة أن الكبير يدرك مع الخبرة والمراس هذه الملكة المعقدة وإن لم يستطع تسويغها. وكأنّ ما يدرك بتقدم العمر إن صعب لا يعلم في مقتبله. وقد حاول هذا البحث دراسة النص القرآني بعد أن قام بتحليله إلى أجزائه مفككا ثم بتركيبه ثانية مجمّعا فتبين له أن الفقرة تتكون بفعل قانون عام يسمح لها بالتمدد في الزمان والمكان. وأطلق على هذا القانون العام اسم "قانون التوسعة" وتبين فيما بعد أن هذا القانون لا يعمل في النص بذاته،

---

[1] انظر: الملاحق وبخاصة الملحق رقم ٣.

بل يعمل من خلال مجموعة كبيرة من العلاقات التي هدفها توسيع النص. وقد ثبت بعد التطبيق على النص القرآني أنّ هذه العلاقات التي تشكل الاستراتيجيات التي يقوم بها وعليها قانون التوسعة، هي الضامنة لامتداد النص في الزمان والمكان.

قلنا إنّ النص القرآني في سورة البقرة مكون من فقرات، وهذه الفقرات توزعت في النص على النحو التالي[1]:

الفقرة الأولى: من الآية (١) إلى الآية (٥) .

الفقرة الثانية: من الآية (٦) إلى الآية (٧) .

الفقرة الثالثة: من الآية (٨) إلى الآية (٢٠).

الفقرة الرابعة: من الآية (٢١) إلى الآية (٢٤) .

الفقرة الخامسة: الآية (٢٥).

الفقرة السادسة: من الآية (٢٦) إلى الآية (٢٧).

الفقرة السابعة: من الآية (٢٨) إلى الآية (٢٩).

الفقرة الثامنة: من الآية (٣٠) إلى الآية (٣٩).

الفقرة التاسعة: من الآية (٤٠) إلى الآية (٤٦).

وسنأخذ بعضا من هذه الفقرات بالتحليل في محاولة للوصول من خلالها إلى أن قانون التوسعة هو الضامن لامتداد الفقرة داخليا من أولها إلى آخرها من خلال مجموعة أساليب نحوية، لا تخرج عما قرره النحاة

---

(١) يجدر بالقارئ الكريم أن يلتفت إلى أننا نميل إلى عد {الم} فقرة بعينها هي الفقرة الصفر وما كان دمجها في هذا الموضع والمواضع المشابهة في الفقرة الأولى إلا لعدم أثرها الفعلي في العلاقات النحوية المتشكلة، حسب المنهج المتبع في الإعراب.

الأوائل في النحو التقليدي، ولكنهم لم يلتفتوا إلى علاقتها بنحو النص، فدرسوها ضمن إطار نحو الجملة فقط، وهذه العلاقات هي:

١-٣-١: علاقة الحمل

بدأ البحث بهذه العلاقة لسببن، الأول؛ لأن البؤرة الأصلية، في الفقرة الأولى، من سورة البقرة، قد بدأت بها، فتيمن البحث بمنهج القرآن الكريم. والثاني؛ لأن الجملة العربية، لا تخلو من أن تكون مبنية أصلا من علاقة حمل، أو علاقة إسناد، فبدأ بها، جريا على الأصل. وسنبدأ بالفقرة الأولى؛ لنتبين كيف عملت هذه العلاقة، على توسيع الفقرة، وسنذكر الفقرة أولا، وهي قوله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

الم (١) ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (٢) الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون (٤) أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٥)

لو أخذنا الجمل التي تحتها خط في الفقرة السابقة؛ لوجدنا أنها جمل اسمية، خارج الفقرة، وهي الجمل التالية:

- ذلك الكتاب
- لا ريب فيه
- هدى للمتقين
- هم يوقنون

- أولئك على هدى
- أولئك هم المفلحون

وهذه الجمل الاسمية، مكونة من مبتدأ وخبر، ولكنها مختلفة بعضها عن بعض، في سياق هذا التركيب الجملي؛ إذ الجملة الاسمية الأولى فقط، من بينها جميعا، هي الجملة، بينما ما تبقى من جمل لا تحقق للجملية فيها، إلا خارج الفقرة؛ إذ تكوّنت الجملة الأولى، من علاقة حمل، بين المسند والمسند إليه، ثم حافظت على هذه العلاقة في الفقرة. في حين تحولت العلاقة الجملية، في الجمل الأخرى، إلى علاقة تعلق بالجملة الأصلية؛ لأن جملة {لا ريب فيه} على سبيل المثال لا الحصر، رغم أنها قد آلت في الذهن إلى علاقة حمل مكونة من المبتدأ لا النافية للجنس واسمها والخبر المقدر (موجود) وشبه الجملة المتعلق بالخبر، على أنه علاقة ظرفية توضيحية. إلا أنها لم تقف، في الذهن، عند هذا الحد، بل تحولت فيه مرة ثانية، إلى علاقة جديدة، مرتبطة بالجملة الاسمية البؤرة، على أنها علاقة حالية، توضّح حالة الكتاب المخبر به، في الجملة الأصلية(البؤرة). ويمكن لنا من خلال الجدول التالي أن نوضح العملية التي تمت لتحويل الجمل التابعة، المتعلقة فيما بين عناصرها داخليا بعلاقة الحمل، إلى علاقات جديدة في الفقرة، كما يلي:

الرقم	الجملة في النص	العلاقة في نحو الجملة	العلاقة في نحو النص	الوضع
١-	ذلك الكتاب	حمل	لم تتحول	بؤرة
٢-	لا ريب فيه	حمل	حال	توسيع على البؤرة الأصلية
٣-	هدى للمتقين	حمل	حال	توسيع على البؤرة الأصلية
٤-	هم يوقنون	حمل	صلة	توسيع على بؤرة ثانوية

٥-	أولئك على هدى	حمل	حالية/وصف/ بدل	توسيع على بؤرة ثانوية
٦-	أولئك هم المفلحون	حمل	عطف على السابقة	توسيع على بؤرة ثانوية

نلحظ من هذا التحليل، أنَّ الفقرة، لم تحو، سوى جملة مفيدة واحدة فقط، وأن بقية الجمل، قد بقيت تشكِّل ضمن ثباتها وتحولها، نسبا ناقصة، متعلقة بالنسبة التامة، التي هي الجملة الأصلية، التي نسميها هنا "البؤرة الأصلية" في الفقرة الأولى. وقد وجدنا بعض علاقات الحمل ترتبط بلفظ (المتقين)، التي ترتبط بالنسبة الحملية الأصلية، ولذا درج البحث على تسمية لفظة (المتقين) بـ"البؤرة التابعة أو الثانوية"؛ لأنها لا تسؤول في الذهن إلى نسبة تامة، بل تصير نسبة ناقصة فيه، برغم تعلّق مجموعة كبيرة من النسب الأخرى بها.

يجدر أن نلحظ هنا أنّ العلاقات الحملية التي لم تسلم بؤرة أصلية في الفقرة كانت تعمل على توسيع الفقرة بتعلق معانيها بالبؤر الأصلية كلا أو بأحد عناصرها جزءا.

ولنتأكد من هذا نتناول الفقرة ثانية بالتحليل؛ لنرى إن كان يسلم هذا التصور عن علاقات الحمل التابعة، ودورها في توسيع الفقرة، وهي قوله تعالى:

إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (٦) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم (٧).

نلحظ أن الفقرة السابقة، قد احتوت، على مجموعة من الجمل الاسمية، التي تعلق ركناها الأساسيان بعلاقة حمل، وذلك فيما يلي:

- إنّ الذين كفروا سواء عليهم
- سواء عليهم
- أ أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون
- على أبصارهم غشاوة
- لهم عذاب عظيم

نلحظ، كما لحظنا في الفقرة الأولى، أنّ العلاقة الوحيدة التي سلمت ولم تتحول إلى علاقات ثانوية تابعة هي الجملة الأولى التي تماسكت عناصرها بعلاقة الحمل، في حين تحولت بقية علاقات الحمل إلى علاقات تابعة لا تشكل نسبة جملية تامة. ويمكن من خلال الجدول التالي، أن نوضح العملية، التي تمت لتحويل الجمل التابعة المتعلقة فيما بين عناصرها داخليا، بعلاقة الحمل إلى علاقات جديدة في الفقرة، كما يلي:

الرقم	الجملة في النص	العلاقة في نحو الجملة	العلاقة في نحو النص	الوضع
١-	إنّ الذين كفروا سواء عليهم	حمل	لم تتحول	بؤرة أصلية
٢-	سواء عليهم	حمل	عنصر من البؤرة	توسيع في البؤرة الأصلية
٣-	أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون	حمل	عنصر من البؤرة	توسيع في البؤرة الأصلية
٤-	على أبصارهم غشاوة	حمل	عطف على حال	توسيع على بؤرة ثانوية
٥-	لهم عذاب عظيم	حمل	عطف على حال	توسيع على بؤرة ثانوية

ونلحظ أن العلاقات السابقة تتكرر، بمعنى أنّ ثمة جملة أولى تشكل بؤرة أصلية، في حين تبقى الجمل والعبارات والمفردات التالية تابعة للجملة الأصلية، ومتعلقة بها، ولتأكيد هذا التصور؛ نأخذ فقرة ثالثة؛ لنرى إن كان يسلم هذا التصور عن علاقة الحمل ودورها في توسيع الفقرة، وهذه الفقرة هي التالية:

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (٨) يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون (٩) في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون (١٠) وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون (١١) ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (١٢) وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون (١٣) وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون (١٤) الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون (١٥) أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين (١٦) مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون (١٧) صمٌّ بكمٌ عمي فهم لا يرجعون (١٨) أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين (١٩) يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إنّ الله على كل شيء قدير (٢٠)

ولو تأملنا الجمل التي تحتها خط؛ لوجدناها جميعا، جملا اسمية، مستقلة بقابليتها للفهم، وتفيد معنى مستقلا، خارج سياقها في الفقرة،؛ أي هي مفيدة لو أخذت هكذا:

- ومن الناس من يقول آمنا
- وما هم بمؤمنين (طبعا الضمير مفسر)
- في قلوبهم مرض
- لهم عذاب أليم
- إنما نحن مصلحون
- إنهم هم المفسدون
- إنهم هم السفهاء
- إنا معكم
- إنما نحن مستهزئون
- الله يستهزئ بهم
- أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
- وما كانوا مهتدين
- مثلهم كمثل الذي استوقد (فلان)
- صم بكم عمي
- مثلهم كمثل (فلان) أو كصيب
- فيه ظلمات ورعد وبرق
- الله محيط بالكافرين
- إنّ الله على كل شيء قدير

وهذه الجمل السبع عشرة أعلاه، تتعلق فيما بينها، بعلاقة الحمل بين المبتدأ والخبر؛ أي بين عنصريها الأساسيين (المسند إليه والمسند). ولكنها لا تقف عند هذه العلاقة، أو تكتفي بها داخل الفقرة، بل تتعداها إلى علاقات أخرى جديدة تفرضها الفقرة عليها ضمن سياقها السردي في امتدادها الطبيعي. ويستثنى من هذا الحكم علاقة الحمل الأولى { ومن الناس من يقول آمنا} حيث بقيت علاقة الحمل ثابتة، دون تغير، أو تحويل، إلى علاقة جديدة، في حين تحولت جميع علاقات الحمل، التالية لهذه العلاقة، إلى علاقات جديدة؛ أي أن العلاقات الجديدة، هي المقصودة أساسا، وذلك كما يلي:

الرقم	الجملة في النص	العلاقة في نحو الجملة	العلاقة في نحو النص	الوضع
١-	ومن الناس من يقول	حمل	لم تتحول	بؤرة أصلية
٢-	وما هم بمؤمنين	حمل	حال/توكيد	توسيع على البؤرة الأصلية
٣-	في قلوبهم مرض	حمل	حال	توسيع على البؤرة الأصلية
٤-	لهم عذاب أليم	حمل	عطف على حال	توسيع على البؤرة الأصلية
٥-	إنما نحن مصلحون	حمل	توضيح/حصر	توسيع على بؤرة ثانوية
٦-	إنهم هم المفسدون	حمل	توكيدية	توسيع على بؤرة ثانوية
٧-	انهم هم السفهاء	حمل	توكيدية	توسيع على بؤرة ثانوية
٨-	إنا معكم	حمل	توضيح/تخصيص	توسيع على بؤرة ثانوية
٩-	إنما نحن مستهزئون	حمل	توضيح/حصر	توسيع على بؤرة ثانوية
١٠-	الله يستهزئ بهم	حمل	حال	توسيع على بؤرة ثانوية
١١-	أولئك الذين اشتروا ...	حمل	حال	توسيع على البؤرة الأصلية
١٢-	وما كانوا مهتدين	حمل	حال	توسيع على بؤرة ثانوية
١٣-	مثلهم كمثل (فلان)	حمل	بدل	توسيع على بؤرة ثانوية
١٤-	صم بكم عمي	حمل	حال	توسيع على بؤرة ثانوية
١٥-	أو كصيب	حمل	عطف على البدل	توسيع على بؤرة ثانوية
١٦-	فيه ظلمات	حمل	توضيح/تخصيص	توسيع على بؤرة ثانوية

الرقم	الجملة في النص	العلاقة في نحو الجملة	العلاقة في نحو النص	الوضع
١٧-	الله محيط بالكافرين	حمل	عطف على حال	توسيع على بؤرة ثانوية
١٨-	إنّ الله على كل شيء قدير	حمل	توضيح/تعليل	توسيع على بؤرة ثانوية

١-٣-٢: علاقة الإسناد

نود أن نتأكد أولا من مجمل النتائج التي حظينا بها في تحليل علاقة الحمل في الفقرات الثلاث الأولى من سورة البقرة، وذلك بالبحث عن علاقات الإسناد لنتأكد أولا من أنها لا تشكل بؤرة أصلية في الفقرة، بعد أن شكلت علاقة الحمل الأولى تلك البؤرة، ونتبين ثانيا من إمكانية تشكيل علاقات الإسناد لبؤر ثانوية في الفقرة؛ أي البؤر التابعة للبؤرة الأصلية وكيف يتم ذلك. وللتحقق من صحة هذا التصور سنقوم بإعادة تحليل الفقرات الثلاث السابقة بحثا عن علاقات الإسناد فيها لنكشف عن وضعها وتعلقاتها، وسنبدأ بالفقرة الأولى كما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الم (١) ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (٢) الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة
ومما رزقناهم ينفقون (٣) والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم
يوقنون (٤) أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٥).

لو أخذنا الجمل التي تحتها خط؛ لوجدنا أنها جمل فعلية، خارج الفقرة، وهي الجمل التالية:

- يؤمنون بالغيب
- أنزل إليك
- يقيمون الصلاة
- أنزل من قبلك
- مما رزقناهم ينفقون
- بالآخرة هم يوقنون
- يؤمنون بما أنزل إليك

هذه الجمل الفعلية جميعا، مكونة من فعل وفاعل أو نائب فاعل، ولكنها لا تحقق للجملية فيها حقيقة، إلا خارج الفقرة؛ إذ تكوّنت الجملة الأولى، من علاقة إسناد، بين المسند (يؤمن) والمسند إليه (الواو)، ثم تحولت العلاقة الجملية فيها، إلى علاقة تعلق بالبؤرة الأصلية (علاقة الحمل= البؤرة)، على الرغم من أنها قد آلت، في الذهن، إلى علاقة إسناد، مكونة من الفعل والفاعل، إلا أنها لم تقف، في الذهن، عند هذا الحد، بل تحولت - فيه - مرة ثانية إلى علاقة جديدة، مرتبطة بالجملة الاسمية (البؤرة)، على أنها علاقة صلة لاسم موصول يشكل صفة لعنصر سابق تابع لها. ويمكن لنا من خلال الجدول التالي أن نوضح العملية التي تمت لتحويل الجمل التابعة، المتعلقة فيما بين عناصرها داخليا بعلاقة الإسناد، إلى علاقات جديدة، مرتبطة بالبؤرة في الفقرة، ذلك كما يلي:

الرقم	الجملة في النص	العلاقة في نحو الجملة	العلاقة في نحو النص	الوضع
١-	يؤمنون بالغيب	إسناد	صلة الصفة	توسيع على بؤرة ثانوية
٢-	يقيمون الصلاة	إسناد	عطف على صلة الصفة	توسيع على بؤرة ثانوية
٣-	مما رزقناهم ينفقون	إسناد	عطف على صلة	توسيع على بؤرة ثانوية

			الصفة	
٤-	يؤمنون بما	إسناد	صلة الصفة	توسيع على بؤرة ثانوية
٥-	أنزل إليك	إسناد	صلة صفة	توسيع على بؤرة ثانوية
٦-	أنزل من قبلك	إسناد	عطف على السابقة	توسيع على بؤرة ثانوية
٧-	يوقنون	إسناد	عطف على السابقة	توسيع على بؤرة ثانوية

نلحظ من هذا التحليل، أنَّ الفقرة لم تحو أي جملة مفيدة من نمط علاقات الإسناد، وأن الجمل من هذا النمط في هذه الفقرة، قد بقيت تشكِّل ضمن ثباتها وتحولها نسبا ناقصة، متعلقة بالنسبة التامة (البؤرة الأصلية) فيها.

يجدر أن نلحظ أنّ العلاقات الإسنادية التي لم تسلم بؤرة أصلية في هذه الفقرة قد عملت على توسيع الفقرة، بتعلق معانيها بالبؤر الأصلية كلا، أو بأحد عناصرها جزءا.

ولنتأكد من هذا سنأخذ الفقرة ثانية بالتحليل؛ لنرى إن كان يسلم لنا هذا التصور عن علاقات الإسناد التابعة، ودورها في توسيع الفقرة فقط، دون العمل على إنشاء بؤر أصلية مستقلة، وهي قوله تعالى:

إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (٦) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم (٧).

نجد فيما تحته خط في الفقرة السابقة، أنها قد احتوت، على مجموعة من الجمل الفعلية، التي تعلق ركناها الأساسيان بعلاقة الإسناد، وذلك كما يلي:

- كفروا
- أنذرتهم
- لم تنذرهم

- لا يؤمنون
- ختم الله على قلوبهم
- (ختم الله) على سمعهم

ونلحظ، كما لحظنا في الفقرة الأولى، أنّه ما من علاقة إسناد في هذه الفقرة قد سلمت، فهي جميعا قد تحولت إلى علاقات ثانوية تابعة للجملة الأولى التي تماسك عناصرها بعلاقة الحمل على أنها بؤرة، فتحولت كل علاقات الإسناد فيها إلى علاقات تابعة، لا تشكل نسبة جملية تامة. ويمكن من خلال الجدول التالي، أن نوضح العملية، التي تمت لتحويل علاقات الإسناد إلى علاقات تابعة، أي إلى علاقات جديدة في الفقرة، وذلك كما يلي:

الرقم	الجملة في النص	العلاقة في نحو الجملة	العلاقة في نحو النص	الوضع
١-	كفروا	إسناد	صلة الصفة	توسيع على البؤرة الأصلية
٢-	أنذرتهم	إسناد	عنصر اسمي مكمل	توسيع على البؤرة الأصلية
٣-	لم تنذرهم	إسناد	عطف على السابق	توسيع على البؤرة الأصلية
٤-	لا يؤمنون	إسناد	حال أو عنصر اسمي في البؤرة	توسيع على البؤرة الأصلية
٥-	ختم الله على قلوبهم	إسناد	حال أو عنصر اسمي في البؤرة	توسيع على البؤرة الأصلية
٦-	و[ختم الله]على سمعهم	إسناد	عطف على السابقة	توسيع على البؤرة الأصلية

نلحظ أن العلاقات السابقة تتكرر، بمعنى أنّه ليس ثمـــة علاقــة إسناد تشكل بؤرة أصلية بل تبقت علاقات الإسناد جميعا تابعـــة للبــؤرة الأصلية فيها، ومتعلقة بها. ولتأكيد هذا التصور سنأخذ الفقرة الثالثة؛ لنرى إن كان يسلم هذا التصور عن علاقة الإسناد ودورها في توسيع الفقــرة، وهي قول الحق:

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (٨) يخادعون الله والذين
آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون (٩) في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم
عذاب أليم بما كانوا يكذبون (١٠) وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن
مصلحون (١١) ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (١٢) وإذا قيل لهم آمنوا كما
آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون (١٣) وإذا
لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون (١٤) الله
يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون (١٥) أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما
ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين (١٦) مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما
حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون (١٧) صمٌ بكم عمي فهم
لا يرجعون (١٨) أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في
آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين (١٩) يكاد البرق يخطف
أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم
وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير (٢٠)

ولو تأملنا الجمل التي تحتها خط؛ لوجدناها جميعا جملا فعلية مستقلة بقابليتها للفهم؛ أي أنها تفيد معنى مستقلا خارج سياقها في الفقرة؛ أي أنها مفيدة لو أخذت هكذا:

- يقول آمنا
- آمنا بالله
- (آمنا) باليوم الآخر
- يخادعون الله
- (يخادعون)
- الذين آمنوا
- آمنوا
- وما يخدعون
- إلا أنفسهم
- يستهزئ بهم
- ويمدهم
- في طغيانهم يعمهون
- اشتروا
- الضلالة بالهدى
- فما ربحت تجارتهم

- وما يشعرون
- فزادهم الله مرضا
- يكذبون
- وإذا قيل لهم لا تفسدوا
- لا تفسدوا في
- الأرض
- استوقد نارا
- أضاءت ما حوله
- ذهب الله بنورهم
- وتركهم في ظلمات
- لا يبصرون
- لا يرجعون

- قالوا إنما
- نحن مصلحون
- لا يشعرون
- وإذا قيل لهم آمنوا
- آمنوا
- آمن الناس
- قالوا أ نؤمن
- آمن السفهاء
- آذانهم من
- الصواعق
- حذر الموت
- يكاد البرق يخطف
- أبصارهم
- يخطف أبصارهم
- أضاء لهم

- لا يعلمون
- وإذا لقوا الذين آمنوا
- قالوا
- آمنوا
- قالوا آمنا
- آمنا
- وإذا خلوا إلى شياطينكم قالوا
- قاموا
- ولو شاء الله لذهب
- لذهب بسمعهم
- (ذهب) بأبصارهم

- وما كانوا   - يجعلون   - مشوا فيه
مهتدين   أصابعهم في   - أظلم عليهم

تتعلق هذه الجمل، فيما بينها، بعلاقة الإسناد؛ أي بين عنصريها الأساسيين (المسند إليه والمسند)، إلا أنها لم تقف عند هذه العلاقة، أو تكتف بها، داخل الفقرة، بل تعدتها إلى علاقات أخرى جديدة، فرضتها عليها الفقرة، ضمن سياقها السردي في امتدادها الطبيعي، ولا يستثنى من هذا الحكم أي علاقة من تلك العلاقات الإسنادية؛ إذ تحولت جميعها إلى علاقات جديدة، كانت هي المقصودة أساساً، وذلك كما يلي:

الرقم	الجملة في النص	العلاقة في نحو الجملة	العلاقة في نحو النص	الوضع
١	يقول	إسناد	صلة	توسيع على البؤرة الأصلية
٢	آمنا	إسناد	توضيح/تخصيص	توسيع على بؤرة ثانوية
٣	يخادعون الله	إسناد	حال	توسيع على البؤرة الأصلية
٤	وما يخدعون إلا ...	إسناد	عطف على حال	توسيع على بؤرة ثانوية
٥	وما يشعرون	إسناد	عطف على حال	توسيع على بؤرة ثانوية
٦	فزادهم الله مرضا	إسناد	عطف على حال	توسيع على بؤرة ثانوية
٧	وإذا قيل لهم	إسناد	عطف على حال	توسيع على بؤرة ثانوية
٨	لا تفسدوا	إسناد	توضيح/تخصيص	توسيع على بؤرة ثانوية
٩	لا يشعرون	إسناد	حال	توسيع على بؤرة ثانوية
١٠	وإذا قيل	إسناد	عطف على حال	توسيع على بؤرة ثانوية
١١	آمنوا	إسناد	توضيح/تخصيص	توسيع على بؤرة ثانوية
١٢	آمن الناس	إسناد	توضيح/تخصيص	توسيع على بؤرة ثانوية
١٣	قالوا	إسناد	توضيح/شرط	توسيع على بؤرة ثانوية
١٤	أنؤمن	إسناد	توضيح/استفهام	توسيع على بؤرة ثانوية

الرقم	الجملة في النص	العلاقة في نحو الجملة	العلاقة في نحو النص	الوضع
١٥	آمن السفهاء	إسناد	توضيح/تخصيص	توسيع على بؤرة ثانوية
١٦	قالوا	إسناد	توضيح/شرط	توسيع على بؤرة ثانوية
١٧	لا يعلمون	إسناد	حال	توسيع على بؤرة ثانوية
١٨	وإذا لقوا	إسناد	عطف على حال	توسيع على بؤرة ثانوية
١٩	قالوا	إسناد	توضيح/شرط	توسيع على بؤرة ثانوية
٢٠	آمنا	إسناد	توضيح/تخصيص	توسيع على بؤرة ثانوية
٢١	وإذا خلوا	إسناد	عطف على حال	توسيع على بؤرة ثانوية
٢٢	قالوا	إسناد	توضيح/تخصيص	توسيع على بؤرة ثانوية
٢٣	يستهزئ	إسناد	حال	توسيع على بؤرة ثانوية
٢٤	ويمدهم	إسناد	عطف على حال	توسيع على بؤرة ثانوية
٢٥	يعمهون	إسناد	عطف على حال	توسيع على بؤرة ثانوية
٢٦	اشتروا الضلالة	إسناد	صلة صفة	توسيع على بؤرة ثانوية
٢٧	فما ربحت تجارتهم	إسناد	حال	توسيع على بؤرة ثانوية
٢٨	وما كانوا مهتدين	إسناد	حال	توسيع على بؤرة ثانوية
٢٩	استوقد نارا	إسناد	صلة صفة	توسيع على بؤرة ثانوية
٣٠	فلما أضاءت ما حوله	إسناد	حال	توسيع على بؤرة ثانوية
٣١	ذهب الله بنورهم	إسناد	توضيح/شرط	توسيع على بؤرة ثانوية
٣٢	وتركهم في ظلمات	إسناد	عطف على السابق	توسيع على بؤرة ثانوية
٣٣	لا يبصرون	إسناد	حال	توسيع على بؤرة ثانوية
٣٤	لا يرجعون	إسناد	جملته حال	توسيع على بؤرة ثانوية
٣٥	يجعلون أصابعهم ...	إسناد	حال	توسيع على بؤرة ثانوية
٣٦	يكاد البرق	إسناد	حال	توسيع على بؤرة ثانوية
٣٧	يخطف أبصارهم	إسناد	عنصر في حال	توسيع على بؤرة ثانوية
٣٨	كلما أضاء لهم	إسناد	حال	توسيع على بؤرة ثانوية
٣٩	مشوا فيه	إسناد	توضيح/شرط	توسيع على بؤرة ثانوية
٤٠	وإذا أظلم عليهم	إسناد	حال	توسيع على بؤرة ثانوية
٤١	قاموا	إسناد	توضيح/شرط	توسيع على بؤرة ثانوية
٤٢	ولو شاء الله	إسناد	حال	توسيع على بؤرة ثانوية
٤٣	لذهب بسمعهم	إسناد	توضيح/شرط	توسيع على بؤرة ثانوية
٤٥	وأبصارهم	إسناد	عطف على السابق	توسيع على بؤرة ثانوية

١-٣-٣: علاقة التوضيح: شبه الجملة نموذجا[١]

لا بد من أن نتأكد- ثانية- من مجمل النتائج، التي حظينا بها، عند تحليل علاقتي الحمل والإسناد، في الفقرات الثلاث الأولى من سورة البقرة، وذلك بالبحث عن علاقات تشكلها أشباه الجمل؛ للتأكد من أنها لا تشكل بؤرة أصلية في الفقرة، كما لم تشكل علاقة الإسناد بؤرة أصلية ثانية، داخل الفقرة، وذلك بعد أن شكلت علاقة الحمل الأولى البؤرة الأصلية. وقد يقال إنّ نحو الجملة قد أكد عدم قدرة أشباه الجمل على تشكيل بؤر أصلية في الجمل المفردة، فكيف نتوقع أن تحقق تلك المتعلقات بؤرا أصلية في الفقرات؟ فنقول بأننا سنبحثها لنتأكد من أمرين أساسيين، الأول: بما أنه قد ثبت أنّ العلاقات داخل الجملة، تختلف عنها داخل الفقرة، فإننا سنتأكد من ماهية هذا الاختلاف، والثاني لمعرفة وظيفتها الحقيقية داخل إطار الفقرة. ولتحقيق ذلك، سنقوم بإعادة تحليل الفقرات الثلاث السابقة للبحث عن العلاقات المشكلة من أشباه جمل فيها؛ للكشف عن وضعها وتعلقاتها، وسنبدأ بالفقرة الأولى كما يلي:

---

(١) أخذ البحث شبه الجملة نموذجا لأنّ علاقة التوضيح تشمل أغلب مفردات النحو ، كالمفاعيل والمنصوبات الأخرى عموما والمجرورات أيضا سواء بالحرف أو بالإضافة. فكان ذكر واحد من هذه المفردات مغنيا عن سردها جميعا وبخاصة أن البحث يؤمن أنها جميعا لا تخرج عن هذه العلاقة.

بسم الله الرحمن الرحيم

آلم (١) ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (٢) الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون (٤) أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٥)

الرقم	التركيب في النص	العلاقة في نحو الجملة	العلاقة في نحو النص	الوضع
١-	فيه	متعلق باسم	توضيح/مكان	توسيع على علاقة موسعة
٢-	للمتقين	متعلق باسم	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
٣-	بالغيب	متعلق بفعل	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
٤-	مما	متعلق بفعل	توضيح/ تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
٥-	بما	متعلق بفعل	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
٦-	إليك	متعلق بفعل	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
٧-	من قبلك	متعلق بفعل	توضيح/زمن	توسيع على علاقة موسعة
٨-	بالآخرة	متعلق بفعل	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
٩-	على هدى	متعلق باسم	توضيح/مكان	توسيع على علاقة موسعة
١٠	من ربهم	متعلق باسم	توضيح/ تجاه	توسيع على علاقة موسعة

نلحظ من هذا التحليل، أنَّ الفقرة، لم تحو أي شبه جملة قد تحولت إلى علاقة أصلية، بل بقيت تشكِّل ضمن ثباتها، وتحولها، نسبا ناقصة، متعلقة بالنسبة التامة (البؤرة الأصلية) فيها.

ويجدر أن نلحظ هنا أنّ العلاقات المتحصلة من أشباه الجمل قـــد شكلت توسيعا على البؤرة الأصلية فيها، على أنها علاقات توضيح يتم بها توضيح الظرف الذي تدور في فلكه النسب التامة من زمان ومكان وتجـلـه وتخصيص. وقد عملت بهذه الطريقة على توســـيع الفقـــرة: أي بتعلـــق معانيها بالبؤر الأصلية كلا، أو بأحد عناصرها جزءا، كنســـبة الإســـناد والحمل فيما دون البؤرة الأصلية.

نلحظ أنّ علاقات التوضيح الناشئة عن أشباه الجمل، مـــا هـــي إلا علاقات تابعة، ودورها الأساسي قابع في توسيع الفقرة فقط، دون العمل على إنشاء بؤر أصلية مستقلة، ولنتأكد من هذا نتناول الفقرة الثانيـــة بـــالتحليل؛ لنرى إن كان يسلم هذا التصور وهي قوله تعالى:

إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون(٦) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم(٧).

الرقم	التركيب في النص	العلاقة في نحو الجملة	العلاقة في نحو النص	الوضع
١-	عليهم	تعلق باسم	توضيح/ظرفي	توسيع على عنصر
٢-	على قلوبهم	تعلق بفعل	توضيح/ظرفي	توسيع على توسيع
٣-	وعلى سمعهم	تعلق بفعل	توضيح ظرفي	توسيع على توسيع
٤-	وعلى أبصارهم	تعلق باسم	توضيح/ظرفي	توسيع على عنصر
٥-	ولهم	تعلق باسم	توضيح/تخصيص	توسيع على عنصر

يظهر أنّ العلاقات المتحصلة من شبه الجمل في الفقرة السابقة، قد شكلت توسيعا على البؤرة الأصلية فيها. ولنتأكد من صحة هذا نتناول الفقرة الثالثة بالتحليل، وهي قوله تعالى:

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (٨) يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون (٩) في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون (١٠) وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون (١١) ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (١٢) وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون (١٣) وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون (١٤) الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون (١٥) أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين (١٦) مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون (١٧) صمّ بكم عمي فهم لا يرجعون (١٨) أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين (١٩) يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إنّ الله على كل شيء قدير (٢٠) .

الرقم	التركيب في النص	العلاقة في نحو الجملة	العلاقة في نحو النص	الوضع
١-	ومن الناس	متعلق باسم	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
٢-	بالله	متعلق بفعل	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
٣-	وباليوم الأخر	متعلق بفعل	توضيح/ تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
٤-	بمؤمنين	عنصر أصلي	حملية/توسعة	عنصر أساسي في توسعة
٥-	في قلوبهم	متعلق بفعل	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
٦-	ولهم	متعلق باسم	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
٧-	بما	متعلق باسم	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
٨-	لهم	متعلق بفعل	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
٩-	كما آمن	متعلق بفعل	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
١٠-	كما آمن	متعلق بفعل	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
١١-	إلى شياطينهم	متعلق بفعل	توضيح/ تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
١٢-	معكم	متعلق باسم	توضيح/ظرفي	توسيع على علاقة موسعة
١٣-	بهم	متعلق بفعل	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
١٤-	في طغيانهم	متعلق بفعل	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
١٥-	بالهدى	متعلق بفعل	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
١٦-	كمثل	عنصر أصلي	حملية/توسعة	عنصر أساسي في توسعة
١٧-	ما حوله	متعلق باسم	توضيح/ظرفي	توسيع على علاقة موسعة
١٨-	بنورهم	متعلق بفعل	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
١٩-	في ظلمات	متعلق بفعل	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
٢٠-	أو كصيب	عنصر أصلي	حملية/توسعة	عنصر أساسي في توسعة
٢١-	من السماء	متعلق باسم	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
٢٢-	فيه	متعلق باسم	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
٢٣-	في آذانهم	متعلق بفعل	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
٢٤-	من الصواعق	متعلق بفعل	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
٢٥-	بالكافرين	متعلق باسم	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
٢٦-	لهم	متعلق بفعل	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
٢٧-	عليهم	متعلق بفعل	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة

الرقم	التركيب في النص	العلاقة في نحو الجملة	العلاقة في نحو النص	الوضع
٢٨-	بسمعهم	متعلق بفعل	توضيح/ تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
٢٩-	وأبصارهم	متعلق بفعل	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
٣٠-	على كل شيء	متعلق باسم	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة

يظهر أنّ العلاقات المتحصلة من أشباه الجمل في الفقرة السـابقة، قد شكلت توسيعا على البؤرة الأصلية فيها، مما يؤكد عدم قدرتها علـى تكوين بؤر أصلية في الفقرة.

١-٣-٤: علاقـة الوصـف

نود أن نتأكد- مرة ثالثة- من مجمل النتائج، التي حظينا بها، عند تحليل علاقات الحمل والإسناد والتوضيح الظرفي، في الفقـرات الثـلاث الأولى من سورة البقرة، وذلك بالبحث عن علاقـات يشـكلها الوصـف النحوي؛ للتأكد من أنها لا تشكل بؤرة أصلية في الفقرة، كما لـم تفعـل العلاقات السابقة، وذلك بعد أن شكلت علاقة الحمل الأولى، تلك البـؤرة. وقد يقال هنا ما قيل عند تحليل علاقة التوضيح إنّ نحو الجملة قد أكـد عدم قدرة العبارات الواصفة على تشكيل بؤر أصلية في الجمل، فكيـف يتوقع أن تحقق بؤرا أصلية في الفقرة؟ فنجيب عنه بما أجبنا عن السـؤال السابق[1]. ولتحقيق ذلك، سنقوم بإعادة تحليل الفقرات الثلاث السابقة بحثـا عن العلاقات الوصفية فيها؛ للكشف عن وضعها وتعلقاتـها إن وجـدت، وسنبدأ بالفقرة الأولى كما يلي:

---

[1] راجع علاقة التوضيح، العنوان السابق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الم(١) ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين(٢) الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون(٣) والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون(٤) أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون(٥).

الرقم	العنصر في النص	العلاقة في نحو الجملة	العلاقة في نحو النص	الوضع
١-	الذين	وصف	متعلق باسم	توسيع على علاقة موسعة
٢-	أولئك	وصف(نعت)	متعلق باسم	توسيع على علاقة موسعة

نلحظ من هذا التحليل، أنّ الفقرة الأولى، لم تحو أي صفة متحوّلة إلى علاقة أصلية، بل بقيت تشكّل ضمن ثباتها، وتحولها، نسبا ناقصة، متعلقة بالنسبة التامة (البؤرة الأصلية) فيها.

يجدر أن نلحظ هنا أنّ العلاقتين الناشئتين أوصافا قد شكلتا توسيعا على البؤرة الأصلية فيها، وقد عملت علاقة الوصف بهذه الطريقة على توسيع الفقرة؛ أي بتعلق معانيها بأحد عناصر البؤرة الأصلية، أو بأحد عناصر البؤرة الثانوية، المتعلقة بالبؤرة الأصلية أساسا.

نلحظ إذن أنّ علاقات الوصف الناشئة من التركيب: جملة أو عبارة أو لفظا، في الفقرة، ما هي سوى علاقة تابعة، ووظيفتها الأساسية كامنة في توسيع الفقرة فقط، دون العمل على إنشاء بؤر أصلية مستقلة،

ولنتأكد من هذا نتناول الفقرة الثانية بالتحليل؛ لنرى إن كان يسلم هذا التصور وهي قوله تعالى:

إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (٦) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم (٧) .

الرقم	العنصر في النص	العلاقة في نحو الجملة	العلاقة في نحو النص	الوضع
١-	الذين	وصف	متعلق باسم محذوف	توسيع على علاقة موسعة

يظهر أنّ العلاقة الوصفية المتحصلة من إدراج لفظ الاسم الموصول(المبهم) في الفقرة السابقة، قد شكل توسيعا على البؤرة الأصلية فيها، ولم يشكل بؤرة أصلية بذاته. وسنأخذ الفقرة الثالثة بالتحليل؛ لنرى إن كان يسلم هذا التصور وهي قوله تعالى:

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (٨) يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون (٩) في قلوبهم مرض فزادهم الله

مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون (١٠) وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون (١١) ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (١٢) وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون (١٣) وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون (١٤) الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون (١٥) أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين (١٦) مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون (١٧) صمٌّ بكم عمي فهم لا يرجعون (١٨) أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين (١٩) يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إنّ الله على كل شيء قدير (٢٠) .

الرقم	العنصر في النص	العلاقة في نحو الجملة	العلاقة في نحو النص	الوضع
١-	من	وصف	متعلق باسم	توسيع على علاقة موسعة
٢-	الآخر	وصف	متعلق بفعل	توسيع على علاقة موسعة
٣-	أليم	وصف	متعلق بفعل	توسيع على علاقة موسعة

٤-	بما	وصف	عنصر أصلي	توسيع على علاقة موسعة
٥-	كما	وصف	متعلق بفعل	توسيع على علاقة موسعة
٦-	كما	وصف	متعلق باسم	توسيع على علاقة موسعة
٧-	الذين	وصف	متعلق باسم	توسيع على علاقة موسعة
٨-	اولئك	وصف	متعلق بفعل	توسيع على علاقة موسعة
٩-	الذين	وصف	متعلق بفعل	توسيع على علاقة موسعة
١٠-	الذي	وصف	متعلق بفعل	توسيع على علاقة موسعة
١١	ما	وصف	متعلق باسم	توسيع على علاقة موسعة

يظهر أنّ العلاقات الوصفية السابقة جميعا المتحصلة من العبارات ألفاظا وتراكيب، في الفقرة السابقة، قد شكلت توسيعا على البؤرة الأصلية فيها، ولم تشكل بؤرة أصلية فيها.

١-٣-٥: علاقة الصلة

نود أن نتأكد- مرة رابعة- من مجمل النتائج، التي حظينا بها، عند تحليل علاقات الحمل والإسناد والتوضيح الظرفي والوصف، في الفقرات الثلاث الأولى من سورة البقرة، وذلك بالبحث عن علاقات تُشكلها الصلة النحوية؛ لنتأكد من أنها لا تشكل بؤرة أصلية في الفقرة، كما عجزت العلاقات السابقة، وذلك بعد أن شكلت علاقة الحمل الأولى، تلك البؤرة. ولتحقيق ذلك، سنقوم بإعادة تحليل الفقرات الثلاث السابقة للبحث عن العلاقات الجملية والنصية فيها؛ للكشف عن وضعها وتعلقاتها إن وجدت، وسنبدأ بالفقرة الأولى كما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الم (١) ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (٢) الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون (٤) أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٥) .

الرقم	الجملة في النص	العلاقة في نحو الجملة	العلاقة في نحو النص	الوضع
١-	يؤمنون بالغيب	صلة	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
٢-	رزقناهم	صلة	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
٣-	يؤمنون بما أنزل إليك	صلة	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
٤-	أنزل إليك	صلة	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة
٥-	أنزل من قبلك	صلة	توضيح/تخصيص	توسيع على علاقة موسعة

نلحظ من هذا التحليل، أنّ الفقرة الأولى، لم تحو أي جملة صلة متحولة إلى علاقة أصلية، بل بقيت تشكِّل ضمن ثباتها، وتحولها، نسبا ناقصة، متعلقة بالنسبة التامة (البؤرة الأصلية) فيها.

يجدر أن نلحظ هنا أنّ علاقات الصلة جميعا قد شكلت توسيعا على البؤرة الأصلية فيها، وذلك من خلال توسيع البؤرة الثانوية التابعة للبؤرة الأصلية أساسا.

ونلحظ إذن أنّ العلاقات الواصلة الناشئة جملا في الفقرة، ما هي سوى علاقة تابعة، ودورها الأساسي قابع في توسيع الفقرة فقط، دون

العمل على إنشاء بؤر أصلية مستقلة، وسنأخذ الفقرة الثانية بالتحليل؛ لنرى إن كان يسلم هذا التصور وهي قوله تعالى:

إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (٦) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم (٧).

الرقم	الجملة في النص	العلاقة في نحو الجملة	العلاقة في نحو النص	الوضع
١-	كفروا	صلة	متعلق باسم	توسيع على علاقة موسعة

يظهر أنّ العلاقة الواصلة، قد شكلت توسيعا على البؤرة الأصلية فيها؛ إذ وضحت اللفظ المبهم الذي قبلها، ولم تشكل بؤرة أصلية بذاتها، ولنتأكد من هذا نتناول الفقرة الثالثة بالتحليل؛ لنرى إن كان يسلم هذا التصور وهي قوله تعالى:

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (٨) يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون (٩) في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون (١٠) وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون (١١) ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (١٢) وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون (١٣) وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم

قالوا إنّا معكم إنما نحن مستهزئون (١٤) الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم
يعمهون (١٥) أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا
مهتدين (١٦) مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم
وتركهم في ظلمات لا يبصرون (١٧) صمّ بكم عمي فهم لا يرجعون (١٨)
أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من
الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين (١٩) يكاد البرق يخطف أبصارهم
كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم
وأبصارهم إنّ الله على كل شيء قدير (٢٠) .

الرقم	الجملة في النص	العلاقة في نحو الجملة	العلاقة في نحو النص	الوضع
١-	يقول آمنا	صلة	متعلق باسم	توسيع على علاقة موسعة
٢-	آمنوا	صلة	متعلق بفعل	توسيع على علاقة موسعة
٣-	آمن الناس	صلة	متعلق بفعل	توسيع على علاقة موسعة
٤-	آمن السفهاء	صلة	عنصر أصلي	توسيع على علاقة موسعة
٥-	آمنوا	صلة	متعلق بفعل	توسيع على علاقة موسعة
٦-	اشتروا ...	صلة	متعلق باسم	توسيع على علاقة موسعة
٧-	استوقد نارا	صلة	متعلق باسم	توسيع على علاقة موسعة
٨-	حوله	صلة	متعلق بفعل	توسيع على علاقة موسعة

يظهر أنّ العلاقات الواصلة السابقة جميعا المتحصلة من الألفاظ
والتراكيب، في الفقرة السابقة، قد شكلت توسيعا على البؤرة الأصلية فيها،

دون أن تشكل بؤرة أصلية فيها، مما يؤكد أن هذه العلاقة تخضع لقانون التوسعة كسابقتها تماما.

١-٣-٦: علاقة العطف

نود أن نتأكد- مرة خامسة- من مجمل النتائج، التي حظينا بها، عند تحليل علاقات الحمل والإسناد والتوضيح الظرفي والوصف والوصل، في الفقرات الثلاث الأولى من سورة البقرة، وذلك بالبحث عن علاقات يشكلها العطف النحوي؛ لنتأكد من أنها لم تستطع تشكيل بؤرة أصلية في الفقرة، كما لم تفعل العلاقات السابقة، وذلك بعد أن شكلت علاقة الحمل الأولى. تلك البؤرة. وذلك لمعرفة دور العطف داخل إطار الفقرة. ولتحقيق ذلك سنقوم بإعادة تحليل الفقرات الثلاث السابقة للبحث عن العلاقات الجملية والنصية فيها؛ للكشف عن وضعها وتعلقاتها إن وجدت، وسنبدأ بالفقرة الأولى كما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الم (١) ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (٢) الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون (٤) أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٥) .

الرقم	الجملة في النص	العلاقة في نحو الجملة	العلاقة في نحو النص	الوضع
١-	ويقيمون...	عطف	عطف على صلة	توسيع على علاقة موسعة
٢-	ومما رزقناهم..	عطف	عطف على صلة	توسيع على علاقة موسعة
٣-	والذين يؤمنون	عطف	عطف على صفة	توسيع على علاقة موسعة
٤-	وبالآخرة هم...	عطف	عطف على (عطف/صفة)	توسيع على علاقة موسعة.
٥-	وأولئك هم...	عطف	عطف على صفة	توسيع على علاقة موسعة
٦-	وما أنزل	عطف	عطف على صلة	توسيع على علاقة موسعة

نلحظ من هذا التحليل، أنَّ الفقرة الأولى، لم تحو أي جملة عطف متحولة إلى علاقة أصلية، بل بقيت تشكِّل ضمن ثباتها، وتحولها، نسبا ناقصة، متعلقة بالنسبة التامة (البؤرة الأصلية) فيها.

يجدر أن نلحظ هنا أنّ علاقات العطف جميعا قد شكلت توسيعا على البؤرة الأصلية فيها، وذلك من خلال توسيع البؤرة الثانوية التابعة للبؤرة الأصلية أساسا.

إذن نلحظ أنّ علاقات العطفية الناشئة جملا في الفقرة، ما هي سوى علاقة تابعة، ووظيفتها الأساسية كامنة في توسيع الفقرة فقط، دون العمل على إنشاء بؤر أصلية مستقلة، وسنأخذ الفقرة الثانية بالتحليل؛ لنرى إن كان يسلم لنا هذا التصور وهي قوله تعالى:

إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (٦) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم (٧).

الرقم	الجملة في النص	العلاقة في نحو الجملة	العلاقة في نحو النص	الوضع
١-	أم لم تنذرهم	عطف	عطف على عنصر	توسيع على علاقة موسعة
٢-	وعلى سمعهم	عطف	عطف على حال	توسيع على علاقة موسعة
٣-	وعلى أبصارهم	عطف	عطف على حال	توسيع على علاقة موسعة
٤-	ولهم عذاب	عطف	عطف على حال	توسيع على علاقة موسعة

يظهر أنّ العلاقة العطفية، قد شكلت توسيعا على البؤرة الأصلية فيها، ولم تشكل بؤرة أصلية بذاتها، وسنتناول الفقرة الثالثة بالتحليل؛ لنرى إن كان هذا التصور صحيحا أم لا، وهي قوله تعالى:

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (٨) يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون (٩) في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون (١٠) وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون (١١) ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (١٢) وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون (١٣) وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون (١٤) الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون (١٥) أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين (١٦) مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما

حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون (١٧) صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لا يرجعون (١٨) أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين (١٩) يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير (٢٠) .

الرقم	الجملة في النص	العلاقة في نحو الجملة	العلاقة في نحو النص	الوضع
-١	وباليوم الآخر	عطف	عطف على توضيح	توسيع على علاقة موسعة
-٢	وما هم ...	عطف	حال	توسيع على علاقة موسعة
-٣	والذين أمنوا	عطف	عطف على حال	توسيع على علاقة موسعة
-٤	وما يخدعون	عطف	عطف على حال	توسيع على علاقة موسعة
-٥	وما يشعرون	عطف	حال	توسيع على علاقة موسعة
-٦	فزادهم الله	عطف	عطف على حال	توسيع على علاقة موسعة
-٧	ولهم عذاب	عطف	حال	توسيع على علاقة موسعة
-٨	وإذا قيل لهم	عطف	عطف على حال	توسيع على علاقة موسعة
-٩	ولكن لا يشعرون	عطف	حال	توسيع على علاقة موسعة
-١٠	وإذا قيل لهم	عطف	عطف على حال	توسيع على علاقة موسعة
-١١	ولكن لا يعلمون	عطف	حال	توسيع على علاقة موسعة
-١٢	وإذا لقوا	عطف	عطف على حال	توسيع على علاقة موسعة
-١٣	وإذا خلوا	عطف	عطف على حال	توسيع على علاقة موسعة
-١٤	ويمدهم	عطف	عطف على حال	توسيع على علاقة موسعة
-١٥	فما ربحت	عطف	حال	توسيع على علاقة موسعة
-١٦	وما كانوا	عطف	حال	توسيع على علاقة موسعة
-١٧	فلما أضاءت	عطف	حال	توسيع على علاقة موسعة

الرقم	الجملة في النص	العلاقة في نحو الجملة	العلاقة في نحو النص	الوضع
١٨-	وتركهم	عطف	عطف على حال	توسيع على علاقة موسعة
١٩-	فهم لا يرجعون	عطف	حال	توسيع على علاقة موسعة
٢٠-	أو كصيب	عطف	عطف على بدل	توسيع على علاقة موسعة
٢١-	ورعد	عطف	عطف على حال	توسيع على علاقة موسعة
٢٢-	وبرق	عطف	عطف على حال	توسيع على علاقة موسعة
٢٣-	والله محيط	عطف	حال	توسيع على علاقة موسعة
٢٤-	وإذا أظلم	عطف	عطف على حال	توسيع على علاقة موسعة
٢٥-	ولو شاء	عطف	عطف على حال	توسيع على علاقة موسعة
٢٦-	وأبصارهم	عطف	عطف على حال	توسيع على علاقة موسعة

يظهر أنّ العلاقات العاطفة السابقة المتحصلة من التراكيب، في الفقرة السابقة، قد شكلت توسيعا على البؤرة الأصلية فيها، دون أن تشكل بؤرة أصلية مستقلة.

١-٣-٧: علاقة الحال

نود أن نتأكد- مرة أخرى- من مجمل النتائج، التي حظينا بها، عند تحليل علاقات الحمل والإسناد والتوضيح الظرفي والوصف والوصل والعطف، في الفقرات الثلاث الأولى من سورة البقرة، وذلك بالبحث عن علاقات يشكلها الحال النحوي؛ لنتأكد من أنه لا يشكل بؤرة أصلية في الفقرة، وذلك بعد أن شكلت علاقة الحمل الأولى تلك البؤرة. ومن أجل معرفة وظيفته داخل إطار الفقرة، سنقوم بإعادة تحليل الفقرات الثلاث

السابقة للبحث عن العلاقات الجملية والنصية فيها؛ للكشف عن وضعها وتعلقاتها، وسنبدأ بالفقرة الأولى كما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

آلم (١) ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (٢) الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون (٤) أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٥).

الرقم	الجملة في النص	العلاقة في نحو الجملة	العلاقة في نحو النص	الوضع
١-	لا ريب فيه	حمل	حالية	توسيع على علاقة موسعة
٢-	هدى للمتقين	حمل	حالية	توسيع على علاقة موسعة

نلحظ من هذا التحليل، أنّ الفقرة الأولى لم تحو أي جملة حال متحولة إلى علاقة أصلية، بل بقيت تشكّل ضمن ثباتها، وتحولها، نسبا ناقصة، متعلقة بالنسبة التامة (البؤرة الأصلية) فيها.

ويجدر أن نلحظ هنا أنّ علاقات الحال جميعا قد شكلت توسيعا على البؤرة الأصلية فيها، وذلك من خلال توسيع البؤرة الثانوية التابعة للبؤرة الأصلية أساسا.

نلحظ إذن أنّ علاقات الحال الناشئة جملا في الفقرة السابقة، ما هي سوى علاقة تابعة، ودورها الأساسي قابع في توسيع الفقرة فقط، دون

العمل على إنشاء بؤر أصلية مستقلة، وسنأخذ الفقرة الثانية بالتحليل؛ لنرى إن كان هذا التصور منتظما أم لا، وهي قوله تعالى:

إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (٦) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم (٧).

الرقم	الجملة في النص	العلاقة في نحو الجملة	العلاقة في نحو النص	الوضع
١-	لا يؤمنون	إسناد=تفسير	حالية/خبر	توسيع على البؤرة الأصلية
٢-	ختم الله	إسناد=تفسير	حالية/خبر	توسيع على البؤرة الأصلية
٣-	وعلى أبصارهم	تابعة للسابقة	تابعة للسابقة	توسيع على البؤرة الثانوية
٤-	ولهم عذاب	تابعة للسابقة	تابعة للسابقة	توسيع على البؤرة الثانوية

يظهر أنّ العلاقة الحالية، قد شكلت توسيعا على البؤرة الأصلية فيها، ولم تشكل بؤرة أصلية بذاتها، وسنأخذ الفقرة الثالثة بالتحليل؛ وهي قوله تعالى:

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (٨) يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون (٩) في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون (١٠) وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون (١١) ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (١٢) وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم

السفهاء ولكن لا يعلمون (١٣) وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون (١٤) الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون (١٥) أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين (١٦) مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون (١٧) صم بكم عمي فهم لا يرجعون (١٨) أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين (١٩) يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير (٢٠)

الرقم	الجملة في النص	العلاقة في نحو الجملة	العلاقة في نحو النص	الوضع
١-	وما هم بمؤمنين	حمل	حالية	توسيع على علاقة موسعة
٢-	يخادعون الله	إسناد	حالية	توسيع على علاقة موسعة
٣-	وما يخدعون	إسناد	حالية	توسيع على علاقة موسعة
٤-	وما يشعرون	إسناد	حالية	توسيع على علاقة موسعة
٥-	في قلوبهم	حمل	حالية	توسيع على علاقة موسعة
٦-	ولهم عذاب ...	حمل	حالية	توسيع على علاقة موسعة
٧-	ولكن لا يشعرون	حمل	حالية	توسيع على علاقة موسعة
٨-	ولكن لا يعلمون	حمل	حالية	توسيع على علاقة موسعة
٩-	الله يستهزئ	حمل	حالية	توسيع على علاقة موسعة
١٠	أولئك الذي اشتروا	حمل	حالية	توسيع على علاقة موسعة
١١	لا يبصرون	إسناد	حالية	توسيع على علاقة موسعة

الرقم	الجملة في النص	العلاقة في نحو الجملة	العلاقة في نحو النص	الوضع
١٢	صم بكم	حمل	حالية	توسيع على علاقة موسعة
١٣	يجعلون أصابعهم	إسناد	حالية	توسيع على علاقة موسعة
١٤	يكاد البرق يخطف	إسناد	حالية	توسيع على علاقة موسعة

يظهر أنّ العلاقات الحالية السابقة المتحصلة من التراكيب، في الفقرة السابقة، قد شكلت توسيعا على البؤرة الأصلية فيها، دون أن تشكل بؤرة أصلية مستقلة.

١-٣-٨: علاقة البدل

نود أن نتأكد- مرة أخرى- من مجمل النتائج، التي حظينا بها، عند تحليل علاقات الحمل والإسناد والتوضيح الظرفي والوصف والوصل والعطف والحال، في الفقرات الثلاث الأولى من سورة البقرة، وذلك بالبحث عن علاقات يشكلها البدل النحوي؛ لنتأكد من أنه لا يشكل بؤرة أصلية في الفقرة، كما لم تشكلها العلاقات السابقة، وذلك بعد أن شكلت علاقة الحمل الأولى تلك البؤرة. ومن أجل معرفة وظيفته داخل إطار الفقرة سنقوم بإعادة تحليل الفقرات الثلاث السابقة للبحث عن العلاقات الجملية والنصية فيها؛ للكشف عن وضعها وتعلقاتها، وسنبدأ بالفقرة الأولى كما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

آلم (١) ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (٢) الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون (٤) أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون(٥) .

وقد تبين لنا وفق المنهج المتبع في تتبع قضايا الإعراب أن الفقرة الأولى تخلو من علاقات البدل، كما خلت الفقرة الثانية منها كذلك، وهي قوله تعالى:

إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون(٦) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم(٧) .

أما الفقرة الثالثة فقد احتوت على علاقة البدل فيما تحته خط مما يلي:

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (٨) يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون (٩) في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون (١٠) وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون (١١) ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (١٢)

وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم
السفهاء ولكن لا يعلمون (١٣) وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم
قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون (١٤) الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم
يعمهون (١٥) أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا
مهتدين (١٦) مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم
وتركهم في ظلمات لا يبصرون (١٧) صم بكم عمي فهم لا يرجعون (١٨)
أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من
الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين (١٩) يكاد البرق يخطف أبصارهم
كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم
وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير (٢٠)

الرقم	الجملة في النص	العلاقة في نحو الجملة	العلاقة في نحو النص	الوضع
١-	مثلهم	حمل	بدل من أولئك	توسيع على علاقة موسعة

يظهر أنّ علاقة البدل الوحيدة المتحصلة من التراكيب، في الفقرة السابقة، قد شكلت توسيعا على البؤرة الأصلية فيها، دون أن تشكل بؤرة أصلية مستقلة.

١-٣-٩: علاقة التوكيد

نود أن نتأكد- مرة أخرى- من مجمل النتائج، التي حظينا بها، عند تحليل علاقات الحمل والإسناد والتوضيح الظرفي والوصف والوصل والعطف والحال والبدل، في الفقرات الثلاث الأولى من سورة البقرة، وذلك بالبحث عن علاقات يشكلها التوكيد النحوي؛ لنتأكد من أنه لا يبني بؤرة أصلية في الفقرة، كما لم تفعل العلاقات السابقة، وذلك بعد أن شكلت علاقة الحمل الأولى، تلك البؤرة. ومن أجل معرفة وظيفة التوكيد داخل إطار الفقرة، سنقوم بإعادة تحليل الفقرات الثلاث السابقة بحثا عن العلاقات الجملية والنصية فيها؛ للكشف عن وضعها وتعلقاتها، وسنبدأ بالفقرة الأولى كما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

آلم (١) ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (٢) الذين يؤمنون بالغيب
ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من
قبلك وبالآخرة هم يوقنون (٤) أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم
المفلحون(٥).

وقد تبين لنا وفق النهج الذي سرنا عليه في تتبع قضايا الإعراب أنها تخلو من علاقات التوكيد كما خلت من علاقات البدل، وقد خلت الفقرة الثانية منها كذلك،وهي قوله تعالى:

إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (٦) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم (٧).

أما الفقرة الثالثة فقد احتوت على علاقة التوكيد، وذلك فيما تحته خط، مما يلي:

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (٨) يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون (٩) في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون (١٠) وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون (١١) ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (١٢) وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون (١٣) وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنما نحن مستهزئون (١٤) الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون (١٥) أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين (١٦) مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون (١٧) صمّ بكم عمي فهم لا يرجعون (١٨) أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين (١٩) يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إنّ الله على كل شيء قدير (٢٠).

الرقم	الجملة في النص	العلاقة في نحو الجملة	العلاقة في نحو النص	الوضع
١-	ألا إنهم هم المفسدون	حمل	توكيد	توسيع على علاقة موسعة
٢-	ألا إنهم هم السفهاء	حمل	توكيد	توسيع على علاقة موسعة

يظهر أن علاقتي التوكيد المتحصلتين من التراكيب، في الفقرة السابقة، قد شكلتا توسيعا على البؤرة الأصلية فيها، دون أن تشكلا بؤرة أصلية مستقلة.

الخلاصـة

يمكن تركيز المتفرقات التي وردت عند تفكيـك الفقـرات الثـلاث السابقة على مستوى نحو النص بما يلي:

١- لكل فقرة في النص بؤرة مركزية أصلية وبؤرة مركزية تابعة علـى الأقل. أما البؤرة المركزية الأصلية في كل الفقرة من الفقرات الثـلاث السابقة، فكان التركيب الحملي (ذلك الكتاب، في الفقـرة الأولـى/ إنّ الذين كفروا سواء عليهم، في الفقرة الثانية/ ومن الناس من يقول، في الفقرة الثالثة) وأما البؤرة التابعة فهي العبارة التابعـة شـبه الجملـة (للمتقين، في الفقرة الأولى/ ختم الله، في الفقرة الثانية/ يقول، آمنـا، يخادعون الله، مرض، قيل، آمنوا، لقـوا، خلـوا، قـالوا، معكـم، يستهزئ، يمد، يعمهون، ...)

٢- تكوّن الجملة الأولى في أي فقرة البؤرة الأصلية فيها، إذ قد ثبـت من خلال تحليل الفقرات الثلاث أنّ الجملة الأولى فيـها شـكلت البؤرة الأصلية لها.

٣- تتكون الجملة الأولى من نسبة جملية تامة من علاقة حمل أو إسـناد فقط.

٤- الجملة البؤرية الأولى تبقى ثابتة لا تتحول إلى علاقات أخرى.

٥- تكون بقية الجمل في أي فقرة: إما نسب تامة وإما ناقصـة، علـى مستوى جملها.

٦- النسب التامة أو الناقصة تتحول في الفقرة، إلى نسبة ناقصـــــة؛ أي نسب غير مستقلة بذاتها فهما.

٧- تتوسع البؤرة الأصلية في أي فقرة بتعلق النسب المتحولة بها.

٨- لا توجد في الفقرة الواحدة سوى جملة واحدة تامة؛ بمعنى أنّ الفقرة هي أصغر وحدة لغوية في أي لغة.

٩- ليس شرطا أن تكون البؤر التابعة جملة فقد تكون اسما(مرضـــا)أو فعلا(ختم) أو شبه جملة(للمتقين) أو جملة(يخادعون الله).

١٠- تتشكل الفقرة بالبناء حول البؤر ضمن قانون التوسعة.

١١- يعمل قانون التوسعة على ربط جمل وعبارات وألفاظ جديدة بالبؤرة المركزية عن طريق إنشاء علاقات نحوية منها:

١) علاقة الحمل.

٢) علاقة الإسناد.

٣) علاقة التوضيح.

٤) علاقة الوصف.

٥) علاقة الحال.

٦) علاقة التوكيد.

٧) علاقة الوصل.

٨) علاقة البدل.

٩) علاقة العطف.

١-٢

بنيـة الفقـرة: الطـي

٠- مدخـل

يجدر الالتفات إلى أنّ قانون التوسعة الآنف الذكر بما يقوم به من نشر للفظ على مستويي الزمان والمكان، وبسطه ضمن مجموعة من العلاقات، ذلك لتفشيه في الفقرة/ النص قد يؤدي، بل يؤدي بالضرورة، إلى ترهل الفقرة، بل وانفلاتها من عقل مجريها، بحيث تفقد قوتها الضامة لعناصرها، والمحققة لقدرتها على التأثير بالمتلقي؛ ذلك أنها تكرر علاقات ثابتة في الفقرة من جهة؛ مما يقلل فرص الاختيار الحر. وتقيد العناصر الموسعة- جميعا- رغم امتدادها وابتعادها، من خلال بؤرة واحدة أصلية من جهة ثانية. ونحن نعلم ضمن معرفتنا الفيزيائية، أنّ الموجة كلما ابتعدت عن مركز البؤرة، كانت أضعف. فهنا يعمل ذات القانون الطبيعي، فكلما ابتعدنا عن بؤرة الفقرة قل التماسك، وكلما اقتربنا زاد، فما الذي يسمح للوحدات البعيدة عن البؤرة بالارتباط بها والتماسك معها؛ إذ لا بد من وجود قانون آخر يسمح لنا بجذب العناصر المتباعدة إلى بؤرتها، وطيها عليها، فعلى الرغم من كون قانون التوسعة يهيئ للفقرة الخيط الناظم لعناصرها المتباينة، إلا أنه لا يسمح بشد هذه العناصر بعضها إلى بعض بشكل محكم، كما أنه لا يفسر انتهاء الفقرة المنتهية فعليا، فهي أي الفقرة ضمن قانون التوسعة ستبقى تتوسع إلى ما لا نهاية. فالفقرة واقعيا، بحاجة إلى كسر الرتابة والتكرار من جهة، وإلى ضبط هذا الجاري بلا حدود من جهة ثانية، فلا يعقل أن يتوسع النص فقط، وهو

ليس كذلك واقعا، فما القانون العامل على الحدّ من جماح قانون التوسعة هذا، بكسر رتابته وكبح قدرته على الاستمرار إلى ما لا نهاية؛ إذ يحكم العقل الناظر في الفقرة بأنها ممتدة من جهة، محكمة من جهة ثانية، ومنتهية من جهة ثالثة. وقد عرفنا القانون الذي يسمح لها بالامتداد، فما القانون الموازي الذي يسمح لها بالاشتداد والانتهاء. هذا ما سنجيب عنه فيما يأتي.

١- إحكام الفقرة

قررنا في مفهوم النص، من الفصل الأول، أن الاقتصاد خصيصة من خصائص النص الأساسية، وذكرنا حينها التفات الجرجاني إلى أثر هذا الاقتصاد، عند دراسته للاستعارة والكناية والمجاز، وذكرنا أيضا في نحو النص في الثقافة الغربية التفات جون ليونز إلى هذه الخصيصة، وبيّنّا كيف ميز النص من غير النص، من خلال توافر هذه الخصيصة تحديدا، أو انتفائها، ولكنا فيما درسنا لم نجد من عوّل على الاقتصاد أكثر من ذلك، فلم نجد أحدا من الدارسين من رفع الاقتصاد إلى رتبة القانون العام. ونرى من خلال تحليل النص القرآني أنّ الاقتصاد قانون عام يعمل في النص من خلال مجموعة من الاستراتيجيات أو المبادئ والقواعد يمكن لنا أن نثبتها فيما يأتي.

٢- قواعـد قانـون الاقتصاد

يعمل قانون الاقتصاد على ضبط النص، وشد أجزائـه، وربط عناصره بعضها ببعض، من خلال مجموعة من القواعد التي لا تتعدى الثلاث من وجهة نظرنا باحثين في الموضوع، وهذه القواعد الثلاث، هي: الحذف، والإضمار، والترميز. ويمكن لنا تفصيل كل بأدلته المثبتة من خلال ما يلي:

٢-١: الحـذف[1]

لو أخذنا بالتحليل الفقرة الأولى من فقرات النص القرآني السابق الذكر، فسنجد أنه من حيث إنه نص كان يعمد في كثير من الأحيان إلى حذف عنصر من عناصره أو تركيب كامل. ويدل السياق اللفظي السابق للموضع الذي تم فيه الحذف على طبيعة المحذوف، أو المحذوف ذاته. وفي أحيان كثيرة تجتمع العناصر المذكورة سابقا مع العناصر المذكورة أيضا لاحقا للدلالة عليه، وكأن لو أردنا التمثيل لها هكذا: في حديث عن شخص يدعى زيد نقول مثلا: (جاء زيد من المدرسة) أو (جاء ـ من المدرسة). مع أننا فعلياً عند تثبيت الجملة في الكتابة نكتب: (جاء من المدرسة). فالحذف لم يتم كما في الصورة النهائية، بل كما في الصورة الثانية؛ لأنّ المحذوف لفظ (زيد) دون محله، إذ بقي محله في الذهن فاعلا، وفي المعنى عائداً على المتحدث عنه (زيد) بمعنى أنّ الحذف ليس طردا لعنصر كامل، بل هو اقتصاد في ذكر الملفوظ بكل عناصره، مع

---

[1] راجع كتاب الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني ، ج٢، ص٣٦٢-٣٨٣.

أنّ هذا ليس بحذف نحوي، بل هو إضمار مع أن الحذف حاصل، ومثال الحذف قول الحق {لا ريب فيه} إذ أجمع النحاة على حذف الخبر، وتعلق شبه الجملة [فيه] به. وقد وجدنا في الفقرات الثلاث الأولى من النص القرآني الذي ندرس مواضع كثيرة تم فيها الحذف، ويمكن حصرها فيما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

آلم (١) ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (٢) الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون (٤) أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٥)

الرقم	الجملة في النص	المحذوف من الجملة	تقديره	الوضع
١-	لا ريب فيه	الخبر	موجود	عنصر أساسي
٢-	هدى للمتقين	المبتدأ	هو	عنصر أساسي
٣-	الذين يؤمنون	الصفة	الجماعة	عنصر موضح
٤-	ومما رزقناهم	المجرور	الشيء	عنصر موضح
٥-	والذين يؤمنون	الصفة	الجماعة	عنصر موضح
٦-	بما أنزل	المجرور	الشيء	عنصر موضح
٧-	وما أنزل	الفعل+المفعول	يصدقون+ الشيء	تركيب أساسي
٨-	أولئك على هدى	الخبر	كائنون	عنصر أساسي

أما الحذف في الفقرة الثانية،وهي قوله تعالى:

إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (٦) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم (٧)

فكان كما يلي:

الرقم	التركيب في النص	المحذوف من الجملة	تقديره	الوضع
١-	إن الذين	اسم إن	الجماعة	عنصر أساسي
٢-	سواء عليهم	الخبر	كائن	عنصر أساسي
٣-	وعلى سمعهم	الفعل+الفاعل	ختم الله	تركيب أساسي
٤-	ولهم عذاب	الخبر	كائن	عنصر أساسي

أما الفقرة الثالثة فقد تم الحذف فيها أيضا، هي قول الحق:

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (٨) يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون (٩) في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون (١٠) وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون (١١) ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (١٢) وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون (١٣) وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون (١٤) الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون (١٥) أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا

مهتدين (١٦) مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون (١٧) صم بكم عمي فهم لا يرجعون (١٨) أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين (١٩) يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير (٢٠)

في المواضع التالية:

الرقم	التركيب في النص	المحذوف من الجملة	تقديره	الوضع
١-	ومن الناس من	المبتدأ+الخبر	الشخص+ كائن	تركيب أساسي
٢-	يقول	الفاعل	هو	عنصر أساسي
٣-	وباليوم الآخر	الفعل+الفاعل	أمنا	تركيب
٤-	بمؤمنين	الجار+المجرور	بهما/ إطلاق لا حذف	شبه جملة موضح
٥-	والذين آمنوا	فعل+فاعل+صفة	يخادعون الجماعة	تركيب + عنصر موضح
٦-	وما يشعرون	الجار+المجرور	بالأمر/ إطلاق لا حذف	شبه جملة عنصر موضح
٧-	في قلوبهم مرض	الخبر	كائن	عنصر أساسي
٨-	ولهم عذاب	الخبر	كائن	عنصر أساسي
٩-	كانوا يكذبون	الجار+المجرور	في دعواهم/ إطلاق لا حذف	شبه جملة: موضح

الرقم	التركيب في النص	المحذوف من الجملة	تقديره	الوضع
١٠-	ولكن لا يشعرون	اسم لكن+ المتعلق	هم+ بالأمر (٦،٤)	عنصر أساسي+ شبه جملة موضح
١١-	ولكن لا يعلمون	اسم لكن+ المتعلق	هم+ بالأمر (٦،٤)	عنصر أساسي+ شبه جملة موضح
١٢-	الذين آمنوا	مفعول	الجماعة	عنصر موضح
١٣-	انا معكم	خبر إن	موجودون	عنصر أساسي
١٤-	أولئك الذين	الخبر	الجماعة	عنصر أساسي
١٥-	كمثل الذي	مضاف إليه	الشخص	عنصر موضح
١٦-	استوقد	الفاعل	هو	عنصر أساسي
١٧-	أضاءت	الفاعل	هي	عنصر أساسي
١٨-	ما حوله	المفعول	المكان	عنصر موضح
١٩-	وتركهم	الفاعل	هو	عنصر أساسي
٢٠-	لا يبصرون	المفعول	شيئا	عنصر موضح
٢١-	صم بكم عمي	المبتدأ	هم	عنصر أساسي
٢٢-	لا يرجعون	الجار والمجرور	إلى+ الحق	عنصر موضح
٢٣-	كصيب	المبتدأ+المضاف	مثلهم أصحاب	عنصر أساسي وموضحه+ موضح
٢٤-	فيه ظلمات	الخبر	موجود	عنصر أساسي
٢٥-	وبرق	الخبر +المتعلق	موجود+فيه	عنصرين: أساسي وموضح
٢٦-	ورعد	الخبر +المتعلق	موجود+فيه	عنصرين: أساسي وموضح
٢٧-	يخطف أبصارهم	الفاعل	هو	عنصر أساسي
٢٨-	أضاء لهم	الفاعل	هو	عنصر أساسي
٢٩-	أظلم عليهم	الفاعل	هو	عنصر أساسي
٣٠-	لذهب	الفاعل	هو	عنصر أساسي

نلحظ أن المحذوف غالبا عنصر أساسي؛ فقد بلغ مجموع العناصر الأساسية المحذوفة أكثر من ثلاثين عنصرا من مجموع واحد وأربعين موضعا تم فيه الحذف. ذلك يعني أن الحذف يتم عادة في عناصر لا يمكن للعقل أن يستغني عنها، فلو حذفت فإن العقل يقدرها؛ إذ هي مطابق أو

متضمن، في حين كان الناص يتحاشى الحذف من ملازمات اللفظ والتركيب؛ لأنها أبعد عن قدرة العقل في تحديد الملازم. وستجد أنّ تلك الموضحات القليلة التي عمد النص إلى حذفها يقوم دليل مادي على طلبها وتوقعها. كما لاحظنا أن الناص يقوم بعمليات حذف هي:

- حذف عنصر أساسي في النسب التامة كالفعل أو الفاعل أو المبتدأ أو الخبر.
- حذف تركيب كامل كالمبتدأ والخبر معا والفعل والفاعل معا أيضا.
- حذف عنصر واحد موضح كالمفعول أو الصفة أو المضاف أو المضاف إليه أو المجرور.
- حذف شبه جملة كحذف الجار والمجرور عادة.

٢-٢: الإضمار والإحالة

الإضمار، وسيلة من وسائل الفقرة في الاقتصاد، يقوم على مبدأ الاستبدال؛ أي استبدال عنصر بآخر، بحيث يكون العنصر البديل، عنصرا عاما، يمكن انطباقه على العنصر المحدد، في الفقرة سابقا، أو لاحقا، أو حالٌ في الفقرة منطقا بأن يكون ملازما من ملازمات عنصر فيه، فالأول هو ما عبر النحاة الأوائل عنه بالأصل في الضمير العائد، والثاني ما عبروا عنه بالفرع أو الشاذ، وهو الضمير العائد على متأخر، وعبر عنهما النصيون بالإحالة القبلية، والبعدية. أما الثالث فهو ما يمكن أن يطلق عليه اسم الضمير المجهول (الشأن) والمستتر، ويعيدهما

الفريقان: النحاة، والنصيون، على العالم، باختلاف العبارة، بينما بالنسبة لضمير الشأن؛ فبعضهم يراها القرينة الحالية، وبعضهم يراها المفسر، وكلاهما يرى أنه عائد على متأخر أو إحالة بعدية. أما في الضمير المستتر فإن كان سبقه اسم ظاهر فهو عائد عليه عند النحاة كالضمير المتصل والمنفصل، وهو عند النصيين إحالة قبلية. أما إن لم يسبقه الاسم الظاهر ولم نتمكن من تعليقه به فهو في هذه الحالة عائد على العالم، تفسره القرائن الحالية؛ أي يُفسر بالمعلومات المسبقة عن النص وظرف الرسالة.

إنَّ الإضمار ينطوي على نوع من الإحالة، ولا ينفي البحث أنَّ الحذف الحاصل من استتار الضمير، يحمل ذات القيمة الإحالية، ولكنه يعدّ الإحالة استراتيجية عقلية، يستند إليها الناص حين يقوم بعملية الاقتصاد في الفقرة، فالاقتصاد حادث بالإضمار وحده، دون الإحالة؛ ويقوم الناص بالإضمار عندما يطمئن إلى قدرة المتلقي، على فهم العنصر المختصر، في ضوء منطق النص، فهي؛ أي الإحالة مسوغ الاقتصاد عقليا، وليست منه واقعيا؛ إذ لولاها لما اختصر الناص بالإضمار ولما اختصر بالحذف أيضا.

ولو سلمنا بأنّ الإحالة قانون من قوانين النص، فهذا يعني بالضرورة، أنْ لا قانون خلافها فيه، فما التعليق بالوصف، والحال، والتوضيح، والبدل، والتوكيد، والعطف، والحمل، والإسناد إلا نوع من أنواع الإحالة على الأفعال والأسماء، التي تكوّن عناصر النسب التامة. فالفرق الواضح إذن بين الاقتصاد باختصار اللفظ الظاهر إلى ضمير، وبين ما يحيل عليه هذا الضمير.

والإحالة كذلك قد يجتمع فيها أمران: الأول الاقتصاد، والثاني التوسعة، ولنأخذ الجملة الأولى من الفقرة الأولى في النص القرآني نموذجا وهي قول الحق سبحانه { ذلك الكتاب}، فعندما قال الحق سبحانه (ذلك) مثلا، فإن المتلقي لم يفهم شيئا، ولم يستقل في ذهنه معنى، حتى وسع فقال سبحانه (الكتاب) ففهم المتلقي حينها أنّ المقصود الإشارة إلى مطابق المشار إليه، وهو هنا لفظ (الكتاب) فالإحالة الحاصلة هنا، وهي إحالة بعدية، وهذه الإحالة البعدية هي التي أجبرت على توسيع الجملة، مع أنها في الوقت ذاته، أوجدت الاختصار بإرسال اسم الإشارة (ذلك) بدلا من جملة كاملة فحواها: أشير لك إلى... أي حققت قانون الاقتصاد بكونها اسما مبهما.

ونعلم أيضا، أنّ لفظ (ذلك) لا يحقق فقط إحالة بعدية، أي أن هذا اللفظ (ذلك) يحتاج حتى يستقل بالفهم أن توسع الجملة بإضافة عنصر جديد إليها، بل قد يحقق إحالة قبلية أيضا، أي يحقق الاقتصاد دون توسيع للجملة، و مثاله أنك لو حدثت شخصا في موضوع ما، ثم بعد كلام قلت له: لقد قلت لك ذلك. فإنّ (ذلك) هنا تحيل إلى قضية سابقة، فتكون (ذلك) هذه قد اختصرت جملة كاملة دون احتياج إلى توسيع بعدها.

وعليه، فإنّ الإحالة بذاتها- ما دامت قامت مرة بالتوسيع والاقتصاد ومرة ثانية بالاقتصاد دون التوسيع- ليست قانونا من قوانين الفقرة؛ لأنها ببساطة قامت بالعمل ونقيضه، أي بالاقتصاد والتوسيع في آن معا وفي آنيين مختلفين.

أما إن قصدنا بالإحالة التعليق فأمر آخر؛ ذلك أنّ كل علاقات الفقرة/ النص علاقات إحالة إلى عنصر سابق أو لاحق فيه، فما علاقات التوسيع السابقة الذكر أعلاه إلا نوع من أنواع الإحالة النصية. وقد قررنا أن الإضمار قاعدة من قواعد الاقتصاد؛ لأنها اختصار للفظ المذكور سابقا دون حاجة لذكر مطابقه بعده؛ لأننا لو ذكرناه بعده، لم نحقق الاقتصاد، بل كان أجدى بنا حينها أن نعده قاعدة من قواعد التوسيع، فالإضمار كالحذف تماما يقوم على اختصار عناصر في الفقرة دون حاجة لتكرار ذكرها.

سنقوم الآن بحصر الضمائر التي وردت في الفقرات الثلاث الأولى، وبيان عائدها في كل فقرة، مع ملاحظة الوضع الذي شكلته في الفقرة التي وجد الضمير فيها، وإليك الفقرة الأولى وهي قول الحق سبحانه:

بسم الله الرحمن الرحيم

آلم (١) ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (٢) الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون (٤) أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٥) .

الرقم	التركيب في النص	الضمير	العائد	الوضع
١-	ذلك الكتاب	ك	المخاطب	اختصار عنصر
٢-	لا ريب فيه	هـ	الكتاب	اختصار عنصر
٣-	يؤمنون	ون	المتقون	اختصار عنصر
٤-	يقيمون	ون	المتقون	اختصار عنصر
٥-	ينفقون	ون	المتقون	اختصار عنصر
٦-	يؤمنون	ون	المتقون	اختصار عنصر
٧-	بما أنزل	نائب الفاعل	هو = الكتاب	اختصار عنصر
٨-	إليك	ك	المخاطب	اختصار عنصر
٩-	وما أنزل	نائب الفاعل	هو= الكتاب	اختصار عنصر
١٠-	قبلك	ك	المخاطب	اختصار عنصر
١١-	هم	هم	المتقون	اختصار عنصر
١٢-	يوقنون	ون	المتقون	اختصار عنصر
١٣-	أولئك	ك	المخاطب	اختصار عنصر
١٤-	من ربهم	هم	المتقون	اختصار عنصر
١٥-	وأولئك	ك	المخاطب	اختصار عنصر
١٦-	هم	هم	المتقون	اختصار عنصر

أما الإضمار في الفقرة الثانية، وهي قوله تعالى:

إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون(٦) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم(٧).

فكان فيما يلي:

الرقم	الجملة في النص	الضمير	العائد	الوضع
١-	كفروا	وا	الجماعة	اختصار عنصر
٢-	سواء عليهم	هم	الجماعة	اختصار عنصر
٣-	أنذرتهم	ت+هم	المخاطب+الجماعة	اختصار عنصرين
٤-	تنذرهم	(..) +هم	المخاطب+الجماعة	اختصار عنصرين
٥-	يؤمنون	ون	الجماعة	اختصار عنصر
٦-	قلوبهم	هم	الجماعة	اختصار عنصر
٧-	سمعهم	هم	الجماعة	اختصار عنصر
٨-	أبصارهم	هم	الجماعة	اختصار عنصر
٩-	ولهم عذاب	هم	الجماعة	اختصار عنصر

أما الفقرة الثالثة فقد تم الإضمار فيها أيضا، هي قول الحق:

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (٨) يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون (٩) في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون (١٠) وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن

مصلحون (١١) ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (١٢) وإذا قيل لهم آمنوا كما
آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون (١٣) وإذا
لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون (١٤) الله
يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون (١٥) أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما
ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين (١٦) مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما
حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون (١٧) صم بكم عمي فهم
لا يرجعون (١٨) أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في
آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين (١٩) يكاد البرق يخطف
أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم
وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير (٢٠)

في المواضع التالية:

الرقم	التركيب في النص	الضمير	العائد	الوضع
١-	يقول	هو	الغائب	اختصار عنصر
٢-	آمنا	نا	الناس	اختصار عنصر
٣-	يخادعون	ون	القائلين	اختصار عنصر
٤-	آمنوا	وا	الجماعة	اختصار عنصر
٥-	يخدعون	ون	القائلين	اختصار عنصر
٦-	أنفسهم	هم	القائلين	اختصار عنصر
٧-	يشعرون	ون	القائلين	اختصار عنصر

الرقم	التركيب في النص	الضمير	العائد	الوضع
٨-	قلوبهم	هم	القائلين	اختصار عنصر
٩-	فزادهم	هم	القائلين	اختصار عنصر
١٠-	ولهم	هم	القائلين	اختصار عنصر
١١-	كانوا	وا	القائلين	اختصار عنصر
١٢-	يكذبون	ون	القائلين	اختصار عنصر
١٣-	قيل	نائب الفاعل	المقول	اختصار تركيب
١٤-	لهم	هم	القائلين	اختصار عنصر
١٥-	تفسدوا	وا	القائلين	اختصار عنصر
١٦-	قالوا	وا	القائلين	اختصار عنصر
١٧-	نحن	نحن	القائلين	اختصار عنصر
١٨-	إنهم	هم	القائلين	اختصار عنصر
١٩-	هم	هم	القائلين	اختصار عنصر
٢٠-	ولكن لا	هم	القائلين	اختصار عنصر
٢١-	يشعرون	ون	القائلين	اختصار عنصر
٢٢-	قيل	نائب الفاعل	المقول	اختصار تركيب
٢٣-	لهم	هم	القائلين	اختصار عنصر
٢٤-	آمنوا	وا	القائلين	اختصار عنصر
٢٥-	قالوا	وا	القائلين	اختصار عنصر
٢٦-	أ نؤمن	(..)	نحن= القائلين	اختصار عنصر
٢٧-	إنهم	هم	القائلين	اختصار عنصر

الرقم	التركيب في النص	الضمير	العائد	الوضع
٢٨-	هم	هم	القائلين	اختصار عنصر
٢٩-	ولكن لا	هم	القائلين	اختصار عنصر
٣٠-	يعلمون	ون	القائلين	اختصار عنصر
٣١-	لقوا	وا	القائلين	اختصار عنصر
٣٢-	قالوا	وا	القائلين	اختصار عنصر
٣٣-	خلوا	وا	القائلين	اختصار عنصر
٣٤-	شياطينهم	هم	القائلين	اختصار عنصر
٣٥-	قالوا	وا	القائلين	اختصار عنصر
٣٦-	إنا	نا	القائلين	اختصار عنصر
٣٧-	معكم	كم	المخاطبين=الشياطين	اختصار عنصر
٣٨-	نحن	نحن	القائلين	اختصار عنصر
٣٩-	يستهزئ	(..)	غائب=هو	اختصار عنصر
٤٠-	بهم	هم	القائلين	اختصار عنصر
٤١-	ويمدهم	هم	القائلين	اختصار عنصر
٤٢-	طغيانهم	هم	القائلين	اختصار عنصر
٤٣-	يعمهون	ون	القائلين	اختصار عنصر
٤٤-	أولئك	ك	المخاطب	اختصار عنصر
٤٥-	اشتروا	وا	القائلين	اختصار عنصر
٤٦-	كانوا	وا	القائلين	اختصار عنصر

الرقم	التركيب في النص	الضمير	العائد	الوضع
٤٧-	مثلهم	هم	القائلين	اختصار عنصر
٤٨-	استوقد	(..)	هو = المستوقد	اختصار عنصر
٤٩-	أضاءت	(..)	هي = النار	اختصار عنصر
٥٠	ما حوله	هـ	هو = المستوقد	اختصار عنصر
٥١-	بنورهم	هم	القائلين/المستوقد	اختصار عنصر
٥٢-	وتركهم	هم	القائلين/المستوقد	اختصار عنصر
٥٣-	يبصرون	ون	القائلين/المستوقد	اختصار عنصر
٥٤-	صم	(..)	هم	اختصار عنصر
٥٥-	فهم	هم	القائلين/المستوقد	اختصار عنصر
٥٦-	يرجعون	ون	القائلين/المستوقد	اختصار عنصر
٥٧-	فيه	هـ	هو=الصيب	اختصار عنصر
٥٨-	يجعلون	ون	القائلين	اختصار عنصر
٥٩-	أصابعهم	هم	القائلين	اختصار عنصر
٦٠-	آذانهم	هم	القائلين	اختصار عنصر
٦١-	يخطف أبصارهم	(..)	هو = البرق	اختصار عنصر
٦٢-	أبصارهم	هم	القائلين	اختصار عنصر
٦٣-	أضاء	(..)	هو = البرق	اختصار عنصر
٦٤-	لهم	هم	القائلين	اختصار عنصر
٦٥-	فيه	هـ	البرق	اختصار عنصر
٦٦-	أظلم	(..)	هو = البرق	اختصار عنصر

الرقم	التركيب في النص	الضمير	العائد	الوضع
٦٧-	عليهم	هم	القائلين	اختصار عنصر
٦٨-	قاموا	وا	القائلين	اختصار عنصر
٦٩-	لذهب	(..)	هو = الله	اختصار عنصر
٧٠-	بسمعهم	هم	القائلين	اختصار عنصر
٧١-	وأبصارهم	هم	القائلين	اختصار عنصر

نلحظ أن المضمر غالبا عنصر واحد من النص؛ اللهم إلا في حالات نادرة كتلك التي حل التركيب المقول محل العنصر.

٢-٣: الترميز

سنحاول أن نوضح مقصود البحث بالترميز من خلال نص لأبي الفتح بن جني في كتاب الخصائص، وذلك قوله:" أخبرنا أبو علي- رحمه الله- قال أبو بكر: حذف الحرف ليس بالقياس. قال: وذلك أن الحروف إنما دخلت الكلام لضرب من الاختصار، فلو ذهبت تحذفها لكنت مختصرا لها هي أيضا واختصار المختصر إجحاف به. تمت الحكاية"[1]. وبالتدقيق في هذا النص يثبت لنا أمران، الأول: تعد العرب الحذف اختصارا؛ لقوله: "فلو ذهبت تحذفها، لكنت مختصرا لها". وهذا ما ذكره البحث في الحذف سابقا. والثاني: أن العرب تعد حروف المعاني كلها اختصارات لكلام صريح، وقد ظهر ذلك واضحا من عبارة أبي علي

---

[1] الخصائص : ص ٢٧٥.

الفارسي السابقة، نقلا عن أبي بكر: "وذلك أنّ الحروف إنما دخلت الكلام لضرب من الاختصار".

لم نقصد بالترميز أكثر من ذلك، وهو ضرب من الاستغناء، فلو قلنا: ما قام زيد. فقد أغنت (ما) عن (أنفي) وهي جملة من فعل وفاعل؛ فالترميز من وجهة نظر البحث: هو الوضع الذي يحل به عنصر لغوي محل عبارة لغوية: مفردة أو تركيب، مع أنه -أي العنصر الجديد- لا يدل عليها بالوضع، كدلالة الحرف الواحد من حروف الهجاء، على علاقة لم تذكر في النص. فكان وضع هذا العنصر: الحرف الواحد مثلا، دالا على وجود تلك العلاقة، فعندما نجد في مواضع محددة الواو، فإننا نفهم أنّ هذا الحرف ليس مجرد حرف هجاء فقط، بل هو رامزة[1] تنحل في الذهن؛ لتدل على معنى أعطف على ما سبق، أو حال مما سبق. وعندما نجد الحرف (إنما) الذي تكون من أكثر من حرفين، فإنه ينحل في الذهن إلى جملة لغوية، تدل على مفهوم (أحصر)، مع أنه بأصل الوضع، لا يدل على معنى في ذاته، والمعنى المثبت له من قولنا (أحصر) إنما حدث له بالتركيب؛ أي بالسياق اللفظي فقط. وعندما نجد حرف (ما) بعده الحرف (إلا) في وضع معين، نفهم ذات الدلالة السابقة؛ أي أحصر، وعندما نجد الحرف (ألا) نفهم معنى (أنبه)، وعندما نجد في النص الحرف (إذا) أو غيرها مما اصطلح على تسميته بأدوات الشرط فإننا نفهم معنى (أشترط) ... وهكذا[2].

---

(1) إنّ كلمة (رامزة) هي ترجمة أستاذي الدكتور سمير ستيتية لكلمة (Code) بدلا من ترجمتها بكلمة (شيفرة).

(2) راجع باب زيادة الحروف وحذفها، الخصائص، ص ٢٧٥-٢٧٦.

٢-٣-١: العطف

العطف علاقة توسيع في الفقرة كما أوضحنا، وهو في الوقت ذاته وسيلة من وسائل الفقرة في الاقتصاد. ولكن نشير هنا إلى أن الجهة منفكة في كل موضع من الموضعين. فالعطف من جهة وظيفته في الفقرة يسمح لها بالاتساع؛ أي أنه يسمح لها بأن تكوّن علاقة جديدة: جملة أو عبارة أو مفردة، بحيث يُلتفت إلى ارتباطه بالعناصر السابقة. والعطف من جهة شكله وبنائه، ما هو إلا حرف يرمز بالاتفاق إلى أن الناص أراد العطف؛ أي أنه أراد أن يلفت المتلقي إلى اشتراك التركيب الحالي مع سابقه في الحكم، فهو من هذه الجهة فقط، داخل في الاقتصاد؛ إذ أطلق حرفا لا يدل على معنى كالواو مثلا، ففهم منه معنى أعطف وأشرك في الحكم، ويمكن لنا تتبع هذا الاقتصاد بالعطف في الفقرات الثلاث الأولى، كما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الم(١) ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين(٢) الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون(٣) والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون(٤) أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون(٥) .

الرقم	الجملة في النص	الرمز	دلالته	الوضع
١-	ويقيمون الصلاة	و	أعطف على الجملة	صلة
٢-	ومما رزقناهم...	و	أعطف على الجملة	صلة
٣-	والذين يؤمنون	و	أعطف على عنصر	صفة
٤-	وما أنزل	و	أعطف على الجملة	صلة
٥-	وبالآخرة هم...	و	أعطف على الجملة	صلة
٦-	وأولئك هم...	و	أعطف على الجملة	صفة

أما العطف في الفقرة الثانية، وهي قوله تعالى:

إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (٦)
ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب
عظيم (٧).

فكان فيما يلي:

الرقم	الجملة في النص	الرمز	دلالته	الوضع
١-	أم لم تنذرهم	أم	أعطف علي عنصر	مبتدأ
٢-	وعلى سمعهم	و	أعطف على الجملة	حال
٣-	وعلى أبصارهم	و	أعطف على الجملة	حال
٤-	ولهم عذاب...	و	أعطف على الجملة	حال

أما الفقرة الثالثة، فقد تم العطف فيها أيضا، وهي قول الحق:

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (٨) يخادعون الله
والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون (٩) في قلوبهم مرض فزادهم الله
مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون (١٠) وإذا قيل لهم لا تفسدوا في
الأرض قالوا إنما نحن مصلحون (١١) ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (١٢)
وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم
السفهاء ولكن لا يعلمون (١٣) وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم
قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون (١٤) الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم
يعمهون (١٥) أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا
مهتدين (١٦) مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم
وتركهم في ظلمات لا يبصرون (١٧) صم بكم عمي فهم لا يرجعون (١٨)

أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين (١٩) يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير (٢٠)

في المواضع التالية:

الرقم	الجملة في النص	الرمز	دلالته	الوضع
١-	ومن الناس	و	أعطف/وأفصل	استئناف/ بؤرة
٢-	وما هم...	و	أعطف على الجملة	ربط جملة بجملة سابقة
٣-	والذين آمنوا	و	أعطف على الجملة	ربط جملة بجملة سابقة
٤-	وما يخدعون...	و	أعطف على الجملة	ربط جملة بجملة سابقة
٥-	وما يشعرون	و	أعطف على الجملة	ربط جملة بجملة سابقة
٦-	فزادهم الله	ف	أعطف على الجملة	ربط جملة بجملة سابقة
٧-	ولهم عذاب	و	أعطف على الجملة	ربط جملة بجملة سابقة
٨-	وإذا قيل ...	و	أعطف على الجملة	ربط جملة بجملة سابقة
٩-	ولكن لا...	و	أعطف	ربط جملة بجملة سابقة
١٠-	وإذا لقوا...	و	أعطف	ربط جملة بجملة سابقة
١١-	وإذا خلوا...	و	أعطف	ربط جملة بجملة سابقة
١٢-	ويمدهم	و	أعطف	ربط جملة بجملة سابقة
١٣-	فما ربحت...	ف	أعطف/نتيجة	ربط جملة بجملة سابقة
١٤-	وما كانوا...	و	أعطف	ربط جملة بجملة سابقة

الرقم	الجملة في النص	الرمز	دلالته	الوضع
١٥-	فلما أضاءت...	ف	أعطف/ نتيجة	ربط جملة بجملة سابقة
١٦-	وتركهم...	و	أعطف على الجملة	ربط جملة بجملة سابقة
١٧-	فهم لا...	ف	أعطف على جملة	ربط جملة بجملة سابقة
١٨-	أو كصيب	أو	أعطف على جملة	ربط جملة بجملة سابقة
١٩-	ورعد وبرق	و	أعطف على جملة	ربط جملة بجملة سابقة
٢٠-	والله محيط...	و	أعطف على جملة	ربط جملة بجملة سابقة
٢١-	وإذا أظلم...	و	أعطف على جملة	ربط جملة بجملة سابقة
٢٢-	ولو شاء الله...	و	أعطف على جملة	ربط جملة بجملة سابقة
٢٣-	وأبصارهم	و	أعطف على جملة	ربط جملة بجملة سابقة

٢-٣-٢: الشرط

يتجه حديثنا هنا نحو أداة الشرط ذاتها، لا في تعليق الشرط بالجزاء، باعتبار أن العملية، عملية توسيع للجملة، بربطها بجملة تالية لها، بحيث تكون الجملتان تركيبا جديدا متسعا[١]. فأداة الشرط اسما أو حرفا ما هي إلا رمز لغوي يدل على استغناء الفقرة عن تركيب لغوي كامل من الفعل والفاعل عادة ومتعلقاته، من مثل (إذا) التي تدل على معنى أشترط مستقبلا، أو (إذ) الظرفية التي تتعلق بالمضي، أو (كيف)

---

[١] راجع: البحث النحوي عند الأصوليين: مصطفى جمال الدين، ص ٢٥٦-٢٥٨.

التي تعلقه بالكيفية أو الحالة وهكذا... ويمكن أن نتلمس وجود هذه الاختصارات في النص من خلال تتبعها في الفقرات الثلاث الأولى، بادئين بالفقرة الأولى وهي قول الحق سبحانه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الم (١) ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (٢) الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون (٤) أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٥).

ونلحظ عدم وجود الشرط في هذه الفقرة، وكذلك في الفقرة الثانية،وهي قوله تعالى:

إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (٦) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم (٧).

أما الفقرة الثالثة، فقد وجد الشرط فيها في المواضع التالية، والفقرة الثالثة هي قول الحق سبحانه:

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هـم بمؤمنين (٨) يخادعون الله
والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهـم وما يشعرون (٩) في قلوبهـم مرض فزادهـم الله
مرضا ولهـم عذاب أليـم بـما كانوا يكذبون (١٠) وإذا قيل لهـم لا تفسدوا في
الأرض قالوا إنما نحن مصلحون (١١) ألا إنهـم هـم المفسدون ولكن لا يشعرون (١٢)
وإذا قيل لهـم آمنوا كـما آمن الناس قالوا أنؤمن كـما آمن السفهاء ألا إنهـم هـم
السفهاء ولكن لا يعلمون (١٣) وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهـم
قالوا إنا معكـم إنما نحن مستهزئون (١٤) الله يستهزئ بهـم ويمدهـم في طغيانهـم
يعمهون (١٥) أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهـم وما كانوا
مهتدين (١٦) مثلهـم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهـم
وتركهـم في ظلمات لا يبصرون (١٧) صـمّ بكـم عمي فهـم لا يرجعون (١٨)
أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهـم في آذانهـم من
الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين (١٩) يكاد البرق يخطف أبصارهـم
كلما أضاء لهـم مشوا فيه وإذا أظلـم عليهـم قاموا ولو شاء الله لذهب بسـمعهـم
وأبصارهـم إنّ الله على كل شيء قدير (٢٠) .

الرقم	الجملة في النص	الرمز	دلالته	الوضع
١-	وإذا قيل ...	إذا	أشرط	ربط جملة بأخرى لاحقة
٢-	وإذا لقوا...	إذا	أشرط	ربط جملة بأخرى لاحقة
٣-	وإذا خلوا...	إذا	أشرط	ربط جملة بأخرى لاحقة
٤-	فلما أضاءت...	لما	أشرط	ربط جملة بأخرى لاحقة
٥-	كلما أضاء...	كلما	أشرط (معنى)	ربط جملة بأخرى لاحقة
٦-	وإذا أظلم...	إذا	أشرط	ربط جملة بأخرى لاحقة
٧-	ولو شاء الله...	لو	أشرط	ربط جملة بأخرى لاحقة

٢-٣-٣: الحصر والاستثناء

لم يوجد أسلوب الاستثناء أو الحصر، في الفقرتين الأولى والثانية، أما في الفقرة الثالثة، فقد وجد الحصر دون الاستثناء في مواضع قليلة قياسا بالأساليب السابقة، والفقرة الثالثة، هي قول الحق:

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (٨) يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون (٩) في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون (١٠) وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون (١١) ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (١٢) وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم

السفهاء ولكن لا يعلمون (١٣) وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم
قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون (١٤) الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم
يعمهون (١٥) أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا
مهتدين (١٦) مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم
وتركهم في ظلمات لا يبصرون (١٧) صم بكم عمي فهم لا يرجعون (١٨)
أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من
الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين (١٩) يكاد البرق يخطف أبصارهم
كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم
وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير (٢٠)

ويمكن جمع المواضع التي ظهر فيها أسلوب الحصر في الجدول التالي:

الرقم	الجملة في النص	الرمز	دلالته	الوضع
١-	وما يخدعون...	ما+ إلا	أحصر	اختصار جملة
٢-	إنما نحن...	إنما	أحصر	اختصار جملة
٣-	إنما نحن...	إنما	أحصر	اختصار جملة

٢-٣-٤: التأكيد

لم يقع التأكيد في الفقرتين الأولى والثانية، أما الفقرة الثالثة فقد وقع التأكيد فيها باستخدام أسلوب التنبيه إلى حقيقة القضية التي يعرض، دون استخدام أسلوب التوكيد اللفظي أو المعنوي المعروف نحويا؛ وذلك في ثلاثة مواضع من الفقرة الثالثة، وهي قول الحق:

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (٨) يخادعون الله
والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون (٩) في قلوبهم مرض فزادهم الله
مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون (١٠) وإذا قيل لهم لا تفسدوا في
الأرض قالوا إنما نحن مصلحون (١١) ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (١٢)
وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم
السفهاء ولكن لا يعلمون (١٣) وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم
قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون (١٤) الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم
يعمهون (١٥) أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا
مهتدين (١٦) مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم
وتركهم في ظلمات لا يبصرون (١٧) صم بكم عمي فهم لا يرجعون (١٨)
أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من
الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين (١٩) يكاد البرق يخطف أبصارهم

كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إنّ الله على كل شيء قدير (٢٠)

الرقم	الجملة في النص	الرمز	دلالته	الوضع
١-	ألا إنهم ...	ألا	أنبه	اختصار عنصر
٢-	ألا إنهم	ألا	أنبه	اختصار عنصر
٣-	إن الله ...	إنّ	أؤكد	اختصار عنصر

٢-٣-٤: النفي والنهي

نقصد بالنفي هنا النفي النحوي، مع الإشارة إلى أثره الدلالي في التركيب تحديدا، كوسيلة من وسائل الفقرة في الاقتصاد؛ إذ النفي واقعا، ما هو إلا استخدام حرف لغوي من حروف المعاني؛ ليشير إلى معنى جملة كاملة، مكونة من فعل وفاعل، استغني عنها؛ أي عن الجملة التي تحمل معنى أنفي. وقد ورد النفي بهذا المفهوم في الفقرة الأولى، وهي قول الحق سبحانه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الم (١) ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (٢) الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون (٤) أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٥)

في موضع واحد وهو:

الرقم	الجملة في النص	الرمز	دلالته	الوضع
١-	لا ريب فيه	لا	أنفي	اختصار عنصر

أما النفي في الفقرة الثانية، وهي قوله تعالى:

إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (٦) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم (٧).

فقد ورد أيضا مرة واحدة في الموضع التالي:

الرقم	الجملة في النص	المحذوف من الجملة	تقديره	الوضع
١-	لا يؤمنون	لا	أنفي	اختصار عنصر

أما الفقرة الثالثة فقد وقع النفي فيها في غير موضع يمكـــن أن نحصرها بعد عرضها في الفقرة، وهي قول الحق:

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (٨) يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون (٩) في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون (١٠) وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون (١١) ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (١٢) وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون (١٣) وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون (١٤) الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون (١٥) أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين (١٦) مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون (١٧) صم بكم عمي فهم لا يرجعون (١٨) أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين (١٩) يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء

لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم

إنّ الله على كل شيء قدير(٢٠)

في المواضع التالية:

الرقم	الجملة في النص	الرمز	دلالته	الوضع
١-	وما هم...	ما	أنفي	اختصار عنصر
٢-	وما يخدعون	ما	أنفي	اختصار عنصر
٣-	وما يشعرون	ما	أنفي	اختصار عنصر
٤-	لا تفسدوا	لا	أنهي	اختصار عنصر
٥-	لا يشعرون	لا	أنفي	اختصار عنصر
٦-	لا يعلمون	لا	أنفي	اختصار عنصر
٧-	فما ربحت...	ما	أنفي	اختصار عنصر
٨-	وما كانوا...	ما	أنفي	اختصار عنصر
٩-	لا يبصرون	لا	أنفي	اختصار عنصر
١٠-	لا يرجعون	لا	أنفي	اختصار عنصر

الخلاصـة

يمكن تركيز نتائج ما تقدم فيما يلي:

١- يعمل قانون التوسعة، من خلال أمرين، الأول: السماح للجمل بالتشكل والترابط على مستوى المجاورة المحضة؛ بمعنى أنه يسمح لنحو الجملة ونحو ما فوق الجملة بالعمل في التراكيب المتجاورة، والثاني: تحويل تلك التراكيب - المتماسكة على مستوى المفردة/الجملة بالبؤرة الأصلية - إلى علاقات نحوية جديدة تكون ناقصة لا تستقل بالفهم حتى يتم تعليقها بالجملة البؤرة.

٢- يعمل قانون التوسعة في البؤر الثانوية عمله في البؤر الأصلية، بذات القواعد والعلاقات.

٣- يعمل قانون التوسعة على نشر الفقرات مما يؤدي إلى ترهل أجزائها.

٤- يقوم قانون آخر في الفقرة ليعمل على شدّ عناصرها وإحكام سبكها وهذا القانون هو قانون الاقتصاد.

٥- يعمل قانون الاقتصاد على اختصار العناصر الجملية المكررة من جهة، وتلك التي يمكن الاستغناء عنها لوجود قرائن تدل عليها من جهة ثانية من خلال ثلاث استراتيجيات هي:

١) الحذف.

٢) الإضمار.

٣) الترميز.

٦- يتم عمل هذا القانون باتباع استراتيجية الحذف باختصار جملة بسيطة أو مركبة أو اسم أو حرف حين يقوم دليل على تصورها.

٧- يعمل قانون الاقتصاد باتباع استراتيجية الإضمار باستبدال عنصر رمزي بعنصر اسمي بحيث يحيل عليه بشكل ثابت إحالة قبلية أو بعدية.

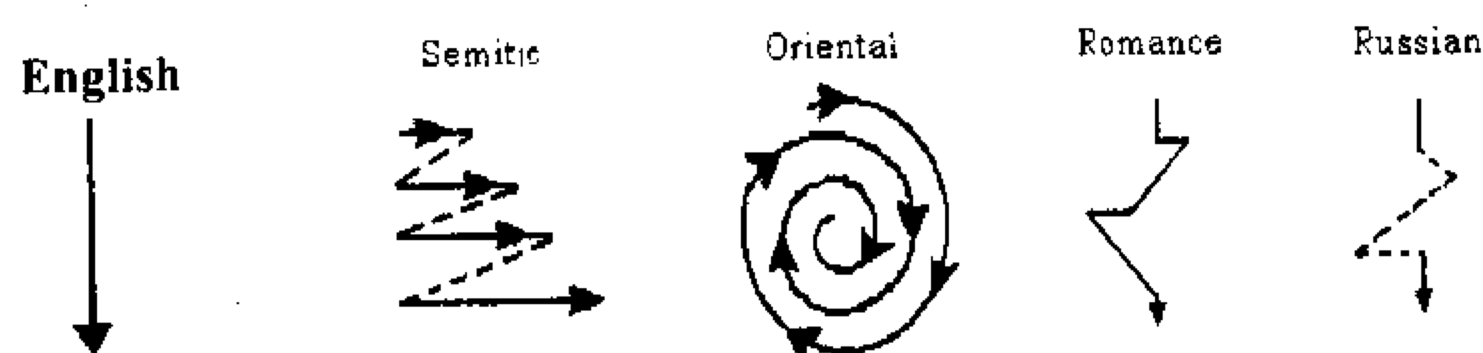
٨- يعمل القانون باتباع استراتيجية الترميز باستبدال عنصر حرفي بعنصر اسمي أو فعلي لا يدل عليه وحده؛ وإنما يدل عليه بالسياق اللفظي، ولا يحيل على عنصر معين في الفقرة مستندا إلى تواضع أهل اللغة.

٩- يدخل في الترميز جميع حروف المعاني.

١٠- يؤكد قانون الاقتصاد أن الناص يتصور الفقرة قبل الشروع في التلفظ بها تصورا كاملا من أولها إلى آخرها؛ إذ هو لا يحذف أو يضمر أو يرمز اعتباطا كلما عنّ له ذلك، بل يجري ذلك بحيث يظهر وعيا كاملا بما تصير إليه الفقرة بعد قليل. وهذا يعني أن الفقرة هي أصغر وحدة نصية يمكن تصورها وليس الجملة أو ما فوقها[١].

---

[١] بناء على ما توصل البحث إليه فإنه يمكن أن نعد افتراض **كبلن** الذي قدمه في كتابه علم الخطاب التقابلي من خلال الشكل الإيضاحي التالي لسلوك الفقرة في مجموعات لغوية معينة بأنسه مجانب للصواب وعلى أقل تقدير فإنه غير منطبق على الفقرة في العربية:



Kaplan, Robert. *Cultural Thought Patterns in Intercultural Education*. In McKay, Sandra [Ed.] *Composing in a Second Language*, 1984

١١- تبين من خلال دراسة الفقرات في سورة البقـــرة أن الفقـــرة فـــي العربية ليست ذات طول ثابت، ولكنها ذات موضوع واحد، تتماسك عناصرها من خلال قوانين نحوية داخلية؛ إذ لا علاقـــات نحويـــة تربطها بما يسبقها أو يلحقها من فقرات. بمعنى أن الفقرات يمكـــن عدّها عناصر أو وحدات مستقلة بذاتها.

ذلك أنه بيّن من خلال هذا النموذج تركيب شكل الفقرة النمطي للمتكلمين من عدة لغات من خـــلال رسم خطوط متوازية في المجموعات السامية؛ بمعنى أنهم يتكلمون في موضوعين أو أكـــثر فـــي الفقرة الواحدة، ورسم طريق غير مباشر في نمط المجموعات الشرقية؛ بمعنى أنهم يبـــدأون مـــن العام المطلق إلى الخاص، واستطراد متكرر في المجموعات الرومانية والســـلافية؛ بمعنـــى أنـــهم يقحمون موضوعاً فرعياً في الموضوع الأصلي ويقترب أو يبتعد عن الموضوع الأصلـــي. وخـــط مستقيم إلى الفكرة مباشرة في اللغة الإنجليزية؛ بمعنى أنهم لا يستطردون ولا يدخلـــون مواضيـــع جانبية قريبة أو بعيدة عن الموضوع. أي هم يناقشون أو يطرحون في الفقـــرة موضوعـــا واحـــدا منتميا. وهذا ضرب من التحيز للإنجليزية؛ ذلك أن الأدلة تشير إلى أنّ الفقرة في العربيـــة كوحـــدة نصية صغرى تسير وفق ذات الشكلية التي وهبها المؤلف للإنجليزية في تماســـكها الداخلـــي مـــن جهة، وتعبيرها عن موضوعها من جهة ثانية، وإن كانت ثمة لغة تستحق بموضوعية تلـــك الســـمة بالدليل لا بالتخريص فالعربية.

٢

من الفقـرة إلـى النـص

٠- مدخـل

ظهر من تحليل النص القرآني أنه ليس كلا واحدا، بل إنه نص مكوَّن من جمل متتالية على مستوى نحو الجملة، ومتعلقات بها على مستوى نحو ما فوق الجملة، ومن متماسكات جملية بجملة بؤرة على مستوى نحو النص، وهو ما اقترحنا تسميته بالفقرة. وتبين أنَّ هذه الفقرات متتالية خطية غير متماسكة على مستوى النحو عادة، بل الأصل فيها أن تكون منقطعة نحويا. هذا ما أثبته التحليل وخلصنا إليه في المبحث الأول (من النص إلى الفقرة). بقي تساؤل يحتاج إلى إجابة وهو: ما الذي جعل هذه الفقرات تترابط رغم عدم وجود التماسك النحوي فيما بينها؟ فالنص ما هو إلا مجموعة فقرات متتالية، وقد تبين أن هذه الفقرات متماسكة داخليا بقوانين النحو، والنص في الوقت ذاته مترابط على مستوى الفقرات خارجيا، فقد أجمع العرب (نحاة وغير نحاة) بحسهم اللغوي على ذلك، ولكنهم لم يستطيعوا أن يقدموا الأدلة الكافية عليه. في هذا المبحث سنحاول البحث عن القوانين أو المبادئ التي تؤيِّد فكرة الترابط الخارجي بين الفقرات، ذلك كما يلي:

١- الفقرة بنية منفصلة

لو نظرنا إلى النص القرآني؛ لوجدنا أنه مكـــوّن مـــن فقـــرات متباينة، لا يمكن لنحو الجملة مهما أوتي من قوة وسبك أن يجمـــع بينـــها بمنطقه الجزل وإن حاول. وقد بُين فيما مضى من قول إلـــى أنّ أصغـــر وحدة نصية في النص هي الفقرة. وتبين أنها؛ أي الفقرة، تتشـــكل بفعـــل قوانين النحو المستعملة في نحو الجملة، ونحو ما فوقها، ولكن بـــإدراك أنّ النسب التامة والناقصة التي تنشأ عن طريق قانون التوسيع في الفقرة مـــا هي إلا نسب متعلقة بالجملة البؤرة فيها، وكان هذا هو الحال في كل جملة بؤرة من تلك البؤر التي كوّنت النص. وبقي السؤال عـــن علـــة تعلـــق الفقرات بعضها ببعض غائبا فيما مضى من كلام؛ لعدم الحاجة إليه فـــي دراسة الفقرة آنذاك، أما الآن فإنّ الحاجة داعية، بـــل صارخـــة وملحـــة لإطلاق السؤال التالي: ما الذي جعـــل الفقـــرات المتباينـــة موضوعـــا، والمنفصلة نحوا، مترابطة نصا، رغم عـــدم وجـــود المســـوغ النحـــوي المباشر، غالبا ؟ فكلّ فقرة تحوي موضوعا واحدا متمايزا عما سبقه مـــن مواضيع من جهة، وعما لحقه منها من جهة ثانية. هذا التمايز هو الـــذي سمح بالحكم المبدئي على متتالية جملية ما بأنها فقرة مستقلة. ثم عضـــد هذا الحكم وثبته، كون الفقرة متماسكة نحويا؛ بحيث تأخذ كل جملة نحويـــة بتلابيب أختها من بداية الفقرة إلى نهايتها. ولنلاحظ ذلك عمليا في فقـــوات النص الذي ندرس، كما يلي:

الفقـرة الصفـر: مدخـل

بسم الله الرحمن الرحيم

الم(١)

الفقــرة الأولـى: المتقــون

ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين(٢) الذين يؤمنون بالغيب
ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون(٣) والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من
قبلك وبالآخرة هم يوقنون(٤) أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم
المفلحون(٥).

الفقـرة الثانيـة: الكافـرون

إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون(٦) ختم
الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم(٧).

الفقرة الثالثة: المنافقون

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (٨) يخادعون الله
والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون (٩) في قلوبهم مرض فزادهم الله
مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون (١٠) وإذا قيل لهم لا تفسدوا في
الأرض قالوا إنما نحن مصلحون (١١) ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (١٢)
وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم
السفهاء ولكن لا يعلمون (١٣) وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم
قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون (١٤) الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم
يعمهون (١٥) أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا
مهتدين (١٦) مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم
وتركهم في ظلمات لا يبصرون (١٧) صم بكم عمي فهم لا يرجعون (١٨)
أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من
الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين (١٩) يكاد البرق يخطف أبصارهم
كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم
وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير (٢٠)

الفقـرة الرابعـة: الدعـوة ومنهجـها

يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون (٢١) الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون(٢٢) وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين (٢٣) فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين (٢٤)

الفقـرة الخامسـة: وصـف الجنـة (أو بيـان عاقبـة المؤمـن)

وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون (٢٥)

الفقـرة السادسـة: المثـل وأثـره فـي النـاس

إنّ الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين (٢٦) الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون (٢٧)

الفقـرة السابعـة: استنكـار الكفـر

كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون (٢٨) هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم (٢٩)

الفقـرة الثامنـة: آدم (أو تذكير بالأصل)

وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون (٣٠) وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين

(٣١) قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم (٣٢) قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون (٣٣) وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين (٣٤) وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (٣٥) فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين (٣٦) فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم (٣٧) وقلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٣٨) والذين كفروا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٣٩)

الفقرة التاسعة: بني إسرائيل (قصة)

يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون(٤٠) وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون (٤١) ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون(٤٢) وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين(٤٣) أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا

تعقلون(٤٤) واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين(٤٥) الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون(٤٦)

بناء عليه، فإنّ النص بوجود تلك الفقرات وتماسكها داخليا مـــا زال مجزأ لا رباط بين وحداته، ورغم جزمنا جميعـــا بترابطـــه علـــى المستوى الحدسي؛ بحيث يكون هذا الترابط أقوى في نفوسنا من تماســـك الفقرة الواحدة على مستوى النحو، فكيف تم له ذلك؟ ولا نريد أن نخلـــص إلى ما خلصوا من أنه لا إثبات لذلك إلا في الذوق السليم[1]. والعلة فـــي رفض ما خلصوا إليه هي أنّ مثل هذه النتيجة ستؤدي إلـــى تبنـــي مبـــدأ الحدس[2] في إثبات الترابط النصي.

(1) يقول البقاعي:" وقد اختلف الناس في سبب الإعجاز وأحسن ما وقفت عليه من ذلـــك ...أنّ وجـــه الإعجاز فيه من جهة البلاغة لكن صعب عليهم تفصيلها ووضعوا فيه إلى حكم الذوق." انظر: نظـم الدرر: ص ٦٦-٦٧.

(2) ذكر الحدس في هذا البحث أكثر من مرة بطريقة قد توحي بأنّ الباحث لا يثـق بنتائجـــه، والأمـــر خلاف ذلك؛ إذ فرق بين الإيمان بصحة النتيجة والقدرة على التدليل عليها. فالحدس قد يوصل إلـــى نتائج صائبة ولكنه لا يقيم دليلا على هذه الصحة، بمعنى أنه لا يقدم مقدمات توصل إلـــى النتيجـــة الصائبة التي أطلقها، مع هذا فهو؛ أي الحدس معتمد في الدراسات العلميـــة وسـيلة مـــن وســـائل المعرفة فيها. ويمكن الرجوع لكتاب: العلم في منظوره الجديد (**الصـــــادر عـــن سلســـلة علـــم المعرفة، عدد ١٣٤،تأليف روبرت م.أغروس وجورجن.ستانسيو، ترجمة كمال خلايلـــي)** للتثبـــت من هذه الفكرة في مضمار المعرفة العلمية الحديثة، والرجوع إلى فصل من كتاب "منـــاهج علـــم الأدب" لليوزف شيريلكا، المترجم في مقالة عنوانها: الأسلوب الأدبـــي، مصطفـــى مـــاهر، مجلـــة فصول، العدد الأول، المجلد الخامس السنة١٩٨٤، ص٧٢، للتثبت من أثر الحـــدس فـــي المعرفـــة الأدبية.

٢- اتصال الفقرات ضرورة نصية

إذن، حتى نحكم على نص ما بأنه نص، لا بد من أن تكون وحداته الصغرى مترابطة ومتلاحمة فيما بينها كي يصلح أن نحكم عليه بأنه كذلك؛ ذلك أن البحث قد خلص منذ المقدمة الأولى في الفصل الأول إلى أنّ للنص خصائص من أبرزها أن يكون متتالية جملية خطية متصلة. فاتصال الفقرات ضرورة واقعية وليس اختيارا نظريا، فكما عمل في الفقرة قانونان داخليان، وهما قانونا الاتساع والاقتصاد مما ذكر سابقا. فكذلك لا بد للفقرات (الوحدات النصية الصغرى) من أن يحكمها قانون، أو مجموعة قوانين، بحيث تسمح بتماسكها، فلا تتفكك، وتعاضد فلا تتعارض، وتجتمع فلا تتناقض. وقد يحقق ذلك التعامل مع الفقرات وفق المبادئ التالية على أنها هي القوانين أو القواعد العاملة في اتصال فقرات النص، على ما سيظهر فيما سنعرض له من خلال العنوان التالي.

٣- قوانين الاتصال الخارجي

٣-١: مبدأ البدء الحر

يبتدئ النص القرآني في سورة البقرة بمجموعة حروف هجاء مقطعة { الم } وهي غير داخلة في أي علاقة نحوية مع ما يليها من الجمل، وغير مشكلة في ذاتها لجملة نحوية، إلا إذا عددنا الدلالة المتحصلة في الذهن [هذه ألف، هذه لام، هذه ميم] فتكون النسبة المتحصلة من التركيب علاقة حمل، قائمة بين المسند إليه وهو المبدأ المحذوف، والخبر الملفوظ ألف لام ميم، أو يكون المعنى [هذه ألف لام

ميم]؛ أي ليس كل حرف جملة بل مجموع الحروف أخبار لمبتدأ واحد محذوف مفهوم من السياق الكلامي العام. وعلى كلا التصورين لأصل التركيب في هذه الحروف المقطعة لا يمكن استنباط معنى منها؛ لأن أحد ركني التركيب لا يحمل معنى. فجعل البحث هذه الحروف المقطعة المكونة لفواتح السور، ومنها هذه السورة، مجرد بناء لغوي حر؛ أي اختيار من الناص لكيفية البداية في النص. وهذا هو المبدأ الأول الذي يتحكم في النص دلالة، ويربط الفقرة صفر (الحروف المقطعة) بالفقرة الأولى التي تبدأ بـ{ذلك الكتاب}. وندرك هنا تماما أنّ عدم القدرة على الوصول إلى معنى من خلال هذا المبدأ، لا يضعف من أثره في الوصول إلى الدلالة الكلية للنص؛ إذ يعود فقد المعنى هنا مع وجود الدلالة الكلية إلى عدم احتواء الحروف المقطعة ذاتها على معنى؛ إذ لا معنى تحتها، فلا يعقل أن يسأل عنه، وهو مفقود، بل السؤال الذي يرتضى فيها هو: ما فائدتها في النص، وليس ما معناها[1]؟

---

(١) [الم(١)]:

يمكن لغويا رفض كثير من التفسيرات التي عنيت بتوضيح بل إيجاد معنى لهذه الحروف المقطعة في بداية السور؛ ذلك أنها تفسيرات لا دليل عليها، ولا أمارة فيها، ولا إشارة عندها(انظر : لسان العرب ، ابن منظور: باب تفسير الحروف المقطعة.)، لذا سنكتفي هنا بعرض وجهات النظر اللغوية فقط، أو تلك التي تقبلها اللغة، من خلال مقدمة وفائدتان:

مقدمة:

أنّ هذه الحروف المقطعة في بداية النص القرآني ما هي إلا حروف هجاء ، وحرف الهجاء ما هو إلا حرف مبنى ، وقد أجمعت الأمة على أنّ حرف المبنى لا دلالة فيه مفردا؛ إذ حروف المعاني هي التي تحوي المعنى دون حروف المباني(انظر:نهاية السول الإسنوي (١/١٥٩) نقلا عن منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي)؛ لذا لا يجوز السؤال عن معنى الحروف المقطعة في بداية السور؛ لأنّ هذا سؤال عن غير موجود، ولا متصور، يوم وضع الواضع كلام العرب. وإنما يسأل عن فائدتها في الموضع التي وضعت فيه، ويسأل أيضا، عن الحكمة التي أشارت إليها في هذا المكان.

٣-٢: مبــدأ التبــادر:

إنّ المبدأ الثاني الحاكم للفقرات في النص فهو مبدأ التبادر، وهذا المبدأ لا يقوم في الذهن، إلا بعد الإيمان بالمبدأ الأول (البدء الحــــر)؛ لأنّ متلقي النص لا يعدم أن يقول ما الذي دفع الناص لاختيار هذا قبـــــل ذاك من البداية؟ فيقال له جوابا: إنه مبدأ البدء الحر؛ بمعنى أنّ الناص حر فيما يختار ابتداءً، وهو بعد ذلك مقيد بما بدأ به، لا يعارضه ولا يناقضــــه ولا يفقده ألقه.

يعمل مبدأ التبادر في النص، وفق ثلاث وسائل، **أولها: قـــــاعدة التضاد**، ويعمل التضاد من خلال المنطق العقلي؛ إذ إن ذكــــر أي شــــيء يستدعي في الذهن نقيضه، إن وجد. فلو قلنا على سبيل المثال (ليل) فإن

فائدة(١):

نعلم جميعا أنّ كلام العرب مكون من مجموع حروف الهجاء، أي إنّ هذه الحروف هي مادة اللغــة العربية، ومعدن كلامها،فالحق سبحانه أراد أن يشير إلى هذه الحقيقة الواقعيــــة المعلومــــة للعــــرب بداهة؛ كي يلفتهم إلى أنّ محمدا ﷺ بيده نص أدبي مصنوع من مادة بين أيديهم وليســــت ببعيــــدة عنهم، ألا وهي حروف هجاء الكلام العربي، فإن كان محمد يدعي أنه من عنـــــد الله، وأنتــم لا تصدقونه، فيمكن لكم أن تصنعوا من المادة التي بين أيديكم، وهي ذات المادة التــــي بيــــن يــــدي محمد كتابا مثله، فإن لم تستطيعوا فاعلموا أنّ محمدا هذا مُعلَّم من غيركم فابحثوا عمن علمه؛ لا بــد للعقل السليم المجرد من أن يصل إلى أنّ المعلِّم هو الله تعالى، وهذا بحث يطول... ومجاله العقــائد، فيبحث هناك.

فائدة(٢):

نعلم جميعا أنّ الفرق الجوهري بين المتعلم والأمي أن الأول قادر على القراءة والكتابــــة والكـــلام، بينما الثاني فقادر على الكلام فقط، وعاجز تماما عن القراءة والكتابة؛ ذلك أنه ؛ أي الأمي قـــاصر عن إدراك حروف الهجاء ، وهذا هو الفرق الجوهري الوحيد بين المتعلم والأمي، فعندمـــــا يقــــول محمد صلى الله عليه وسلم في كلمة (الم) ألف لام ميم فهذا يعني ضرورة أنه ما عاد أميـــــا بـــــل صار متعلما، فالحق أشار بهذا إلى العربي ليلتفت فيسأل من علم هذا الأمي الهجاء .

هذا اللفظ يستدعي لفهمه ملازمة نقيضه (النهار)؛ إذ لا يعقل أن يتبادر الليل إلى الذهن دون تصور نقيضه النهار. ولو ذكرنا لفظ (المؤمن) فإنّ الذهن لا يستقيم له معنى حتى يقارنه أو يقابله بنقيضه (الكافر). وهكذا يجري اللفظ والتركيب في الذهن. وهنا يعمل مبدأ التضاد في ذكر أحد النقيضين. ثم يتبادر للذهن النقيض الآخر، فتبادر السالب يؤدي أن يستقبل الذهن النقيض الموجب، والعكس صحيح. وهذا ما جرى في النص السابق للربط بين الفقرة الأولى التي كان موضوعها المتقون، والفقرة الثانية التي كان موضوعها الكافرون؛ فكان مبدأ البدء الحر هو الذي سمح للناص باختيار أحد النقيضين، في حين فرض عليه مبدأ التبادر أن يثني بالنقيض الآخر، وذات المبدأ (التبادر) هو الذي جعل النص يثلث بالحديث في المنافقين، إذ المتبادر إلى الذهن أعطى النقيض الأول (الموجب) بفعل مبدأ البدء الحر؛ فسمح لمبدأ التبادر أن يفشي بالنقيض الثاني (السالب) وهو الكافرون. وعمل ذات المبدأ لمّا تبادر إلى الذهن النقيضين، على تجلية الوسط بينهما؛ أي المتعادل (لا متقٍ ولا كافر) فكان التبادر هو الذي حكم بالحديث في المنافق، فترابطت الفقرة الأولى بالثانية بمبدأ التبادر، ضمن قاعدة تبادر النقيض وترابط الفقرة الثالثة بالسابقتين، وفق ذات المبدأ، وإن دخل هنا مبدأ ثالث وهو **مبدأ حسن التقسيم** الذي سنفرد له تفصيلا، ويمكن توضيح ذلك كما يلي:

الفقـرة الأولـى: الضـد (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (٢) الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون (٤) أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٥)

الفقـرة الثانيـة: الضـد (٢)

إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون(٦) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم (٧)

الفقـرة الثالثـة: بيـن الضديـن

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (٨) يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون (٩) في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون (١٠) وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون (١١) ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (١٢) وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون (١٣) وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون (١٤) الله

يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون (١٥) أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين (١٦) مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون (١٧) صمّ بكم عمي فهم لا يرجعون (١٨) أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين (١٩) يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إنّ الله على كل شيء قدير (٢٠)

٣-٣: مبدأ التشابه

إنّ المبدأ الذي حكم الفقرة الثالثة على طولها داخليا هو مبدأ التشابه؛ فجعل مقطعها الأول من قوله تعالى { **ومن الناس من يقول... وما كانوا مهتدين** } هو الموضوع، في حين جعل مقطعها الثاني من قوله تعالى { **مثلهم كمثل الذي استوقد... إن الله على كل شيء قدير** } هو المعادل للموضوع؛ وذلك أنّ الفقرة في مقطعها الأول، تتحدث في سلوك المنافقين، وتتحدث في مقطعها الثاني في أناس سلكوا سلوكا مشابها لسلوكهم، بيد أن الأول خفي أو باطني، في حين أنّ الثاني ظاهري ومادي، فكان المقطع الأول يبني موضوعا، في حين يبني المقطع الثاني معادلاً لهذا الموضوع في الواقع، وهو ما يمكن أن نسميه جريا مع الأدب **قاعدة المعادل الموضوعي**، فجاءت الفقرة كما يلي:

الفقـرة الثالثـة: بيـن الضديـن

أ- الموضـوع:

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (٨) يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون (٩) في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون (١٠) وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون (١١) ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (١٢) وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون (١٣) وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون (١٤) الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون (١٥) أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين (١٦)

ب- معـادل الموضـوع:

مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون (١٧) صم بكم عمي فهم لا يرجعون (١٨) أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين (١٩) يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير (٢٠)

وقد لحظنا عكس هذه القاعدة داخل مبدأ التشـــابه؛ فوجدنـــا أن النص يقدم المعادل أولا ثم يثني بالموضوع. فإذا كان الأدب يجري علـــى تسمية النوع الأول بالمعادل الموضوعي كما أسلفنا، فقد يجـــوز لنـــا أن نسمي هذا النوع **بقاعدة الموضوع المعادل**، بحيث يشـــكل هـــذا النـــوع القاعدة الثانية من قواعد مبدأ التشابه الآنف الذكر. وقد ورد هذا النوع في قول الحق سبحانه:

الفقـرة الثامنـة:

أ- معـادل لموضـوع

وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون (٣٠) وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين (٣١) قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم (٣٢) قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون (٣٣) وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين (٣٤) وقلنا يا آدم اسكن أنت

وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (٣٥) فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين (٣٦) فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم (٣٧) وقلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون(٣٨) والذين كفروا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون(٣٩)

الفقـرة التاسعـة[١]:

ب- الموضـوع

يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون(٤٠) وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا

---

(١) سيلحظ القارئ الكريم أن البحث قد جعل الموضوع ومعادله في الفقرة الثالثة فقرة واحدة؛ في حين أنه جعل المعادل في الفقرة الثامنة وموضوعه الفقرة التاسعة فقرتين منفصلتين. وقد كان داعي هذا ما لحظه البحث من أن الفقرة الثالثة بقيت متماسكة على مستوى علاقات قانون الاتساع، وكذلك على مستوى قانون الاقتصاد؛ في حين أن الفقرة الثامنة وهي المعادل لم تستمر قوانين الفقرة في العمل في الموضوع الفقرة التاسعة، فحكم البحث بأنهما فقرتان منفصلتان. وكأن هذه العملية قاعدة عامة من أن ذكر الموضوع فالمعادل من دواعي استمرار الفقرة، في حين أن البدء بالمعادل ثم الموضوع من دواعي الانقطاع. والملاحظة الثانية أن الموضوع دائما أطول أو أكثر اتساعا من معادله.

أولَ كافرٍ بهِ ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإيّاي فاتقون(٤١) ولا تلبسوا الحقَّ بالباطل وتكتموا الحقَّ وأنتم تعلمون(٤٢) وأقيموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ واركعوا مع الراكعين(٤٣) أتأمرون الناسَ بالبرِّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتابَ أفلا تعقلون(٤٤) واستعينوا بالصبرِ والصلاةِ وإنها لكبيرةٌ إلا على الخاشعين(٤٥) الذين يظنون أنهم ملاقو ربِّهم وأنهم إليه راجعون(٤٦).

وقد يُسأل هنا: لمَ أخر الموضـــوع وقـــدم المعـــادل؟ ذلـــك أنّ الموضوع مادي معيش، في حين أن المعادل معنوي؛ إذ إن قصة آدم عليه السلام قصة ضاربة في التاريخ المنسي؛ فكأنها المعنوي بيد أنّ قصة بني إسرائيل قصة ما زال الناس زمن النص، وفي زماننا الحاضر، يعيشـــون فصولها؛ فكأنها هي المادي أو المحسوس[1].

---

[1] الشاهد في القصة التي ذكرت في سورة البقرة في هذا الموضوع ليس بيان كيفية خلـــق آدم عليـــه السلام بل بيان آلية نزع الخلافة ووضعها وسلوك المستخلف والمنزوعة منه خلافته، فآدم خليفـــة على إبليس الخليفة السابق الذي كان سلوكه (المنزوع منه خلافته) أنه أبى واستكبر فوقع في دائـــرة الكفر واللعنة، فأراد الحق سبحانه أن يسوق هذه القصة ليبين لبني إسرائيل أنهم يساوون إبليـــس في حال نزع الخلافة منه ووضعها في آدم، بنزعها منهم ووضعها في العـــرب مـــع اختـــلاف طبيعة الاستخلاف في كلا الحالين. فاستخلاف آدم على إبليس خلافـــة أصليـــة؛ إذ هـــي نقـــل للخلافة من جنس إلى جنس، في حين الخلافة بين العرب وبني إسرائيل خلافة فرعيـــة؛ إذ بقيـــت الخلافة في ذات الجنس البشري.

٣-٤: حسن التقسيم

إنّ المبدأ الثالث الذي يعمل على ربط الفقرات بعضها مع بعض هو مبدأ حسن التقسيم؛ وذلك أن الفقرة وهي تبني موضوعها بحاجة إلى أمور كلية، وعلى الذهن تخيل أجزاء هذا الكل؛ لأن المنطق الصوري يجزم بأن الذهن لا يقوم بتصور الكل خارجا عن أجزائه، كما لا يقوم الذهن أيضا بتصور للجزء خارج بناء كلي يقوم فيه. ويتجلى مبدأ حسن التقسيم من خلال مجموعة قواعد، أولها: **قاعدة الترتيب**؛ بحيث يبدأ النص بالمقدمات، ثم يصل من خلال تلك المقدمات إلى نتيجة، بحيث تقوم تلك المقدمات مقام حسن الاستهلال أو التمهيد، كما جرى في الفقرات الثلاث الأولى التي شكلت في الذهن مقدمات مناسبة للنتيجة (الدعوة إلى العبادة)؛ لأن مجموع الفقرات الثلاث السابقة، قد عملت على تأليف كلٍّ موحد؛ أي أنها صارت في ذهن متلقيها فقرة واحدة، فقد كوَّنت مقدمة عامة للدخول إلى موضوع الحديث، أو الحوار، فكان الموضوع الأول هو قوله تعالى:

الفقرة الرابعة: نتيجة لها مقدمة

يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون (٢١) الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون (٢٢) وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا

شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين (٢٣) فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين (٢٤)

وترابطت الفقرة الرابعة مع الفقرة الخامسة وفق مبـــدأ حســـن التقسيم، ولكن باستخدام قاعدة ثانية وهي: **قـــاعدة الكلـــي والجزئـــي**؛ إذ حملت الفقرة الرابعة في طياتها حديثا في نتيجة عمل الكافر في قول الحق آخر الفقرة {فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين (٢٤)} فجـــاء موضوع الفقرة الخامسة تكميلا للجزء الثاني، وهو نتيجة عمل المؤمنيـن، فقال الحق سبحانه:

الفقـرة الخامســة: موضــوع جزئـي (المؤمنــون)

وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون (٢٥)

وتم هذا الربط بطريقتين، الأولى بالعطف المتصل/المنفصـــل، والثانية بالإحالة على متعدد، فالضمير في (بشِّر) هو الفاعل، ويعود علـى مفرد مذكر مخاطب. ويمكن أن يعود على (عبدنا) في الفقرة الســـابقة، فيكون العطف متصلا. ويمكن أن يعود على المفرد المذكر المخاطب فـي

(أنزل إليك، من قبلك)، وفي (ذلك،أولئك) في الفقرة الأولى فيكون العطف منفصلا[1].

وترابطت الفقرة التالية مع السابقة، بكون السـابقة موضوعـها بشرى المؤمن، فكان هذا موضوعا جزئيا، ولأن مجموع الأجزاء يشـكل في الذهن صورة كلية، كانت الفقرة التالية جمعا لسلوك هذيـن الجزأيـن (المؤمن والكافر). ولكن الحق لم يربطها بالكلي المباشر، ولا بـالنقيض؛ لسببين، الأول: أنه في نهاية الفقرة الرابعة قال (أعدت للكافرين)؛ فكـان الربط بين النقيضين المؤمن والكافر متحققا في الذهن. ولكنه لحرية البـدء بدأ بالكافر، ثم ثنى بعاقبة المؤمن. وأما ترك المنافق؛ فلأنه دمجـه فـي نهاية الفقرة الثالثة بالكافر(والله محيط بالكافرين) فبين أنّ المنافق كـافر تماما كالكافر أصالة، وإن اختلف سلوكه، فانتقل في الموضوع الجديد إلى المؤمن والكافر معا، في سلوكهما اتجاه النص القرآني ذاته. وهذا انتقـال من الجزئي (الكافر) إلى الجزئي (المؤمن). ثم انتقل منهما إلـى الكلـي (الكافر والمؤمن) معا، في سلوك جديد تجاه النص، مما يشكل قاعدة يمكن تسميتها **قاعدة جمع الأجزاء** كما جاء في الفقرة التالية:

---

[1] ذكر ما يوصل إلى هذا الفهم الجرجاني في دلائل الإعجاز: باب الفصل والوصل، ص ١٦٥-١٦٨.

الفقــرة السادســة: موضــوع كلــي (المؤمــن والكافــر)

إنّ الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين (٢٦) الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون (٢٧)

ثم عاد النص في الفقرة التاليـــة؛ لـــيركز علـــى أحـــد جزئـــي الموضوع الكلي السابق، فتوجه بالحديث إلى الكافر بعموم من تبنى الكفر سلوكا في الحياة دون تخصيص فرد أو جماعة بعينها كما جاء في الفقـــرة التالية:

الفقــرة السابعــة: موضــوع جزئــي عام

كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون (٢٨) هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم (٢٩)

لما كان الحديث في الفقرة السابقة عن الإحياء والإماتة والخلق من عدم، انتقل من النقيضين السابقين إلى تفصيل أحدهما، ففصل بعملية الإحياء دون الإماتة؛ لأن السياق يطلبها، فاستخدم النص في الفقرة التالية **قاعدة تفصيل المجمل** بالتذكير بقصة الخلق الأول آدم فقال سبحانه:

الفقـرة الثامنـة: موضـوع

وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون (٣٠) وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين (٣١) قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم (٣٢) قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون (٣٣) وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين (٣٤) وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (٣٥) فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين (٣٦) فتلقى

آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم (٣٧) وقلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٣٨) والذين كفروا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٣٩)

٤- تداخل المبادئ:

ظهر من تتبع المبادئ في ربط فقرات النص القرآني أنه ما من مبدأ يعمل على ربط فقرتين معا دون تدخل مبدأ آخر أو قاعدة أخرى في هذا الربط. ومن ذلك مثلاً أنّه لما عمل مبدأ **البدء الحر** على تكوين الفقرة الأولى، و ربطها بما بعدها، وكانت أشبه ما تكون بالمفتاح الكاشف لحقيقة نبوة محمد ﷺ ، وذلك بأن يوقف متلقي هذه الألفاظ {الم} على ضرورة أن يكون هذا النبي قد عُلم هذه الألفاظ تعليما ولم ينشئها إطلاقا، فلفت إلى ضرورة التفكر في معلمه من خلال ما يقدم من علم. فالمتلقي يتوصل إلى الدليل من خلال طبيعة النص (الكتاب) الذي يقول إنه من عند معلمه (الله). فلذا كان النص مقيدا بما قدم: مقيدا بأن يذكر الكتاب (النص) ويلفت إليه ويبين حقيقته؛ فثنى بقوله {ذلك الكتاب} ثم وصل من خلال حركة قانوني النشر والطي[1] ضمن مراد النص وحرية بدئه إلى بيان أثر النص في متلقٍ مؤمن، فتبادر للذهن بعد تمام ذلك الفعل سؤال لا يستقر هدى النفس بدونه: فما أثره في الكافر؟ فكأن ذكر الأول قد شكل في الذهنن

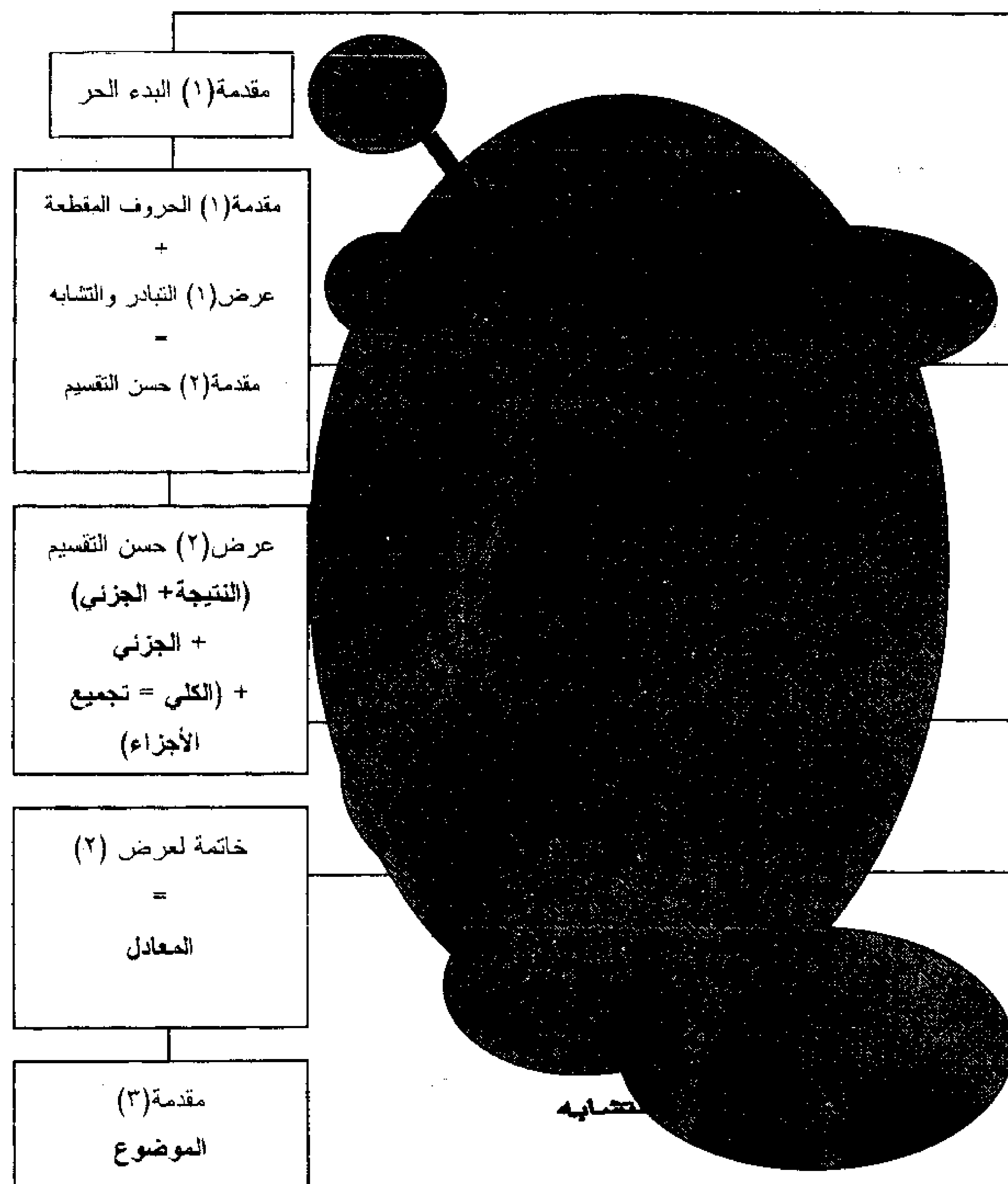
[1] إن تسمية هذين القانونين العاملين اللذين يحكمان الفقرة توسعة واقتصادا باسم قانوني الطي والنشر كان من توجيهات أستاذي الدكتور سمير شريف استيتية .

صورة لها ما يقابلها؛ فكان ذكر الضد المقابل لهذه الصورة من منطقيات التفكير وانسجامه في ذاته ومعها.

وبهذا نتبين أنّ مبدأ التبادر لم يعمل على تشكيل الصورة الأولى (المتقون) فجأة دون مقدمات، بل كان يعمل مبدأ البدء الحر معه جنبا إلى جنب؛ إذ هو الذي سمح للمقدمة بالظهور لتكون نقطة ارتكاز مبدأ التبادر فيما بعد.

لقد عمل مبدأ البدء الحر في الفقرة التالية (المتقون)؛ إذ لا يعدم متلقي النص أن يسأل: ما الذي جعل الناس يبتدئ بالمتقين ولم يبتدئ الصورة من الكافرين؟ فيكون الجواب الشافي عن هذا السؤال: إنه مبدأ البدء الحر. ثم إن مبدأ حسن التقسيم وجد إلى هذا التكوين منفذا؛ إذ إن التقديم {الم} والعرض الذي بعده {ذلك الكتاب...} ما هو إلا صورة من صور حسن التقسيم وقاعدة من قواعده. ثم إن المتقي والكافر والمنافق ثلاثة أجزاء؛ فلا بد من إعمال قاعدة الكل والجزء في تكوين التصور الكلي للقضية. وعليه فإنّ البحث عندما يقرر أن المبدأ الحاكم للفقرة الأولى مثلا هو مبدأ البدء الحر، فإنه يقصد أنه السمة الأبرز والخصيصة الأوضح التي تنفذ من خلالها بقية المبادئ للعمل في الفقرة. ولا يعني البحث بحال من الأحوال أن بقية المبادئ لا تعمل في الفقرة التي عمل فيها هذا المبدأ. ربما كان هذا هو سبب الشعور القوي الذي سيطر علينا متلقين عندما سمعنا فقرات النص القرآني فحكمنا بالحدس أنها مترابطة دلاليا، بل حكمنا أنها أشد ترابطا منها تماسكا، رغم عدم ظهور تلك المبادئ في حينه. ويمكن أن نوضح عمل تلك المبادئ في فقرات النص

القرآني من الآيةِ الأولى إلى الآية السادسة والأربعين من خلال الشـــــكل التالي:



الخلاصـــة

يمكن أن نقدم ملخصا لما قدم فيما يلي:

١- إنّ النص مكون من وحدات نصية (بنى منفصلة) تسمى الفقرات.

٢- إنّ الفقرات عبارة عن وحدات متصلة علـــى المســتوى النحــوي منفصلة على المستوى الدلالي.

٣- إنّ الفقرات تترابط فيما بينها وفق مجموعة المبادئ، وهذه المبــادئ هي:

١) مبدأ البدء الحر
٢) مبدأ التبادر
٣) مبدأ التشابه
٤) مبدأ حسن التقسيم

٤- يعمل كل مبدأ من المبادئ السابقة وفق مجموعة من قواعـــد كمـــا يلي:

١: يعمل مبدأ التبادر وفق ثلاث قواعد، هي :

- قاعدة الضد الموجب.
- قاعدة الضد السالب.
- قاعدة ما بين الضدين.

٢: يعمل مبدأ التشابه وفق قاعدتين، هما:

- قاعدة المعادل الموضوعي.

- قاعدة الموضوع المعادل.

٣: يعمل مبدأ حسن التقسيم وفق مجموعة قواعد، هي:

- قاعدة الكل والجزء .

- قاعدة المقدمة والنتيجة.

- قاعدة الإجمال والتفصيل.

٥-يتداخل عمل هذا المبادئ بتعاضد بعضها مع بعض، ولا تعمل منفردة.

الخاتمة

... لما وضعنا النتائج التفصيلة لكل موضوع من مواضيع هذا البحث في نهايته، فقد صار إعادة تلك النتائج في الخاتمة من التكرار أو العبث. لذا سنحاول هنا أن نختم هذه الدراسة بجملة توصيات عامة تبقي لمستزيد فرصة البحث في ذات الموضوع من جوانب أخرى، يرى الباحث أنه قصر في إدراكها.

أولها: استعمال نتائج هذه الدراسة أثناء صناعة مقررات تعليمية للناطقين بالعربية أو للناطقين بغيرها.

وثانيها: استعمال نتائج هذه الدراسة في تدريس نصوص اللغة العربية لأبنائها أو للناطقين بغيرها، ورصد نتائج هذه العملية؛ لإثبات قابلية هذه الدراسة لتحسين التعليم والتعلم، وبيان نقاط القوة والضعف فيها.

وثالثها: بيان أثر نتائج هذه الدراسة في تحسين أداء المتعلمين من الناطقين باللغة العربية أو من الناطقين بغيرها في كتابة النصوص الأدبية.

ورابعها: بيان أثرها في تحسين شروط خطاب أبناء اللغة العربية أو الناطقين بغيرها عند التواصل.

وخامسها: بيان أثرها في تحسين فهم واستيعاب أبناء اللغة أو الناطقين بغيرها للأعمال الأدبية عموما.

وسادسها: مقارنة نتائج استعمال هذه الدراسة في تدريس النصوص الأدبية بخاصة، واللغة العربية بعامة، بنتائج استخدام دراسات أخرى في ذات المضمار؛ ليتبين أي تلك الدراسات أجدى وأكثر نفعا في تدريس العربية لأبناء اللغة أو للناطقين بغيرها.

لذا ينصح الباحث الدارسين من طلاب اللغويات التطبيقية بالتوجه إلى هذا الباب لاستكمال هذا البحث بتجريبه.

كلمة أخيرة:

كان فندريس في كتابه اللغة يشبه اللغة البشرية بالبساط المترامي الأبعاد والمتداخل الذي يعبر عن صنعة دقيقة وحرفة متقنة. ربما الأقرب أن يقال إن النص هو تلك السجادة الملونة المتناسقة المنسجمة؛ ذلك أن اللغة اعتباطية وذهنية وغير محددة، فلا يمكن أن يقال تقف هنا، أو تنتهي هناك، وهي إيجاد عناصر، كما أنها نتاج فردي؛ في حين أنّ النص مقصود لذاته، فليس اعتباطيا، كما أنه مادي تماما وليس بناء ذهنيا، وهو أيضا محدود زمانا ومكانا، وهو اختيار عناصر موجودة سلفا، لا إيجادها، كما أنه نتاج فردي تقبله الجماعة وفق عرفها وقوانينها وليس نتاجا جمعيا يستخدمه الفرد. فهو ينتقل من الفردي إلى الجماعي.

هذا من جهة وجوده، أما من جهة متلقيه فالأمر أشد شبها وأكثر تطابقا بين البساط والنص، فربما بحث متلقيه عن نفاسة هذه القطعة بملاحظة تناسق ألوانها أو تدرجها وربما مال آخر إلى عدّ القطعة نفيسة لعثوره على التوازن بين الكتلة والفراغ، وربما نظر غيره إلى موضوع المرسوم عليها أو التفت إلى نوع الخيط أو الطلاء المستخدم في نسجها أو تزيينها، وربما كان معيار الجمال فيها عدد العقد في البوصة الواحدة، فهذا ما يحدث عادة. ولكننا نجد في المقابل تماما من يستفتي قلبه وإن أفتاه العلم وأفتاه فيحكم حدسه على تلك السجادة ويأخذها؛ لأنه شعر بتماسكها وأحس أنها سجادة كاملة، وقد تجد آخر أخذها لأن خبيرا أنبأه بأنها جميلة وأصيلة، وقد يأخذها غيره لأن سعرها مرتفع في السوق أو لأنها قيمة اجتماعية أو أنه أخذها هكذا...

ربما النص لا يفترق كثيرا عن هذه السجادة العجيبة المطوية في زاوية من زوايا حانوت في السوق، فقد يكون نصا للتواصل أو للاستعمال

أو للإخبار أو للتبليغ أو للتوصيل.ولكنه من جهة المتلقي يبقى نصا مفتوحا ليسوغ لنفسه أنه صنع له وأنشئ من أجله وبني كي يناسبه، ليناسب عقله أو ثقافته أو هواه...

ولا نتحدث هنا في النص الديني حسب، بل عن كل تلك النصوص رغم ندرتها وقلتها على ما صرح بارت، وتلك التي حملت مفهوم النص وهي لا تحمله. قلنا هذا؛ لنعلن أننا رغم هذا الجهد الذي كاد ينقض الظهر ويفل العزم، أننا حاولنا أن نجلي أفهامنا حول النص لا أن نصل إلى حقيقة النص وكنهه. ولم يكن أملنا أن نصادف الحقيقة، ولكن كان رجاؤنا أن نحاذيها. أو أن نقترب منها، ولم يعدم النص القرآني أن يخاطب هذا الرجاء فينا فقال: { **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير**} [فاطر: ٣٢] اللهم اجعلنا من السابق بالخيرات... فإن لم نكن منهم بعملنا ولا بحظنا؛ فاجعلنا اللهم من المقتصد، ولا تجعلنا برحمتك من الظالم لنفسه... إنك على كل شيء قدير.

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله رب العالمين وسلام على المرسلين.

المصـادر والمراجـع

١- القرآن الكريم.

٢- أدهم، سامي، (بدون تاريخ). ما بعد الحداثة، انفجار عقل أواخر القرن. النص الفسحة المضيئة، دار كتابات بيروت - لبنان.

٣- الإسنوي، جمال الدين، (١٩٨٣م). نهاية السول في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط٢.

٤- بحيري، سعيد حسن، (١٩٩٧م). علم اللغة النص، المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان ناشرون بيروت - لبنان، والشركة المصرية العالمية للنشر -لونجمان.

٥- البغدادي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي القرشي، (بدون تاريخ). زاد المسير في علم التفسير، حققه وكتب هوامشه محمد بن عبد الرحمن عبد الله، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ج١.

٦- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، (١٩٩٥م). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، خرج أحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزّاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية بيروت- ج ١- ٨.

٧- البقاعي،محمد خير (١٩٩٨). دراسات في النص والتناصية،مركز الإنماء الحضاري.

٨- الجرجاني، عبد القاهر، (١٩٩٤م). دلائل الإعجاز في علم المعاني، صحح أصله محمد عبده وعلق عليه السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت - لبنان.

٩- جمال الدين،مصطفى(١٩٨٠).البحث النحوي عند الأصوليين،منشورات وزارة الثقافة والإعلام ،سلسلة دراسات(٢٢٨)دار الرشيد للنشر، العراق.

١٠- ابن جني، عثمان ابو الفتح،تحقيق محمد علي النجار (١٩٩٠).الخصائص،مشروع النشر المشترك الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر ودار الشؤون الثقافية العامة ،آفاق عربية، سلسلة كنوز التراث ،وزارة الثقافة والإعلام ، ج١-٣، بغداد.

١١- ابن حزم، علي بن محمد بن حزم الأندلسي الظاهري(بدون تاريخ).الإحكام في أصول الأحكام، مطبعة السعادة، القاهرة.

١٢- حوى، سعيد (١٩٩١). الأساس في التفسير،دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة،مج ١-١٠،ط٣.

١٣- الخطابي، محمد،(١٩٩١م). لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي.

١٤- الدرويش،محيي الدين(١٩٩٦).أعراب القران وبيانه،اليمامـــة ودار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع،دمشق، سورية،مج١-١٠ ،ط٥.

١٥- دو سوسير، فردينان، (١٩٨٨م). ترجمة يوئيل يوسف عزيز، علـم اللغة العام، مراجعة مالك يوسف المطلبي، بيت الموصل.

١٦- دوسوسير، ف، (١٩٧٩م). موضوع الألسنية، مجلة الفكر العربـي: الألسنية أحدث العلوم الإنسانية العددان ٨-٩، السنة الأولى .

١٧- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بـــن عمـــر بـــن محمـــد، (١٩٩٥م). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقـــاويل في وجوه التأويل، رتبه وضبطه وصححه محمـــــد عبـــد الســـلام شاهين،ج١-٤ دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.

١٨- الزناد، الأزهر، (١٩٩٣م). نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي.

١٩- أبو زيد ، نصر حامد، (١٩٩٥م). النص، السلطة، الحقيقة: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

٢٠- فضل ،صلاح(١٩٩٢).بلاغة الخطاب وعلم النص،سلســـلة عـــالم المعرفة،العدد ١٦٤،الكويت.

٢١- الفقي، صبحي إبراهيم، (٢٠٠٠م). علم اللغة النصي بين النظريـــة والتطبيق، دراسة تطبيقية على الســـور المكيـــة، ج١، دار قبـــاء للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة.

٢٢- لاينز، جون، (١٩٨٧م). اللغة والمعنى والسياق، ترجمـــة عبـــاس صادق عبد الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة.

٢٣- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بـــن مكـــرم، (١٩٩٤). لسان العرب، دار صادر الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،ط٣.

٢٤- منير، وليد، (١٩٩٧م). النص القرآني من الجملة إلى العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي القاهرة، سلسلة المنهجية الإسلامية ١٤.

الملاحق[1]

مفاتيح النماذج التوضيحية **

- ملحق رقم (١)
- ملحق رقم (٢)
- ملحق رقم (٣).

---

(١) استند الباحث في بناء هذه الملاحق على ثلاثة كتب أساسية في الموضوع، وهي: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، المجلد الأول، والكشاف، الزمخشري، الجزء الأول، زاد المسير، البغدادي، الجزء الأول.

** تبنى الباحث أثناء بنائه هذه الملاحق رأياً نحوياً واحداً في إعراب الآيات التي عالج من سورة البقرة، وهذا لا يعني أنه ينكر وجود آراء أخرى في إعرابها، داخل الكتب السابقة أو خارجها، وكذلك لا يعني أنه يرفض تلك الآراء؛ فآراء العلماء تتزاحم في إعراب القرآن مما ألزم الباحث بالانتقاء؛ لأن عرض تلك الآراء جميعاً لا يسعه قرطاس ولا يلم به فرد واحد.

مفاتيح النماذج التوضيحية

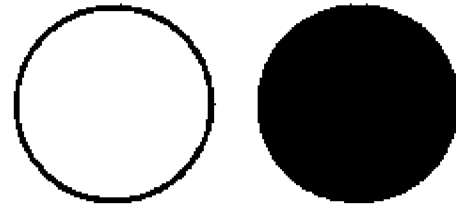
أولا: الشكل البيضاوي تعني وجود علاقة بين عنصرين قائمين عليه

ثانيا: الكتابة التي خارج الدوائر المفرغة أو داخلها تبين نوع العلاقة التي تشكلها.

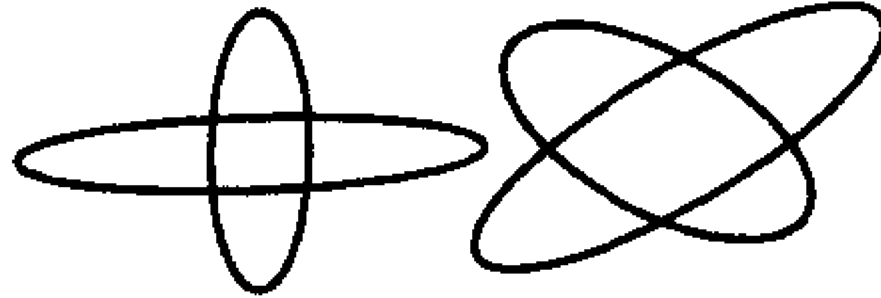
حملية. عطفية إسنادية

ثالثا: الدائرة المصمتة تعني أن اللفظ الذي داخلها عنصر في علاقة.

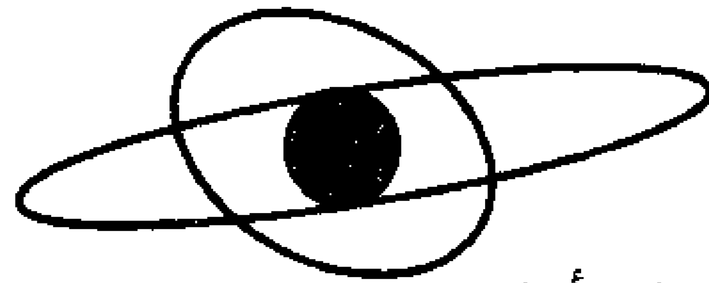
والدائرة المفرغة تعني أن الذي داخلها محذوف.



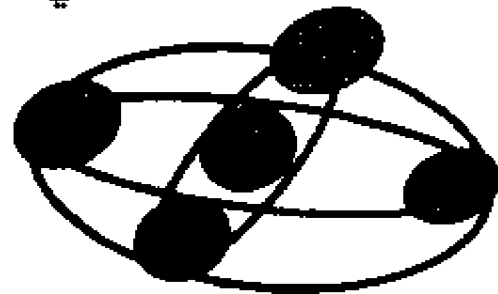
رابعا: تقاطع الأشكال البيضاوية المفرغة يعني وجود علاقة بينها.



خامسا: وجود دائرة مصمتة داخل شكل بيضاوي أو دائرة مفرغة يعني أنَّ المصمتة بؤرة للعلاقة التي تشكلها المفرغة.



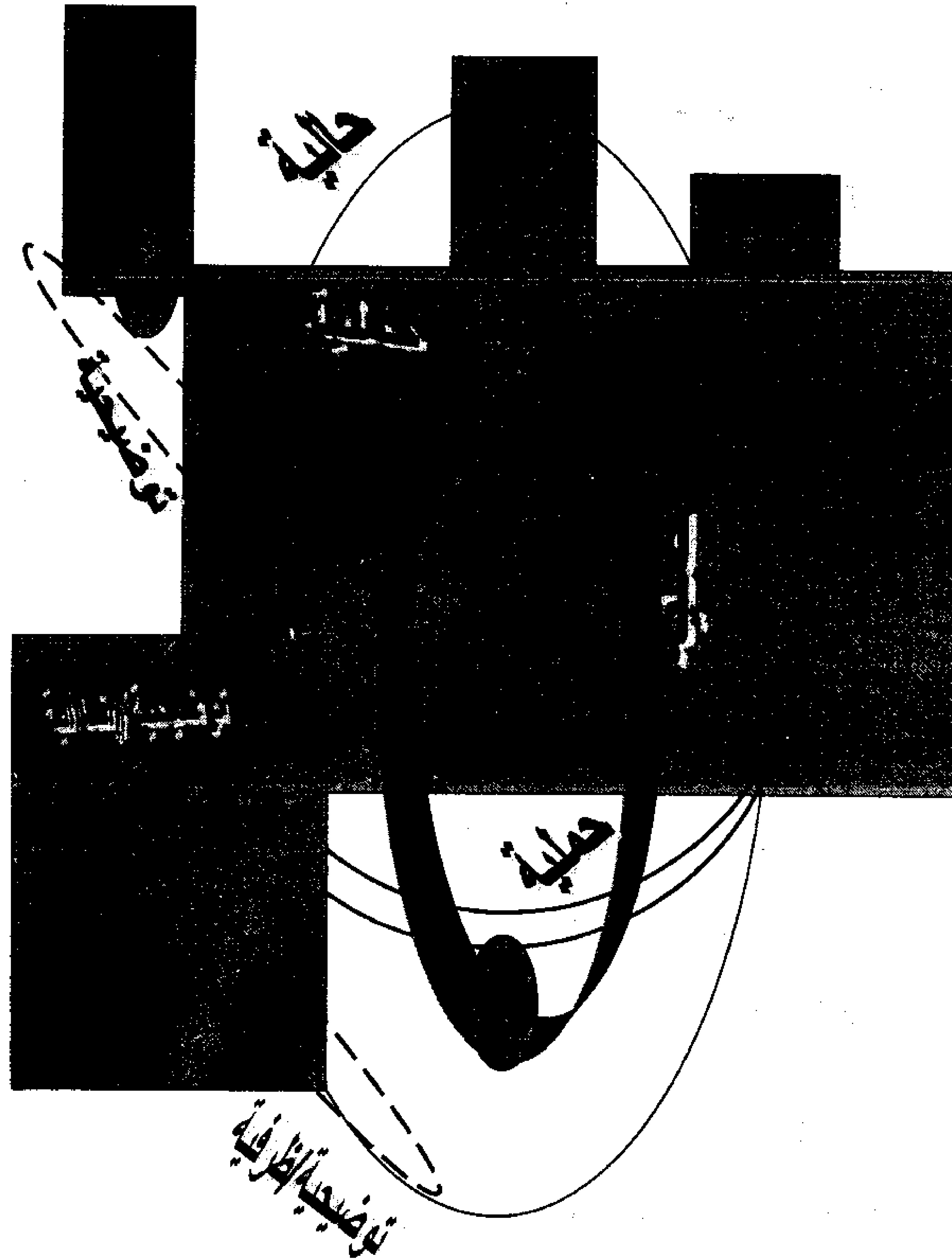
سادسا: الدائرة أو الشكل البضاوي الذي تتصل بأكثر من عنصرين يعني أن مجموع العلاقات تشترك في حكم واحد.



سابعا: اتجاه الدوائر وانحرافاتها ليس له دلالة، فلا يعبر عن طبيعة العلاقات.

ثامنا: اتجاه القراءة في أي نموذج يسير مع اتجاه القراءة في النص.

فمثلا نقرأ: ذلك١ الكتاب٢ لا ريب٣ فيه٤ هدى٥ للمتقين٦



١

تحليل الفقرة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الم(١) ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (٢) الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون (٤) أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون(٥) .

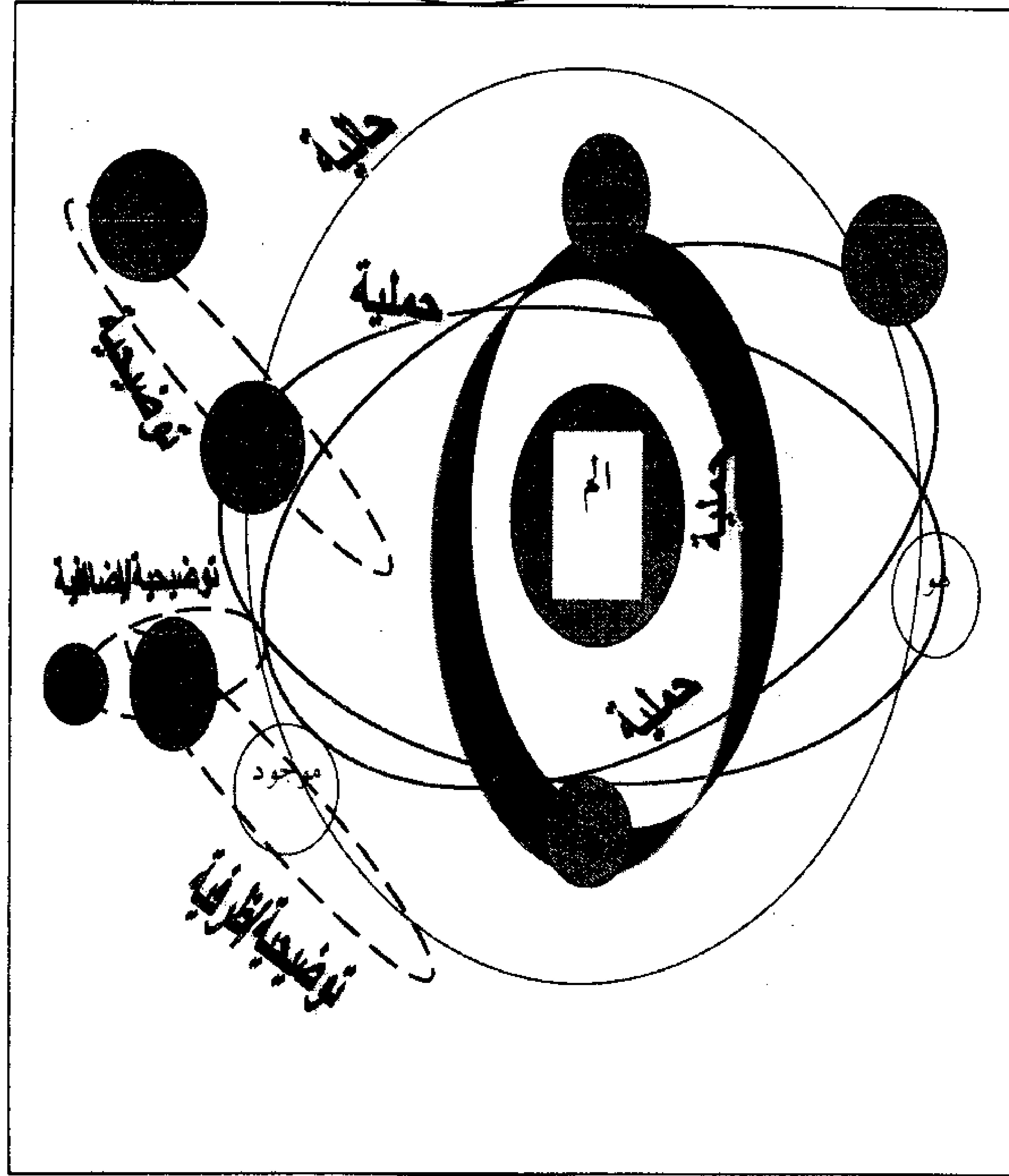
وسيحاول هذا الملحق أن يتلمس وسائل التماسك بعد أن نقوم بتفكيك الفقرة إلى أجزاء أصغر محتملة، وذلك كما يلي:

١- الحروف المقطعة وهي: [الم(١)].
٢- جملة واصفة للكتاب وأثره وهي: [ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين(٢)].
٣- مجموعة جمل معددة لصفات المتأثرين بالكتاب، وهي: [الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون(٤)].
٤- جملة تشير إلى نتيجة التأثر بالكتاب وهي: [أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٥)].

وسندرس العلاقات النحوية داخل هذه الفقرة بعد أن نرسم لها نموذجا يوضحها، وذلك كما يلي:

العلاقة الأولى: علاقة الحروف المقطعة في أول الفقرة (الم) بالجملة التالية [ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (٢)].

شكل رقم (١)



الم (١) ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين(٢)

نلحظ أن الفقرة مرتكزة في بنائها على بؤرة من خارجها على المستوى الدلالي؛ بحيث تدور في فلك مجموعة الحروف المقطعة (الم) جميع التراكيب النحوية التالية لها. وبما أنها لا ترتبط نحويا بما يليها من كلام، فهي فقرة مستقلة، سواء وصلنا إلى معناها أم لم نصل. ونحن باحثون لم نستطع الوصول إلى معنى فيها، ولكنا وصلنا إلى فائدة ذكرها في موضعها بداية السورة.

أما التماسكات النحوية التي شكلت الفقرة الأولى في هذا النص فقد كانت مجموعة علاقات بدأت بنسبة محمول إلى موضوع نسبة إخبارية مكونة نحويا من مبتدأ وخبر اسمين (ذلك الكتاب). ثم جاء بعد هذا التركيب تركيب تال له مباشرة هو جملة (لا ريب فيه)، وهي جملة اسمية العلاقة الرابطة بين الاسم المنفي جنسه والموضوع فيها علاقة حملية أيضا. هذا على مستوى الجملة. أما على مستوى الرابط بين هذه الجملة والجملة السابقة لها فهي العلاقة الحالية. ثم كانت شبه الجملة الظرفية (فيه) التي حملت علاقة رابطة على مستوى فوق جملي؛ بأن أوجدت علاقة توضيحية: ظرفية/ مكانية ربطت الخبر المحذوف الذي تقديره (موجود) بالتركيب الظرفي (فيه)، وربطت الضمير (الهاء) الذي يشكل علاقة مع (الكتاب) التي في الجملة الأولى؛ بحيث استبدل الضمير (الهاء) بكلمة (الكتاب) ليبقي اتصالا بين المستبدل والمستبدل منه؛ بحيث يسمح بإبقاء العلاقة بين الجملة الأولى والثانية. ثم جاءت جملة (هدى للمتقين)، وكان الرابط بينها وبين الجملة الأولى؛ أي جملة (ذلك الكتاب) ذات العلاقة بين الجملة الثانية (لا ريب فيه) والجملة الأولى؛ أي علاقة حالية. أما العلاقة داخل ذات الجملة فهي العلاقة الحملية؛ لأنّ العلاقة بين اللفظ

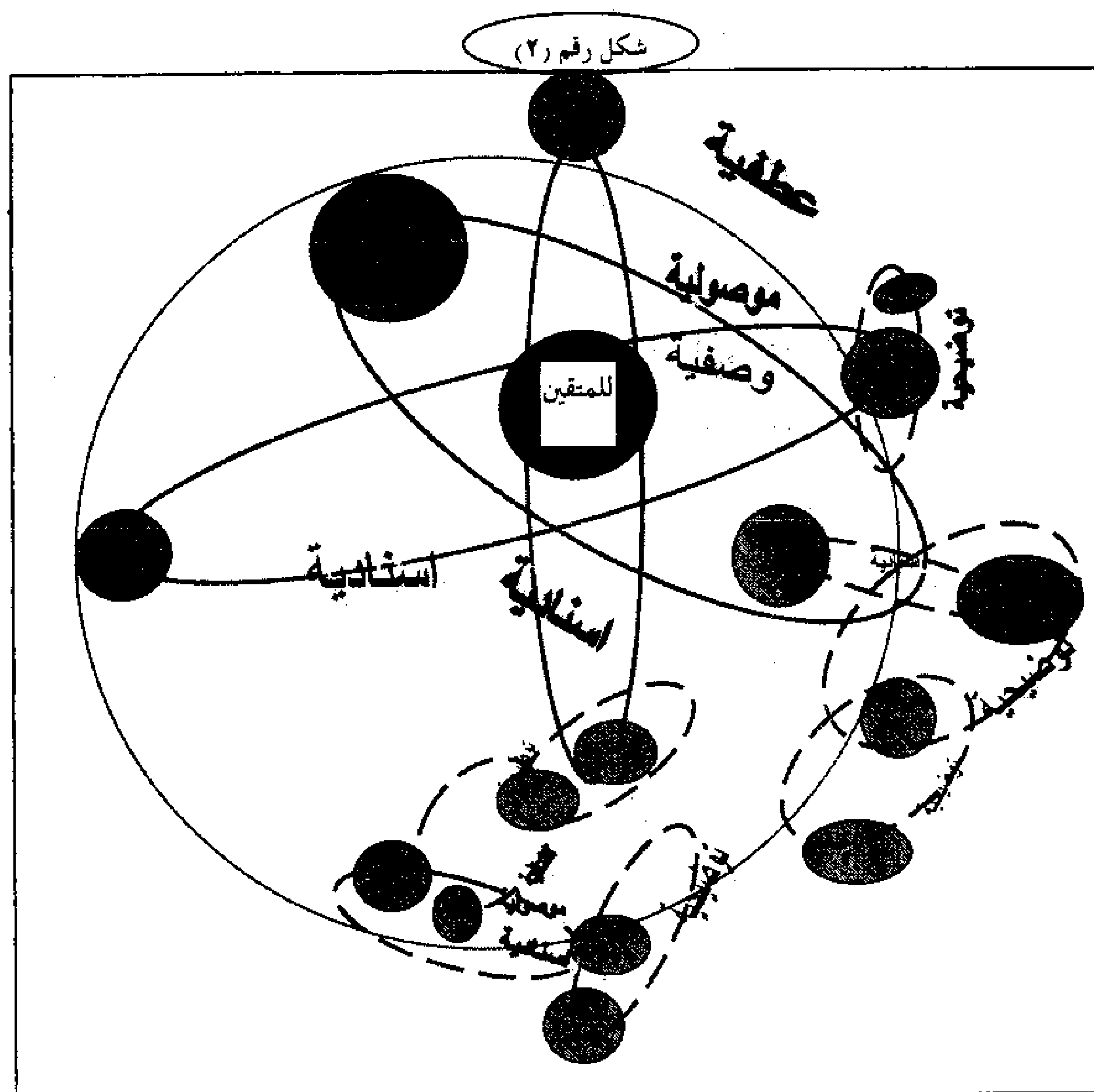
الأول المحذوف (هو)[1] والثاني الموجود (هدى) هي علاقة موضوع بمحمول. أما علاقة شبه الجملة الظرفية (للمتقين) فهي علاقة توضيحية/ ملكية.

العلاقة الثانية: علاقة الآية الثانية [ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين(٢)] بالآية الثالثة [الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣)].

قد يتبادر للوهلة الأولى أنّ هذه الآية ذات علاقات بسيطة غير مركبة تركيبا معقدا ولكن فيها من العلاقات ما يزيد عن العشر، وهي في إطارها المعرفي لا تعدو كونها شرحا وتفسيرا للفظ واحد من ألفاظ الجملة السابقة لها؛ فهي كلها ناشئة عن لفظ (المتقين) في التركيب السابق الذي كان هو بذاته ذا علاقة توضيحية /ملكية؛ أي علاقة تخصيص. ويمكن قبل البدء بوصف العلاقات النحوية التي سمحت بتماسك المتتاليتين الجمليتين على مستوى الفقرة أن نرسم النموذج التالي الموضح لهذه العلاقات، وذلك كما يلي:

---

[1] قدرنا المحذوف المبتدأ وقدرناه (هو) بدل تقدير المحذوف الخبر الذي قدره العلماء (فيه)؛ لأن المعنى ضمن احتمال المحذوف (فيه) يجعل المعنى أضعف من تقدير (هو)؛ ذلك أن تقدير (فيه) يعني احتمال الهدى فيه وغيره. أما تقدير الحذف للمبتدأ (هو) فيجعل المعنى لا يحتمل إلا وجود الهدى فيه دون سواه. وهذا المعنى أجل.



الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصـــــلاة وممـــا رزقنـــاهم

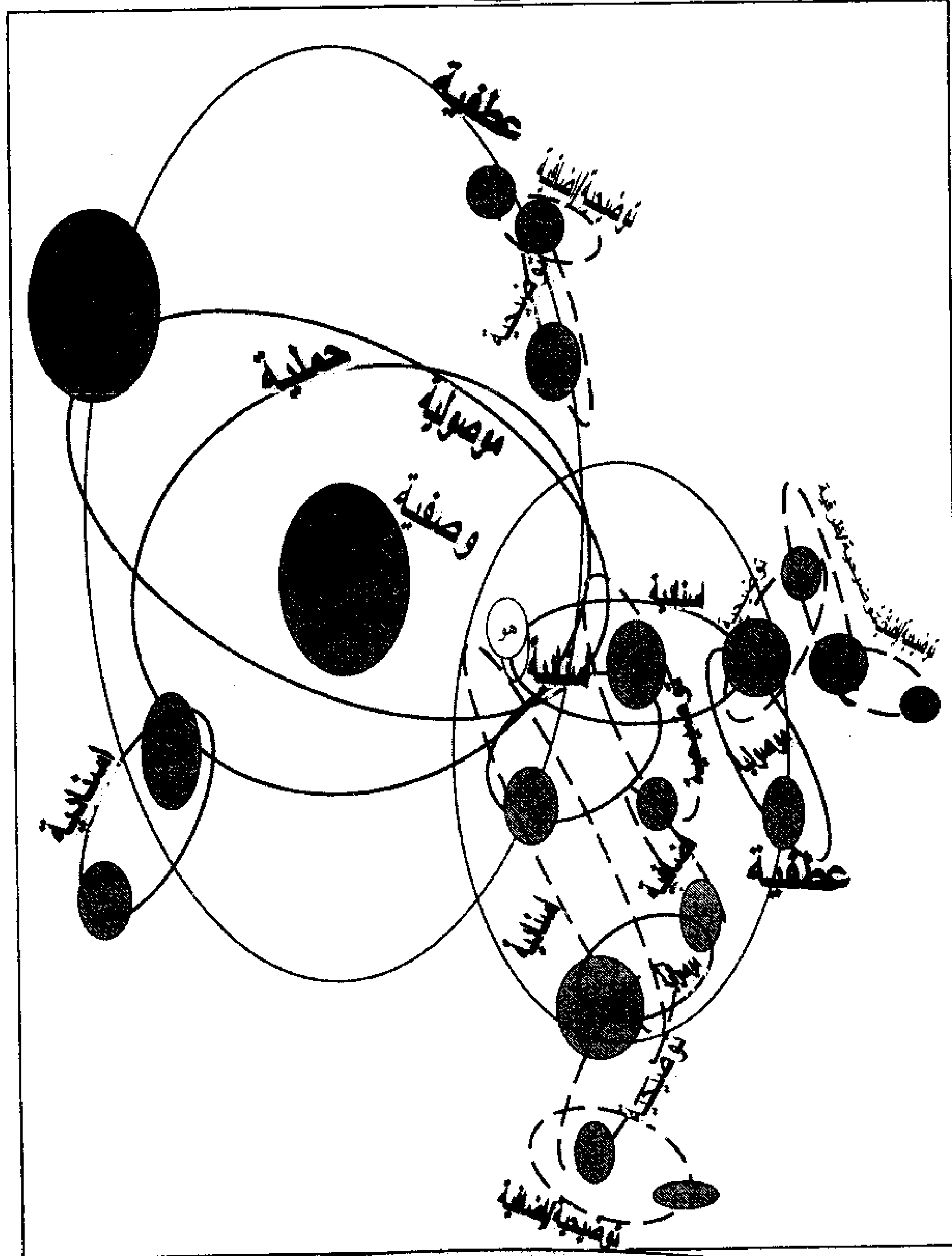
نلحظ أنّ الذي سمح بتماسك الآية الثالثة بالآية الثانية هو وجـــود العلاقة الوصفية بين الموصوف (المتقين) والوصف (الذين) ثم إنّ الـــذي سمح بتماسك الوصف (الذين) بالتركيب التالي له وهو الفعل (يؤمنـــون) العلاقة الموصولية؛ وهي واحدة من العلاقات التوضيحيـــة؛ أي المفســـرة والشارحة للفظ المبهم؛ الاسم الموصول (الذين). والذي أوجد التماسك بين

الفعل وفاعله داخل إطار الجملة العلاقة الإسنادية. أما العلاقة التي سمحت بتماسك الجملة (يؤمنون) مع شـــبه الجملــة (بــالغيب) فــهي العلاقــة التوضيحية. ثم بدأ في التركيب التالي بنوع جديد من العلاقة وهي العلاقة العطفية؛ إذ عطف النص جملة (يقيمون) على جملة (يؤمنـــون)، وأبقـــى العلاقة الإسنادية هي العلاقة الماسكة للتركيب الجملي في ذاتـــه، وأبقـــى العلاقة التوضيحية ماسكة للمفعول مع التركيب الجملي السابق له أيضـــا. ثم كان التركيب التالي، والعلاقة الماسكة له مع الـــتركيب الســـابق هـــي العلاقة العطفية كذلك، ولكن كان في هذا التركيب مخالفـــة مـــن حيـــث الترتيب، والقياس هنا على التركيبين السابقين له (يؤمنون ويقيمـــون)؛ إذ صار الترتيب هنا (ومن ما رزقناهم ينفقون) فأخَّر العلاقة الإسنادية، وقدَّم العلاقة التوضيحية والعلاقة الإضافية والعلاقة الموصولية؛ فكانت العلاقـة الأولى هي العلاقة التوضيحية (من)، ثم تلتها العلاقة الإضافية (من مـــا)، ثم كانت العلاقة الموصولية (ما رزق)، ثم كانت علاقة إسنادية (رزقنا)، ثم كانت العلاقة التوضيحية (رزقناهم)، ثم جـــاءت العلاقـــة الإســـنادية الأصلية (ينفقون) .

العلاقة الثالثة: علاقة الآية الثالثة [الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصـــلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣)] بالآية الرابعة [والذين يؤمنـــون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون(٤)].

يمكن أن نصور مجموعة العلاقات النحوية هذه من خلال النموذج التالي:

شكل رقم (٣)



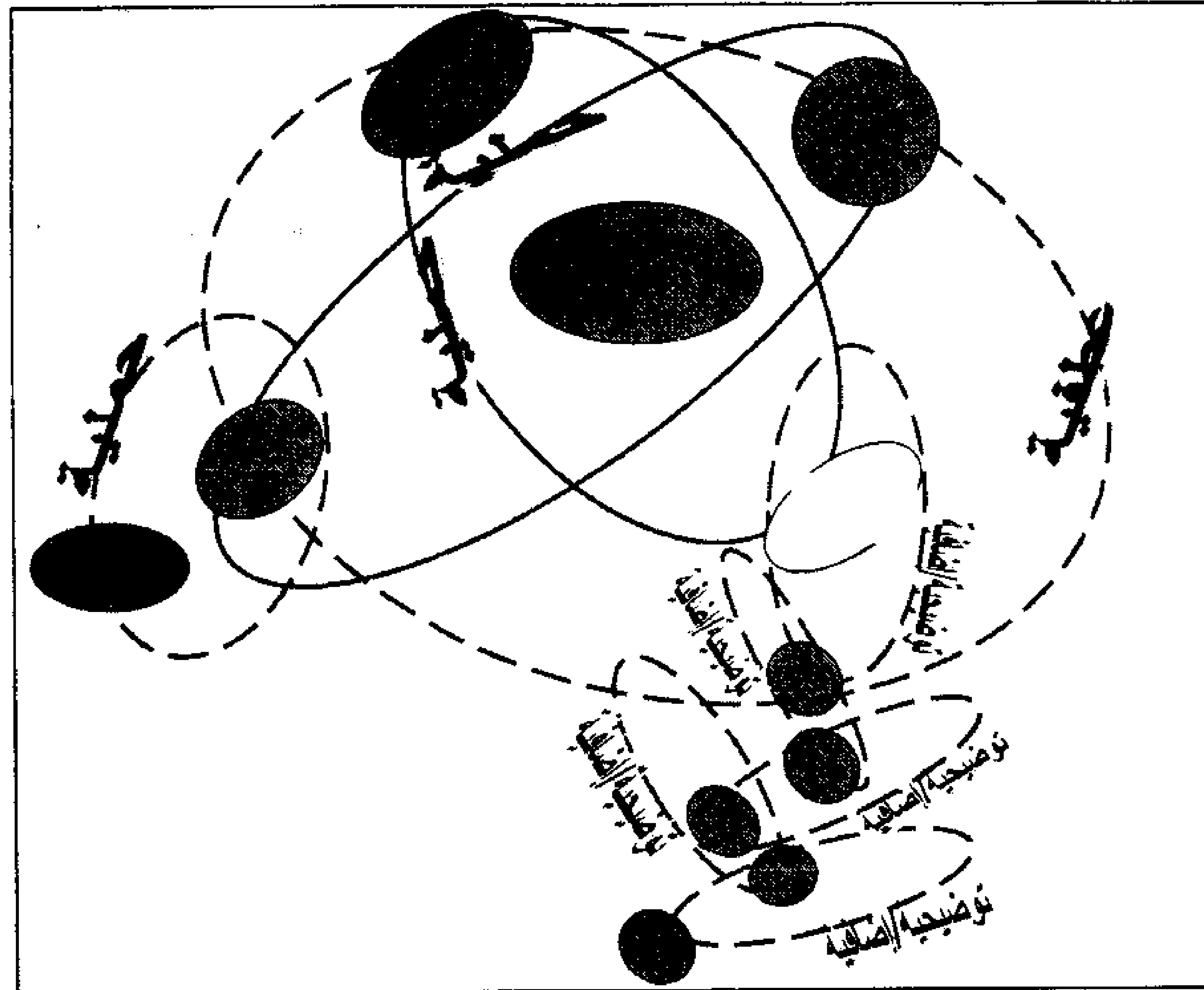
والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون (٤)

نلحظ أن ثمة تماسكا قويا على المستوى النحوي بين هذه الجملـــة في لفظها الأول وبين لفظين سابقين، أحدهما: في الجملة الثانية وهو لفــظ (المتقون)، وثانيهما: في الجملة الثالثة، وهو لفظ (الذيـــن). أمـــا الرابــط الماسك للفظ (الذين) الثاني؛ أي الموجــــود فــي بدايـــة الآيـــة الرابعـــة بـــ(المتقين) فهي العلاقة الوصفية؛ إذ هو أيضا وصف موضـــح لحقيقـــة هؤلاء المتقين. وأما الرابط الماسك له بـــ(الذين) في الآية الثالثـــة فـــهي العلاقة العطفية؛ إذ لفظ (الذين) الثاني معطوف على لفظ (الذيــــن) الأول بحرف العطف الواو. أما العلاقات الماسكة للتركيب الجملي ذاته فكــــانت العلاقة الموصولية بين (الذين) و(يؤمنون)، ثم تلتها العلاقة الإسنادية التي جمعت بين الفعل والفاعل، فتلتها العلاقة التوضيحية الإضافية التي جمعت بين الفعل وشبه الجملة(بما أنزل)، فتلتها العلاقة موصولية التــــي علقــت (ما) بـــ(أنزل)، فتلتها العلاقة الإسنادية التي علقت (أنزل) بنائب الفـــاعل المحذوف (هو)، فتلتها العلاقة العطفية التي علقت الجملة التامة بالجملـــة التالية (وما أنزل من قبلك)، فتلتها العلاقة التوضيحية التي علقت (ما) بما قبلها، فتلتها العلاقة موصولية التي علقت (ما) بما بعدها، فتلتها العلاقـــة الإسنادية التي علقت (أنزل) بنائب الفاعل. أما علاقة الفعل بما بعده علاقة توضيحية، وعلاقة (من) بما بعدها علاقة توضيحية إضافية أيضا، وعلاقة (قبل) بما بعدها علاقة توضيحية/زمانية. أما علاقة جملة (وبالآخرة هـــم يوقنون) بما قبلها فهي علاقة عطف، وعلاقة (بـــالآخرة) شـــبه الجملـــة بالجملة الاسمية (هم يوقنون) فهي علاقة توضيح، وعلاقـــة (هـــم) بـــــ (يوقنون) فهي علاقة حمل. أما علاقة (يوقن) الفعل بالضمير الواو فـــهي علاقة إسناد. وهنا يظهر أن مجموع العلاقات بين هاتين الجملتيـــن هـــو الذي سمح بتماسكهما على مستوى فوق الجملة؛ إذ ظهر جليا أن علاقتيـن

جمليتين فقط قد ظهرتا في الفقرة إلى الآن، وهما: علاقة الحمل وعلاقة الإسناد. أما بقية العلاقات فهي علاقات فوق جملية متعلقة بإحدى النسبتين. وبقيت علاقة الحمل الأولى (ذلك الكتاب) هي الوحيدة من بين تلك العلاقات جميعا لم تتحول ولم تتعلق بشيء قبلها أو بعدها، بل تعلق كل لفظ أو تركيب بها دون غيرها مما يومئ بأنها بؤرة هذه التراكيب جميعا.

العلاقة الربعة: علاقة الآية الرابعة [والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون (٤)]. بالآية الخامسة [أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٥)].

شكل رقم (٤)



أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٥)

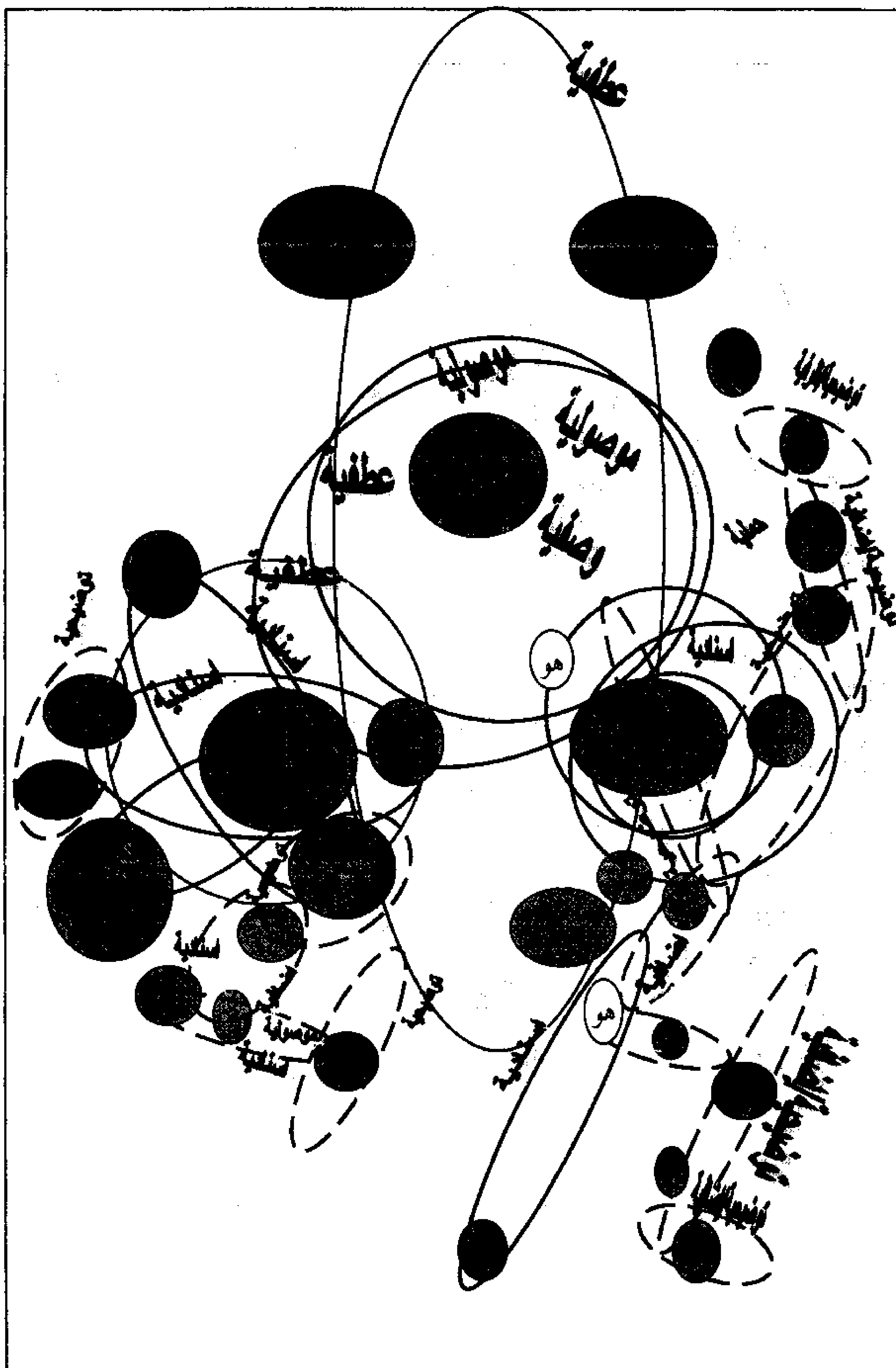
نلحظ أنّ العلاقة الماسكة للفظ الأول بالثاني هي علاقة حملية في الجملة (أولئك على هدى)؛ بحيث خبر (أولئك) محذوف تقديره (كائنون)، وعلاقة الجملة بشبه الجملة التابعة لها علاقة توضيحية/مكانية، وعلاقة (هدى) بالحرف (من) علاقة توضيحية/إضافية، وعلاقة (من) بما يليها؛ أي اللفظ (رب) علاقة توضيحية/إضافية أيضا. وكذلك علاقة (رب) بالضمير (هم) توضيحية/إضافية. أما الجملة الثانية (وأولئك هم المفلحون) فقد تماسكت مع الجملة السابقة لها مباشرة بعلاقة العطف، وتماسكت عناصرها فيما بينها بعلاقة الحمل؛ إذ كون لفظ (أولئك) مبتدأ وكانت جملة(هم المفلحون) خبره، وتماسكت الجملة التي محلها خبر بالعلاقة الحملية؛ فـ(هم) مبتدأ و(المفلحون) خبره.

جمع العلاقات النحوية:

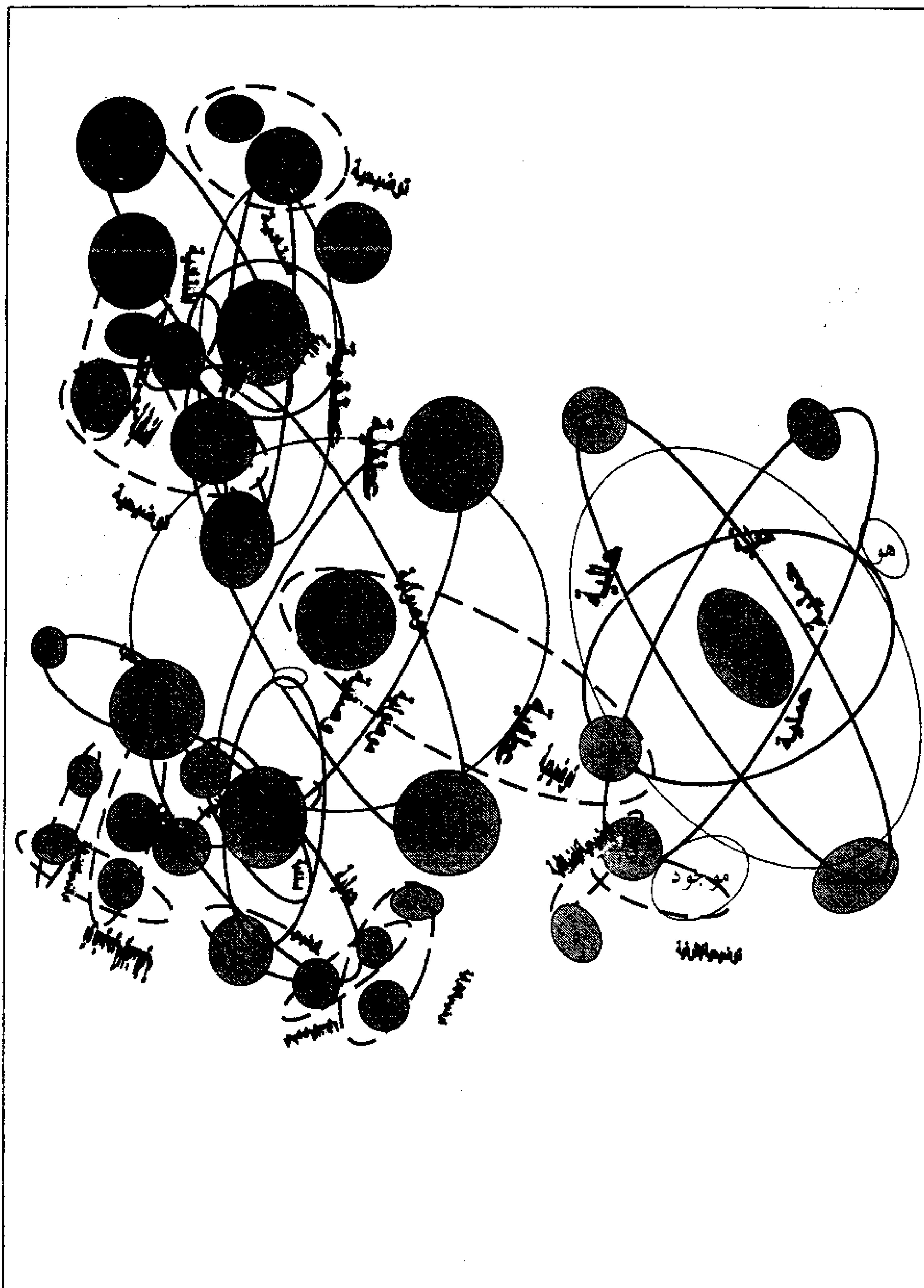
يمكن لنا أن نتصور مجموع العلاقات داخل هذه الفقرة على النحو التالي:

مسك العلاقة الأولى بالثانية:

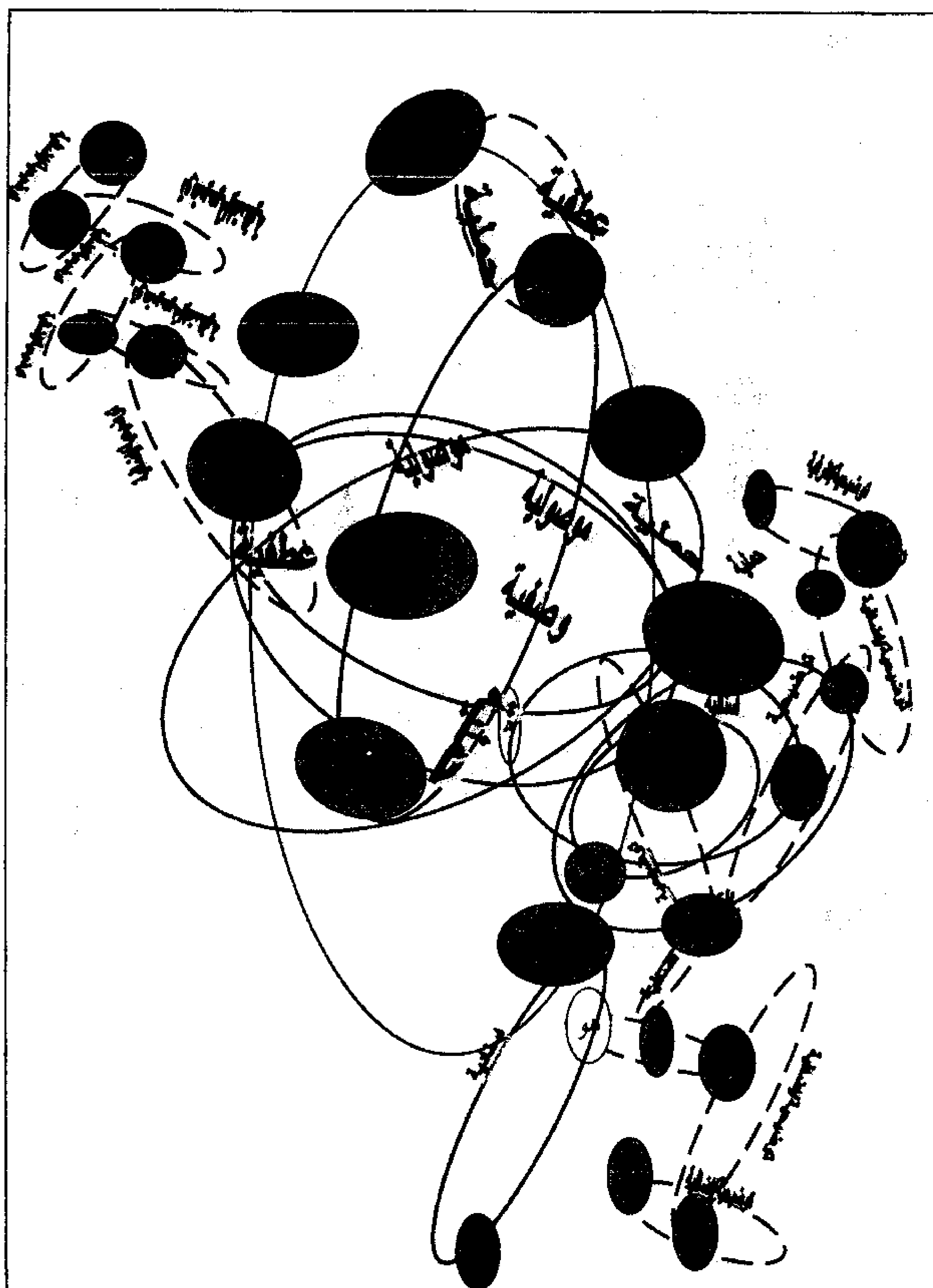
مسك العلاقة الثانية بالثالثة:



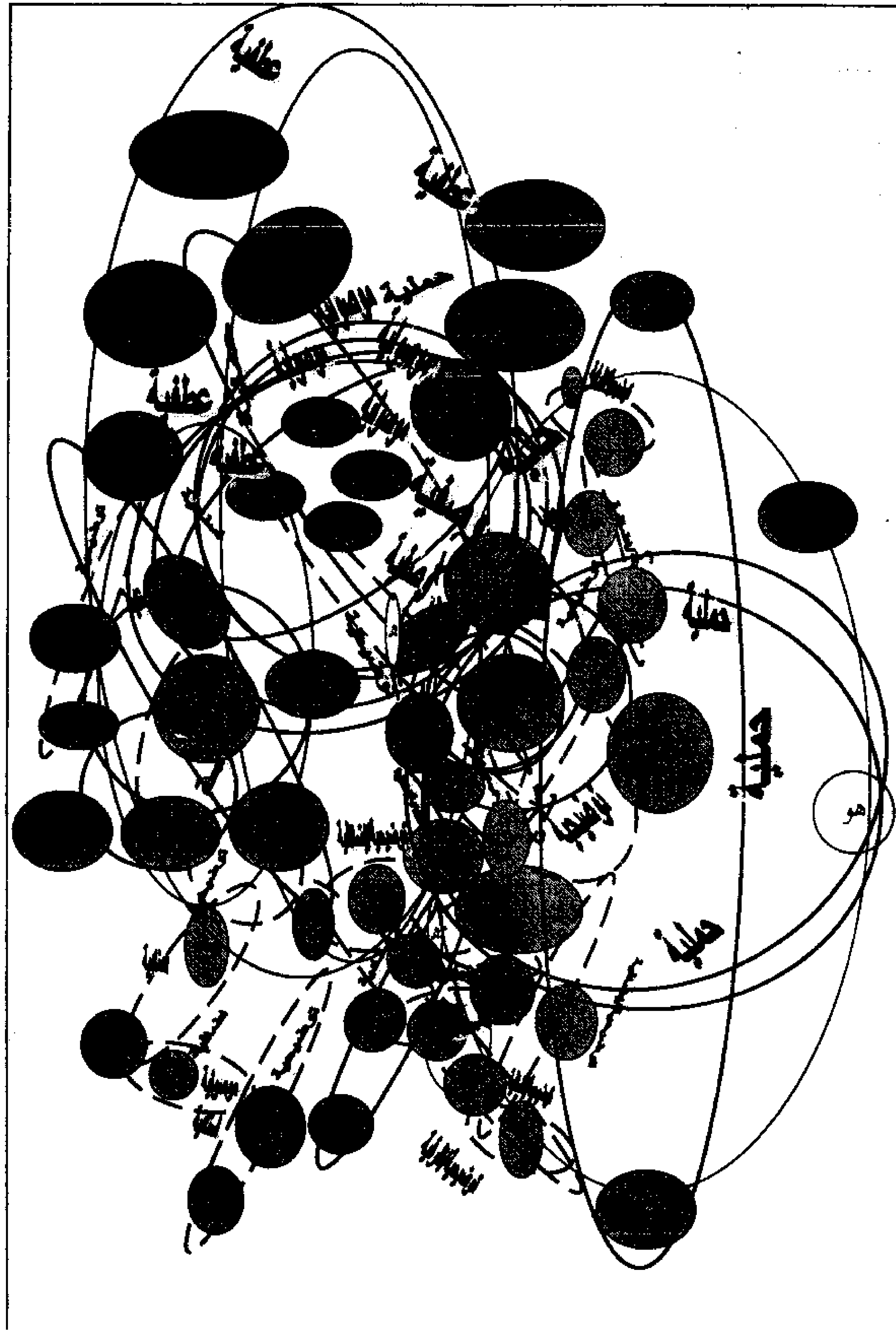
مسك العلاقات الثلاث الأولى معا:



مسك العلاقة الثالثة مع الرابعة:



مسك العلاقات الأربع معا:



وجدنا أنّ الفقرة تجمعت على مستوى العلاقات النحوية ضمن مجموعتين من العلاقات، أولها: العلاقات الجملية، وانقسمت إلى قسمين رئيسين، هما: علاقات الحمل، وعلاقات الإسناد. وثانيها: العلاقات فوق الجملية، وهي علاقات تابعة للعلاقات الجملية هدفها تفسير العلاقة الجملية كاملة أو تفسير بعض عناصرها أو تفسير عنصر تابع لها، ومن أمثلة العلاقات الجملية الحملية التركيب التالي: (ذلك الكتاب). ومن أمثلة التراكيب التابعة الموضحة لعنصر من عناصر التركيب الحملي الجملتين التاليتين: (لا ريب فيه، هدى للمتقين)، وهما جملتان حمليتان تهدفان إلى توضيح حال الكتاب العامة والخاصة. ومن أمثلة التراكيب التي ظهرت موضحة لعنصر تابع من موضحات الجملة الأساس التركيب الوصفي: (الذين يؤمنون بالغيب) والتراكيب العطفية التالية: (ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون، والذين يؤمنون بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك ، وبالآخرة هم يوقنون). مع مراعاة أن هذه التراكيب في ذاتها منفصلة عن سياقها التركيبي العام في هذه الفقرة، ما هي إلا تراكيب جملية حملية أو إسنادية، وهي كذلك داخله، لكن اختلفت وظيفتها؛ إذ صارت مهمتها نتيجة التركيب توضيح عنصر سابق، وليس بناء معنى مستقل جديد. وكذلك من التراكيب التابعة التي جاءت لتوضيح ذات العنصر التابع؛ التركيبين الحمليين التاليين: (أولئك على هدى من ربهم، وأولئك هم المفلحون).

هنا يظهر أنّ الفقرة تشكلت بناء على توسيع بؤرتين، الأولى: توسيع بؤرة التركيب الجملي الحملي الأول: (ذلك الكتاب) والثانية: توسيع بؤرة ناشئة من خلال توضيح حال (الكتاب) في المتلقين عن طريق وصف العنصر المقصود وهو في هذه الفقرة لفظ (المتقين)؛ لذا وجدنا

خلال النموذج التوضيحي لسلسلة العلاقات بؤرتين تجميعيتيـــــن للجمـــل التابعة، أولها: (ذلك الكتاب)، وثانيها: (للمتقين). وأنّ عبارة (للمتقين) هي الجامع للفقرة ما قبلها بما بعدها؛ لذا لم يجانب متلقي النــــص الصـــواب عندما تبادر إلى ذهنه أنّ هذه الفقرة منفصلة من حيث المضمون عما يليها من فقرات، ولم يجانبه أيضا عندما عدّ لفظ (المتقين) موضوعها العام.

٢

ملحق

تحليل الفقرة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (٦) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم (٧) .

سيحاول هذا الملحق أن يتلمس وسائل الربط والتماسك في الفقرة، بعد أن يقوم بتفكيكها إلى أجزاء أصغر محتملة، وذلك كما يلي:

١- التوكيد باستخدام حرف ناسخ(إنّ).

٢- الجملة الاسمية الخبرية [الذين كفروا سواء عليهم...].

٣- الجملة الاسمية الشارحة [أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على...].

٤- العبارات المعطوفة على الجملة الشارحة المفصلة [...على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة].

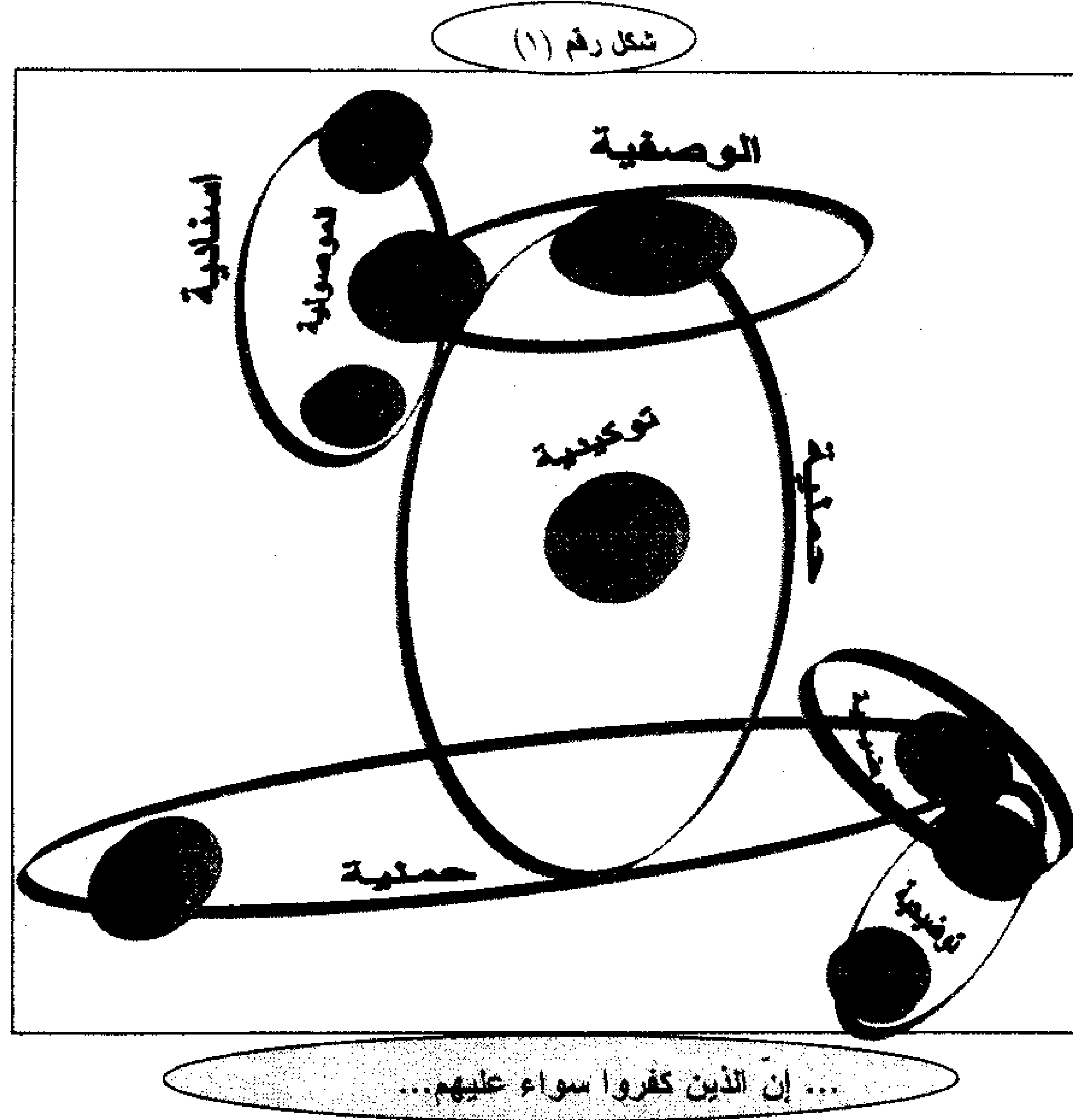
٥- الجملة الاسمية النتيجة [ولهم عذاب عظيم].

سيدرس هذا الملحق العلاقات النحوية داخل هذه الفقـــرة برســـم نموذج لكل جملة يوضح طبيعة التماسكات النحوية الناشئة فيها، وذلك كما يلي:

العلاقة الأولى: علاقة الحرف الناسخ (إنّ) بالجملة التالية له [الذين كفـروا سواء عليهم].

ويمكن ملاحظة النموذج التالي؛ لمعاينة ترابطات الجملة:

شكل رقم (١)



نلحظ في النموذج أعلاه أنّ المتتالية الجملية كانت تدور في فلك التوكيد الذي نشأ عن وجود حرف التوكيد (إنّ)، حيث شكّل هذا الحرف بؤرة مشابهة تماما للبؤرة الخارجة عن الفقرة التي شكلتها الحروف المقطعة(ألم) في بداية الفقرة الأولى؛ فبدأ التشكيل النحوي للعلاقات من التركيب الحملي التالي لهذا الحرف. ثم شكلت عبارة (الذين كفروا) كلا، عنصرا من عناصر التركيب هو المسند إليه. وشكلت الجملة (سواء عليهم) كلا، المسند؛ في حين أن المسند إليه لم يكن كلا واحد، بل كان كلا موحدا، حيث كان الاسم الموصول (الذين) اللفظ المبهم متعالقا مع اللفظ المحذوف (الجماعة) على أنه صفته، ومع الجملة الإسنادية (كفروا) على أنها صلته. وكانت الجملة (كفروا) متعالقة - فيما بينها - بعلاقة الإسناد. وعمل الإضمار داخل علاقة الإسناد هذه ضمن قانون الاقتصاد على أمرين، الأول: سوغ الحذف لاسم (إنّ) الذي هو (الجماعة)؛ لأنّ أصل الكلام: إنّ الجماعة الذين كفروا؛ ليصلح على المستوى النحوي الجملي أن يعود ضمير من الصلة على ما قبل الموصول. والثاني: منع الإضمار التكرار الحرفي للفظ (الجماعة) المحذوف؛ إذ دل عليه مرتين، الأولى بلفظ (الذين) الذي يدل على جماعة بالتضمن، والثانية واو الجماعة التي تدل على الجمع بمطابقها. وتكوّن العنصر الثاني في العلاقة الجملية الكلية في التركيب من المسند: التركيب الجملي الحملي (سواء عليهم) حيث كان العنصر الأول في هذا التركيب الحملي لفظ (سواء) فشكل المسند إليه، وكانت شبه الجملة (عليهم) متعالقة مع المسند المحذوف، الذي يقدر - منطقا - بـ (كائن أو موجود) وتعلقت شبه الجملة بهذا الخبر المحذوف، عن طريق العلاقة التوضيحية المكانية، وتعالق الحرف الدال على المكان (على) بالضمير بالعلاقة التوضيحية التخصيصية.

يجدر أن نتنبه إلى أنّ العلاقات الناشئة عن قانون التوسعة، لم تعمل منفردة في المتتالية الجملية، بل كان يعمل معها قانون الاقتصاد من خلال حذف المسند الذي دلت عليه شبه الجملة المتعلقة به، ثم إضمار الاسم الظاهر في (عليهم) العائد على الجماعة.

العلاقة الثانية: علاقة جملة: [سواء عليهم]. بجملة: [أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون].

(أ) ربط (أ أنذرتهم) بما حولها

يمكن أن ندرك من العلاقات النحوية على مستوى الجملة أن التركيب الجملي (أأنذرتهم) يكوّن في الذهن صورة واحدة، وهي صورة المبتدأ؛ بمعنى أنّ هذا التركيب يؤول بمفرد. وقد نظر إليه بعض المفسرين على أنه فاعل للمصدر (سواء) بحيث يصير التصور كالتالي: المصدر وفاعله، في محل رفع خبر (إنّ). ونظر إليه مفسرون آخرون على أنه مبتدأ خبره (سواء) وشبه الجملة (عليهم) متعلقة بالخبر. في حين نظر غيرهم إلى أنّ (سواء) مبتدأ وشبه الجملة (عليهم) متعلقة بخبر محذوف، والتركيب الحملي المكوّن من (سواء) و(عليهم) في محل رفع خبر مقدم للمبتدأ المؤخر (أأنذرتهم).

(**ب**) ربط (أم لم تنذرهم) بما حولها.

جعل بعض المفسرين الذين نظروا إلى التركيب (أأنذرتهم) على أنه مبتدأ التركيب التالي (أم لم تنذرهم) معطوفا عليه؛ بمعنى أنهم قدروا له خبرا كخبره؛ أي قدروا التركيب: أأنذرتهم سواء عليهم، أم لم تنذرهم سواء عليهم.

(ج) ربط (لا يؤمنون) بما حولها.

قرر المفسرون في الجملة التالية للتركيبين (أأنذرتهم أم لم تنذرهم) وهي جملة (لا يؤمنون) أحد أمرين، فبعضهم عدّها خبرا بعد الخبر؛ أي تصوروا أنّ أصل التركيب: أأنذرتهم سواء عليهم لا يؤمنون أم لم تنذرهم سواء عليهم لا يؤمنون. أو: أأنذرتهم سواء عليهم، أم لم تنذرهم سواء عليهم، لا يؤمنون؛ في حين عدّها بعضهم تفسيرية، لا محل لها من الإعراب؛ أي تصوروا التركيب الكلي: أأنذرتهم سواء عليهم، أم لم تنذرهم سواء عليهم. لا يؤمنون. وكأن (لا يؤمنون) نتيجة مختصرة للمقدمات الجملية التي سبقتها، مما يجعل الجملة التالية في الآية (٧) جملة جديدة لا علاقة لها بالجملة السابقة لها إلا على مستوى الدلالة، من كونها تبين سبب عدم إيمانهم؛ أي سبب النتيجة التي قدم بها النص. ونحن نرى أنّ تلك التراكيب أكثر تماسكا، وأشد ترابطا، فيما بينها على المستوى النحوي؛ ذلك أنّ التركيب النحوي في هذه المتتالية الجملية، جعل لكل موضوع محمول؛ وذلك كما يلي:

مسند إليه	مسند
سواء	(كائن) عليهم/
أ أنذرتهم	لا يؤمنون/
لم تنذرهم	ختم الله على قلوبهم/

أو:

مسند إليه	مسند
سواء	(كائن) عليهم/
أ أنذرتهم	ختم الله على قلوبهم/

<u>مسند إليه</u> **<u>مســـنـــد</u>**

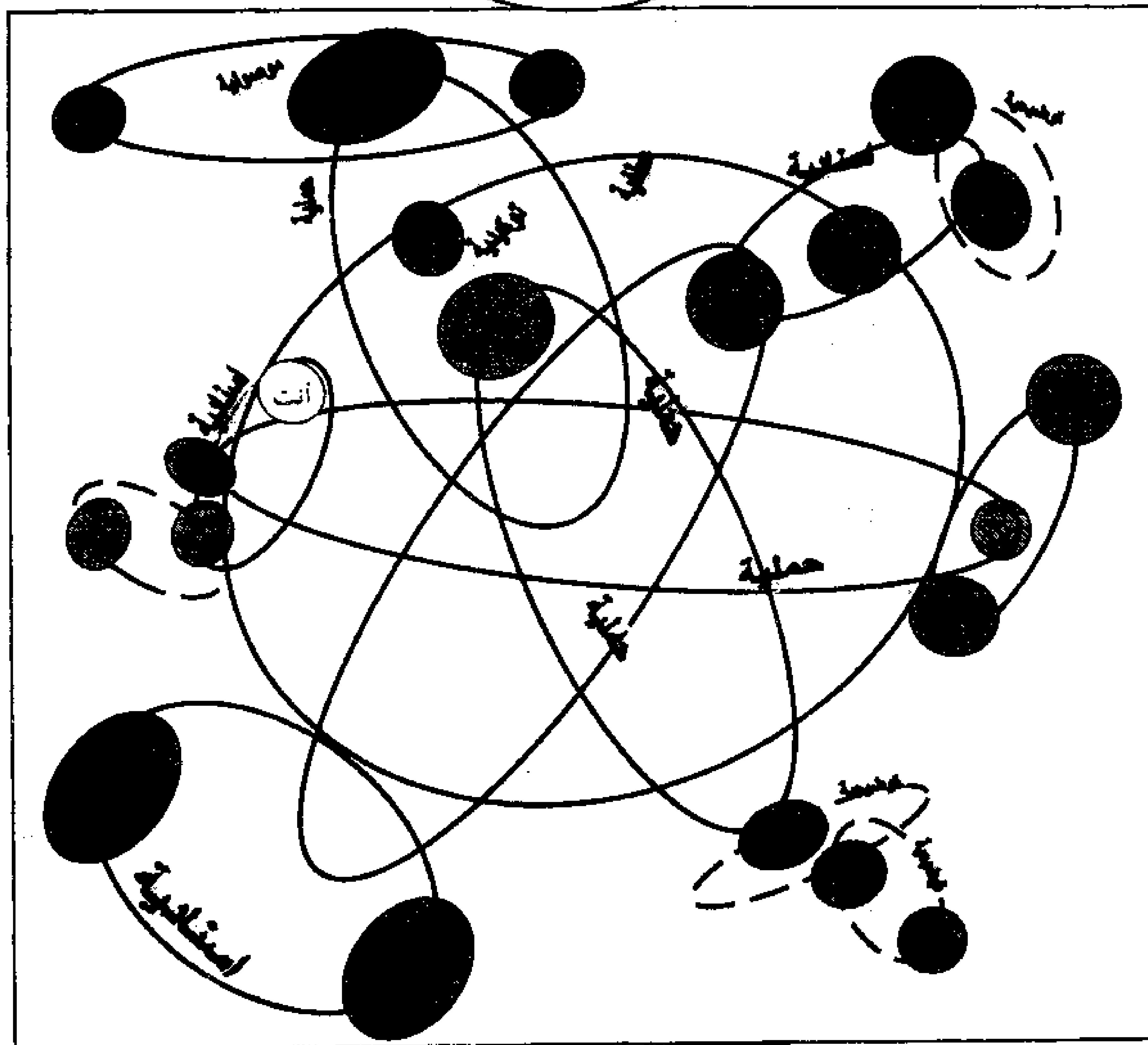
أو :

أ أنذرتهم سواء (كائن) عليهم/لا يؤمنون/ختم الله على قلوبهم/...

لم تنذرهم سواء (كائن) عليهم/لا يؤمنون/ختم الله على قلوبهم/...

على أن كل واحد من هذه التراكيب الحملية يصلح أن يكون خــبر (إنّ) التي في بداية الآية؛ ذلك كما يلي:

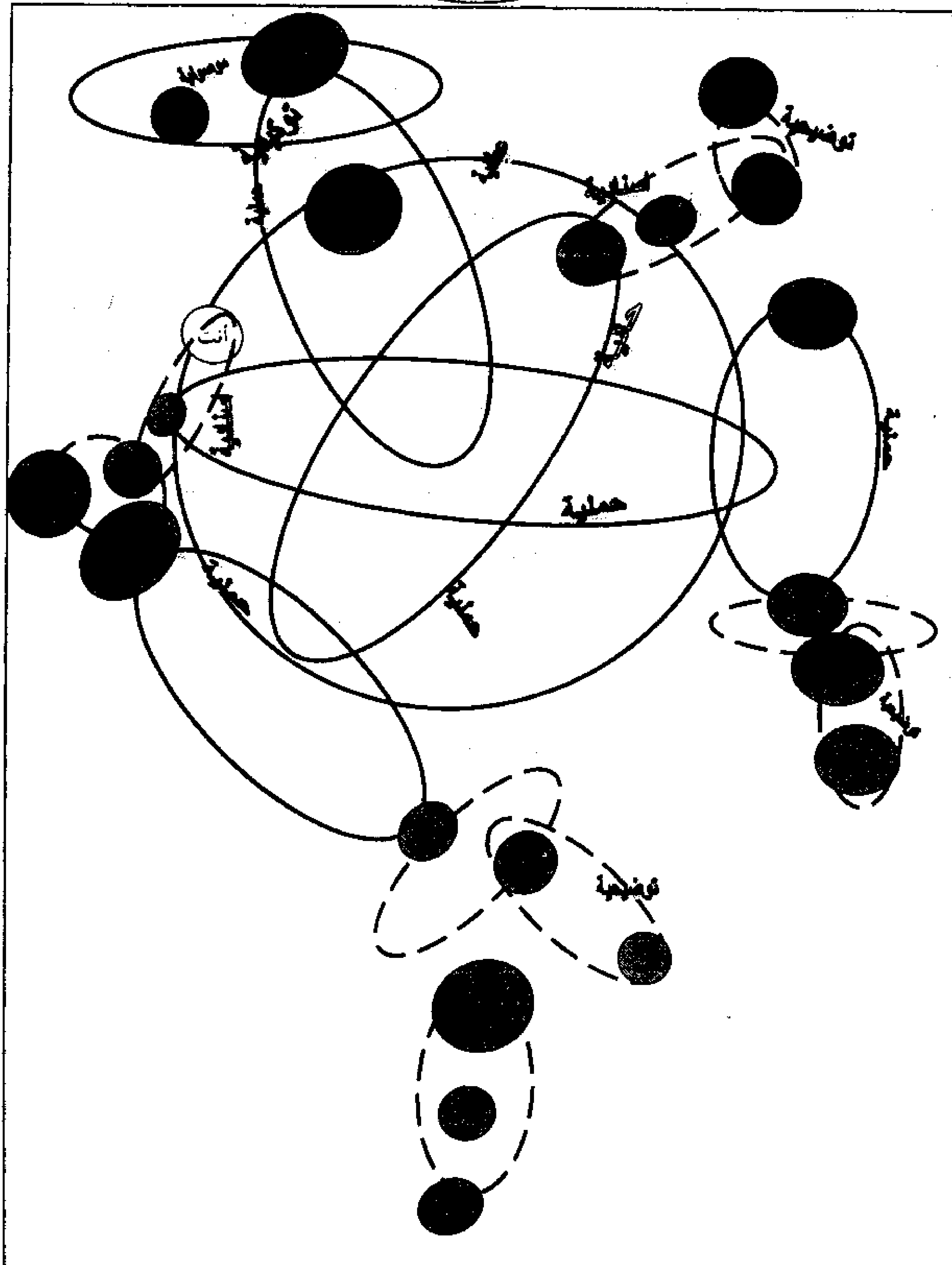
شكل رقم (٢)



إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله...

نلحظ من النموذج السابق أنّ ثمة ارتباطا حمليا بين كلّ تركيب من التراكيب التالية للتوكيد. فجملة (سواء عليهم) تصلح خبرا متمما لاسم (إنّ)، وكذلك تصلح جملة (أأنذرتهم ختم الله على قلوبهم) خبرا متمما لاسم (إنّ) أيضا، كما تصلح الجملة الثالثة (لم تنذرهم لا يؤمنون) خبرا متمما لاسم (إنّ)، بحيث تبقى الجمل متماسكة نحويا؛ فالأولى تماسكت مع اسم (إنّ) بالحمل، وتماسكت - فيما بينها - بالحمل أيضا. والثانية تماسك المبتدأ فيها داخليا بعلاقة الإسناد، وتماسك الخبر داخليا - فيما بين عناصره - بالإسناد أيضا، وتماسك مع المبتدأ بالحمل. وكذلك الثالثة تماسك المبتدأ فيها بالإسناد، وتماسك خبرها بالإسناد داخليا، ثم تماسك هذا المبتدأ مع الخبر بعلاقة الحمل. وميزة هذا التصور عن التصورات التي قدمها المفسرون والنحاة من بعد، أنّه يسمح بتماسك الآية الأولى في هذه الفقرة (إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) بالآية الثانية (ختم الله على قلوبهم...) تماسكا نحويا ودلاليا، وليس تماسكا نحويا فقط. مع ملاحظة أنّ من المفسرين من نفى التماسك النحوي في الآية الأولى، عندما جعل جملة لا يؤمنون تفسيرية لا محل لها من الإعراب. ونفى التماسك النحوي بينها وبين الآية التالية لها، عندما عدّ (لا يؤمنون) خبرا ثانيا. ويمكن للنموذج التالي أن يوضح الانقطاع النحوي إن أخذنا برأي المفسرين:

شكل رقم (٣)



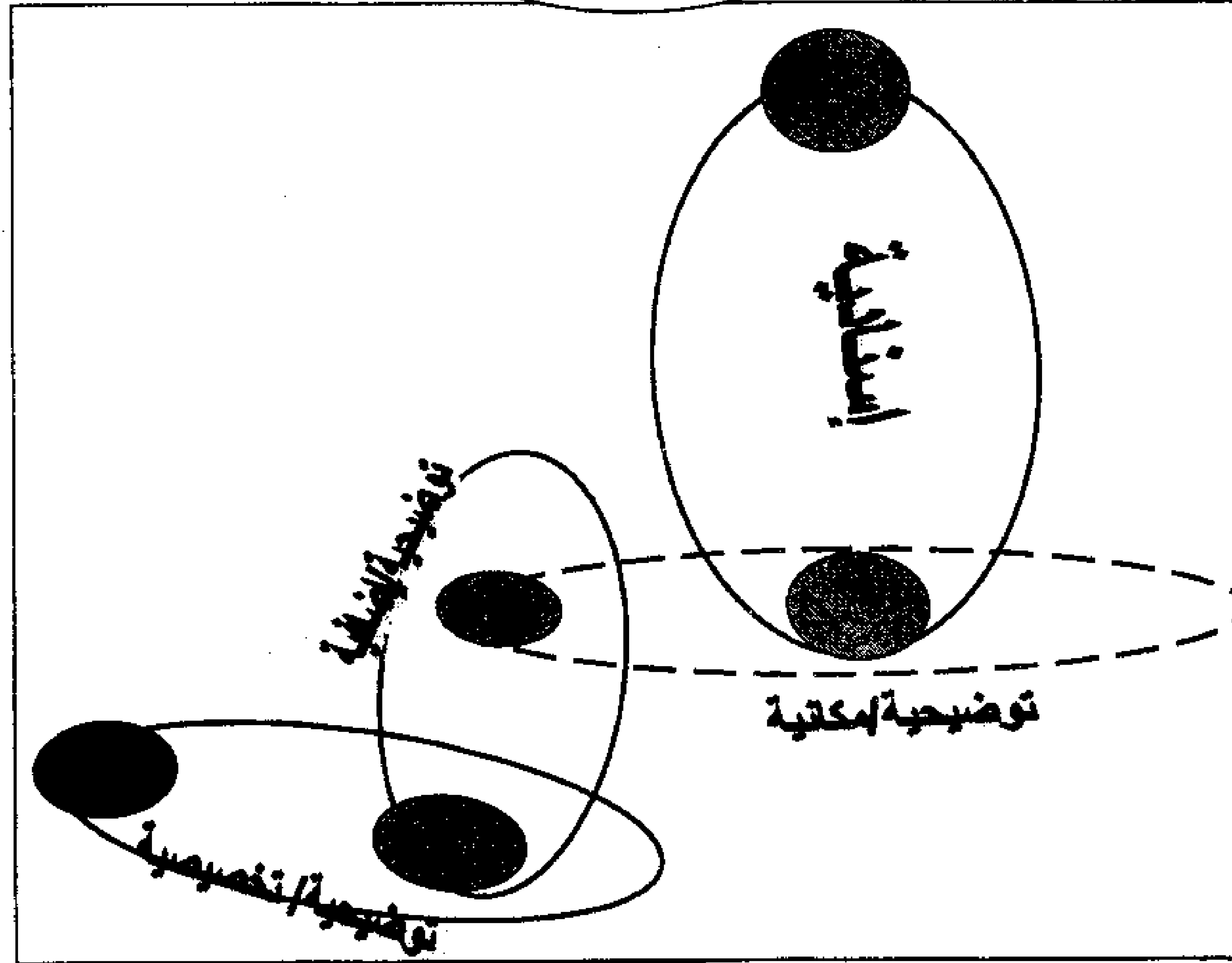
...أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون(٦) ختم الله...

العلاقة الثالثة: ربط آية(ختم الله...) بآية (إنّ الذين كفروا...)

سنحاول في هذه المرحلة أن نربط الآية الثانية من هذه الفقرة بما حولها؛ وذلك على مستويات، الأول: تماسك المتتالية الجملية (ختم الله على قلوبهم) بالآية السابقة. والثاني: تماسك (وعلى سمعهم) بجملة (ختم الله على قلوبهم)، والثالث: تماسك عبارة (وعلى سمعهم) بجملة (وعلى أبصارهم غشاوة) والرابع: تماسك جملة (وعلى أبصارهم غشاوة) بجملة (ولهم عذاب عظيم) ويمكن توضيح العلاقات التماسكية السابقة بالنماذج التالية:

(أ) ختم الله على قلوبهم...

شكل رقم (٤)

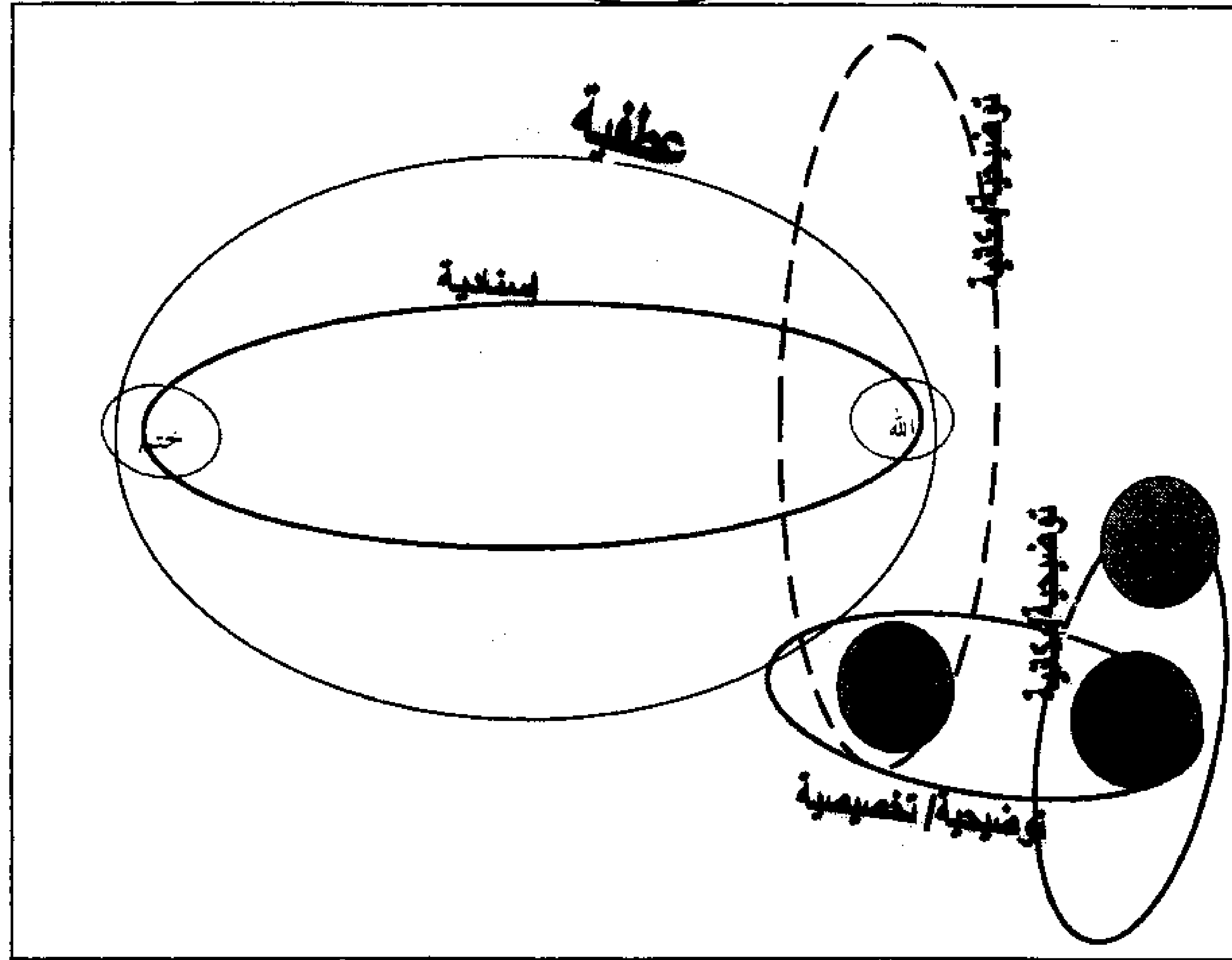


...ختم الله على قلوبهم...

نلحظ أن الجملة الأولى تكوّنت من علاقة إسناد، وشكلت بؤرة مركزية لما يليها من تراكيب، ولكن بالنظر إلى كونها جزءا من علاقة حملية سابقة، وقد وضحت في الشكل قبل السابق، حيث كانت هناك مسندا، فامتنع أن تعدّ بؤرة مركزية في ذاتها، ولكن يمكن عدّها جزءا من البؤرة أصلية على أنها عنصر من عناصرها على رأي، أو بؤرة تابعة للبؤرة الأصلية التي تشكلت في بداية الفقرة من التركيب الحملي (إنّ الذين كفروا سواء عليهم) على رأي آخر. وامتنع عدّها بؤرة عند من جعلها علاقة حالية توضح حال الكافرين على رأي ثالث.

(ب) تماسك (وعلى سمعهم) بجملة (ختم الله على قلوبهم)

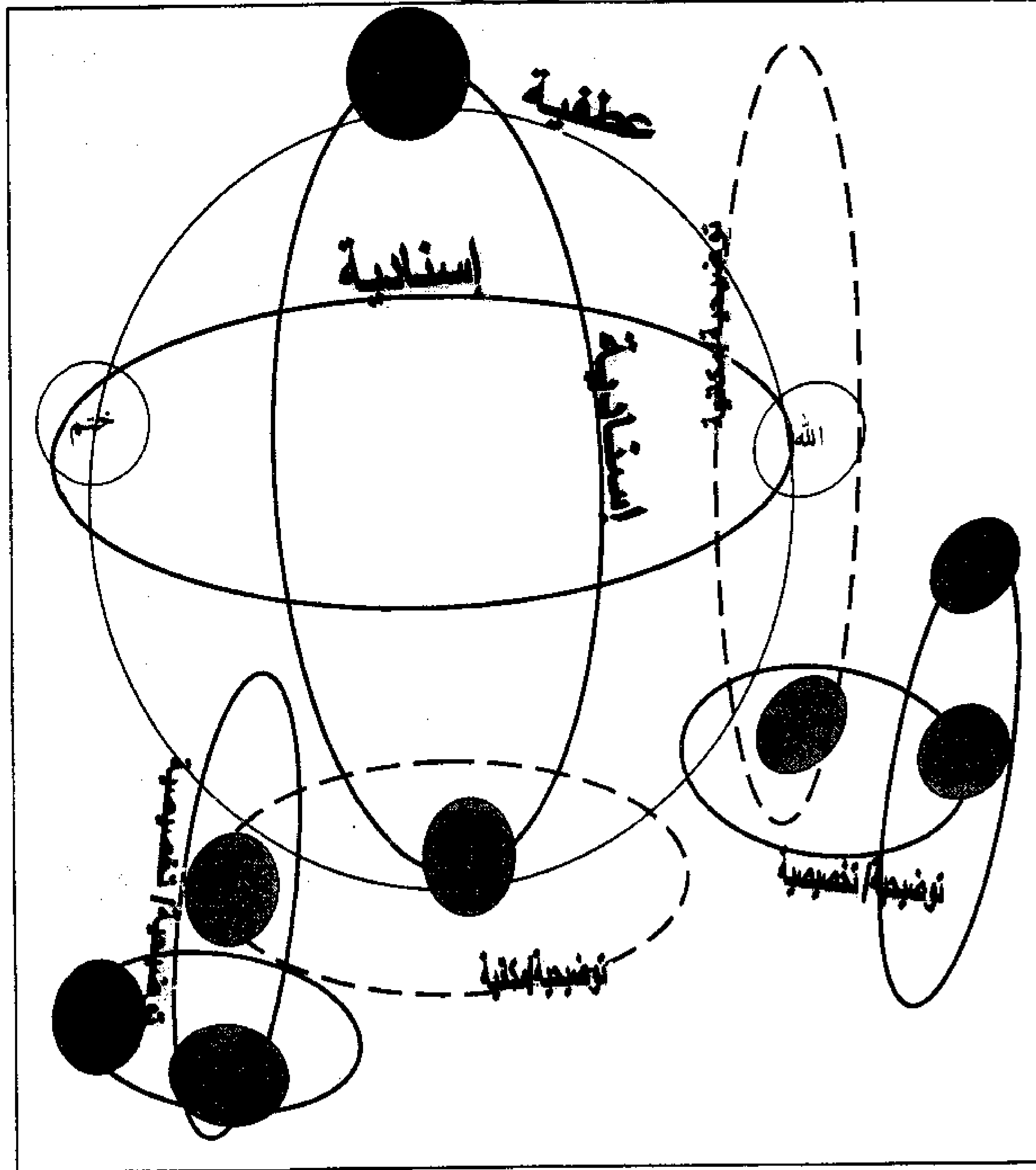
شكل رقم (٥)



...وعلى سمعهم...

ويمكن أن نوضح علاقات (ختم الله على قلوبهم)، بالتركيب التالي له، وهو تركيب (وعلى سمعهم) كما يلي:

شكل رقم (٦)



...ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم...

فالرابط للجملتين الأولى (ختم الله على قلوبهم) والثانية (وعلى سمعهم) هي العلاقة العطفية، أما الرابط للجملة الثانية داخليا فكانت علاقة الإسناد المحذوفة، المفهومة من وجود العطف، وتماسكت شبه الجملة (على سمعهم) فيما بين عناصرها بالعلاقة التوضيحية التخصيصية والملكية، وتماسكت مع الجملة بعلاقة توضيحية مكانية.

(ج): تماسك (وعلى سمعهم) بجملة (وعلى أبصارهم غشاوة)

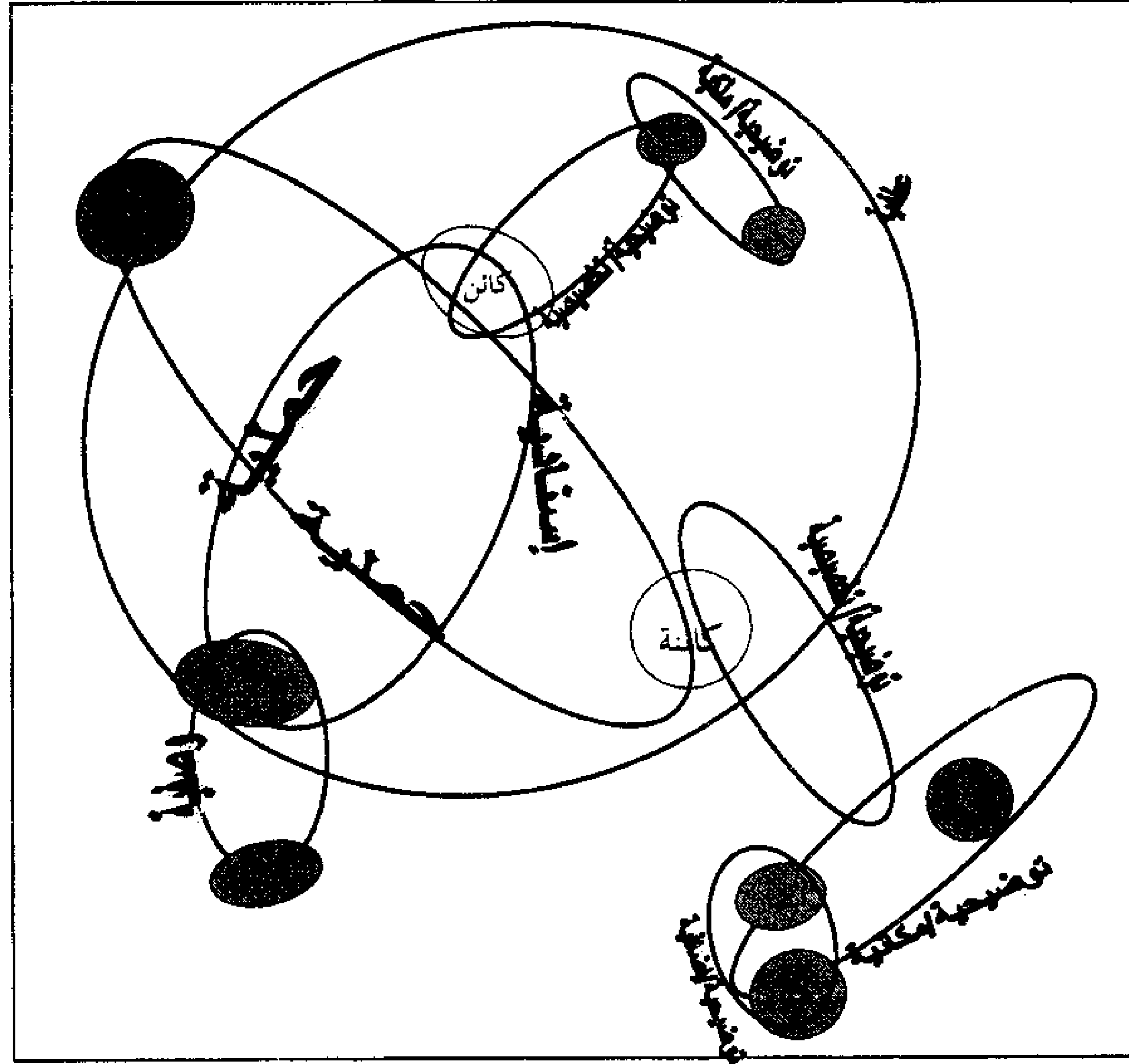
شكل رقم (٧)

...وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة...

نلحظ أنّ العلاقة الوحيدة التي تربط التركيب (وعلى أبصارهم غشاوة) مع التركيب السابق هي العلاقة العطفية. ويتماسك التركيب - فيما بين عناصره - بالعلاقة الحملية، أما العلاقات الموسعة للجملة، فلا تختلف عن تلك التي وسعت الجمل السابقة؛ أي وسِعت من خلال علاقة التوضيح بأنواعها.

(د) تماسك (وعلى أبصارهم غشاوة) بجملة (ولهم عذاب عظيم).

شكل رقم (٨)



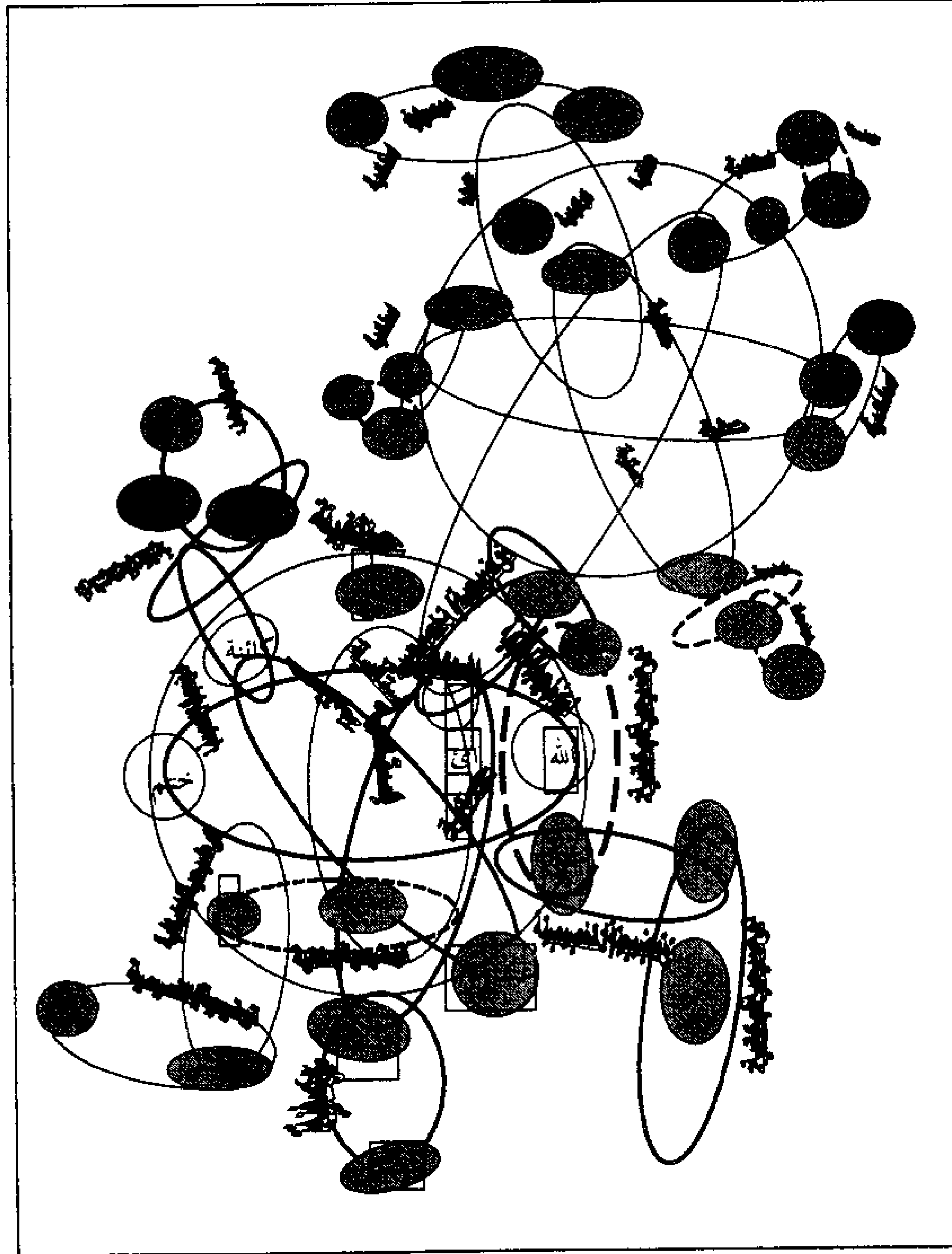
...وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم(٧)

نلحظ أنّ العلاقة التي جمعت هذا التركيب مع التراكيب السـابقة، هي علاقة العطف؛ في حين أنّ العلاقة التي جمعت عناصر التركيب - فيما بينها - هي علاقة الحمل، وبقيت العلاقات التوضيحية بأنواعها تعمل على توسعة الجملة.

تجميع العلاقات:

سنقوم بتجميع العلاقات السابقة لنبين أن الفقرة متماسكة فيما بين عناصرها تماسكا نحويا كما يلي:

شكل رقم (٩)



إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون(٦) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم(٧)

٣

ملحق

تحليل الفقرة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (٨) يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون (٩) في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون (١٠) وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون (١١) ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (١٢) وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون (١٣) وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون (١٤) الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون (١٥) أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين (١٦) مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون (١٧) صمّ بكم عمي فهم لا يرجعون (١٨) أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين (١٩) يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إنّ الله على كل شيء قدير (٢٠)

سيحاول هذا الملحق أن يفكك علاقات هذه الفقرة كما يلي:

١- آية {ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين} تبين ظاهر وباطن المنافقين.

٢- آية {يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون} تكشف علة تصرفهم الظاهر وفساده.

٣- آية {في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا} تكشف علة تصرفهم الباطن وفساده.

٤- آية {ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون} تكشف نتيجة السلوكين الظاهر والباطن.

٥- آية {وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون} تكشف صورة من صور سلوكهم الظاهر الذي له باطن فاسد.

٦- آية {وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أ نؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون} تكشف سلوكا ثانيا ظاهريا له باطن فاسد.

٧- آية {وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون} تكشف صورة من صور سلوكهم الظاهر الذي باطنه مستور.

٨- آية {أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين} توضح نتيجة هذه الفئة.

٩- آية {مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا

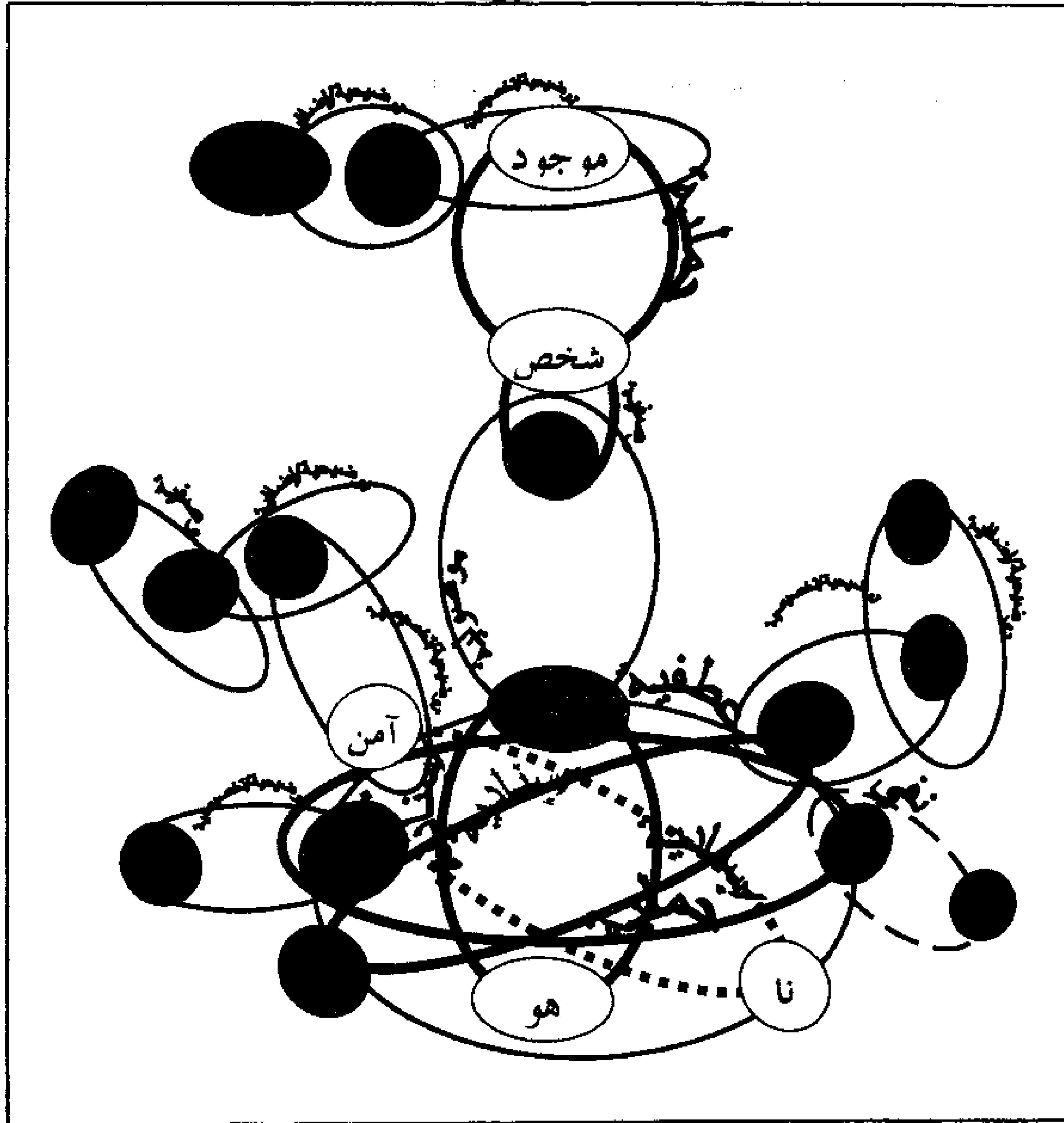
يرجعون} توضح صورة هؤلاء المنافقين في جانب من تصرفاتهم ونتيجتها.

١٠- آية {أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إنّ الله على كل شيء قدير} حيث توضح صورة ثانية من سلوك المنافقين في المجتمع ونتيجتها.

العلاقات النحوية داخل الفقرة:

العلاقة الأولى: ربط المتتالية الجملية الأولى داخليا وهي{ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين} وذلك من خلال النموذج التوضيحي أدناه :

شكل رقم (١)



ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين

نلحظ من النموذج السابق أنّ البؤرة الأصلية في المتتالية الجملية هي الجملة الاسمية{ومن الناس من} حيث افتتحت الفقرة وبقيت متماسكة مع المتتاليات الجملية التالية لها دون انقطاع. وعمل قانون التوسعة فيها ثلاث علاقات، الأولى: العلاقة التوضيحية التخصيصية؛ ذلك بتوضيح الخبر بـ(من)، والثانية: العلاقة التوضيحية الإضافية؛ ذلك بتوضيح (من) بـ(الناس)، والثالثة: العلاقة الوصفية بوصف المبتدأ النكرة بـ(من) الاسم الموصول. وعمل قانون الاقتصاد في ذات الجملة بإخفاء المبتدأ لدلالة الوصف عليه، وإخفاء الخبر لدلالة العلاقتين التوضيحيتين عليه.

أما المتتالية الجملية التابعة للوصف الذي هو تابع للبؤرة الأصلية فقد تم عمل قانون التوسعة من خلال جملة علاقات، كان أولها: العلاقة الموصولية حيث كانت جملة (يقول) صلة الاسم الموصول (من)، وثانيها: علاقة الإسناد حيث علقت الفعل (يقول) بفاعله(هو)، وثالثها: علاقة التوضيح التخصيصي، حيث كانت جملة (آمنا...) بما فيها من علاقات داخلية توضيح مخصص لقول القائل أما العلاقات داخل (آمنا...) فكانت على النحو التالي، أولها: علاقة الإسناد بين الفعل (آمن) والفاعل الضمير المتصل (نا)، وثانيها: علاقة التوضيح التخصيصي التي ربطت الحرف(ب) بالفعل (آمن)، وثالثها: علاقة التوضيح التخصيصي التي ربطت لفظ الجلالة(الله) بالحرف الباء.

أما المتتالية الجملية (وباليوم الآخر) فقد تماسكت مع الجملة السابقة لها بعلاقة العطف، وعلى المستوى الداخلي تماسكت عناصر الجملة فيما بينها بالعلاقات التالية: أولها: علاقة الإسناد بين الفعل (آمن) وفاعله، وثانيها: علاقة التوضيح التخصيصي بين الفعل (آمن) والحرف

الباء، وثالثها: علاقة التوضيح الإضافي بين (اليـــوم) والحـــرف البـــاء، ورابعها: علاقة الوصف بين (الآخر) وموصوفه (اليـــوم)، هـــذا علـــى مستوى قانون التوسعة. أما على المستوى الآخر؛ قانون الاقتصاد، فقد تـم إخفاء التركيب الإسنادي (آمنا) لدلالة العطف عليه

أما المتتالية الجملية (وما هم بمؤمنين) فقد تماسكت مع الـــتركيب الجملي السابق بعلاقة الحال. أما على المستوى الداخلي فقد نشـــأت بيـــن عناصرها العلاقات الموسعة التالية: أولها: علاقة الحمل بيـــن الضمـــير المنفصل(هم) واسم الفاعل (مؤمنين)، وثانيها: علاقة نفي العلاقـــة بيـــن المبتدأ والخبر التي تشكلت من وجود (ما + الباء).

العلاقة الثانية: ربط المتتالية الجملية السابقة بالمتتالية الجملية اللاحقة وهي:{ يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون} وذلك من خلال نموذج توضيحي، يوضح علاقات المتتالية الداخلية، يربطها بالمتتالية السابقة لها، وذلك كما يلي:

شكل رقم (٢)

يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون

نلحظ أنّ المتتالية الجملية السابقة مركبة من أربع جمل، الأولى{ يخادعون الله}، والثانية{والذين آمنوا}، والثالثة{ وما يخدعون إلا أنفسهم}، والرابعة {وما يشعرون}. وقد تم عمل قانون التوسعة في كل جملة من خلال ما يلي:

في الجملة الأولى عمل القانون من خلال علاقتين داخليتين وعلاقة خارجية، الأولى هي علاقة الإسناد بين الفعل (يخادع) والضمير المتصل (الواو)، والثانية علاقة التوضيح التخصيصي بين الفعل(يخادع) والمفعول به لفظ الجلالة(الله). وأما العلاقة الخارجية فهي علاقة الحال، إذ يعدُّ التركيب الجملي كاملا حالا. وعمل قانون الاقتصاد في هذه المتتالية الجملية من خلال إخفاء الأداة الماسكة للتركيبين السابق واللاحق؛ ذلك أنه مفهوم من سياق اللفظ.

أما المتتالية الجملية الثانية، فقد عمل بها قانون التوسعة من خلال العلاقة العطفية التي ربطت المتتالية الجملية الحالية بسابقتها من خلال إيجاد العلاقة الإسنادية بين الفعل وفاعله، وإيجاد علاقة التوضيح التخصيصي بين الفعل ومفعوله، والعلاقة الوصفية بين المفعول والاسم المبهم(الذين)، والعلاقة الموصولية بين (الذين) والتركيب الإسنادي التالي له (آمنوا) الذي عملت فيه الربط العلاقة الإسنادية بين الفعل (آمن) وفاعله الضمير المتصل واو الجماعة. وعمل قانون الاقتصاد من خلال إخفاء التركيب الإسنادي الأول (يخادعون) ومفعوله لأمرين: لدلالة العطف على الفعل والفاعل، ودلالة الموصول على المفعول.

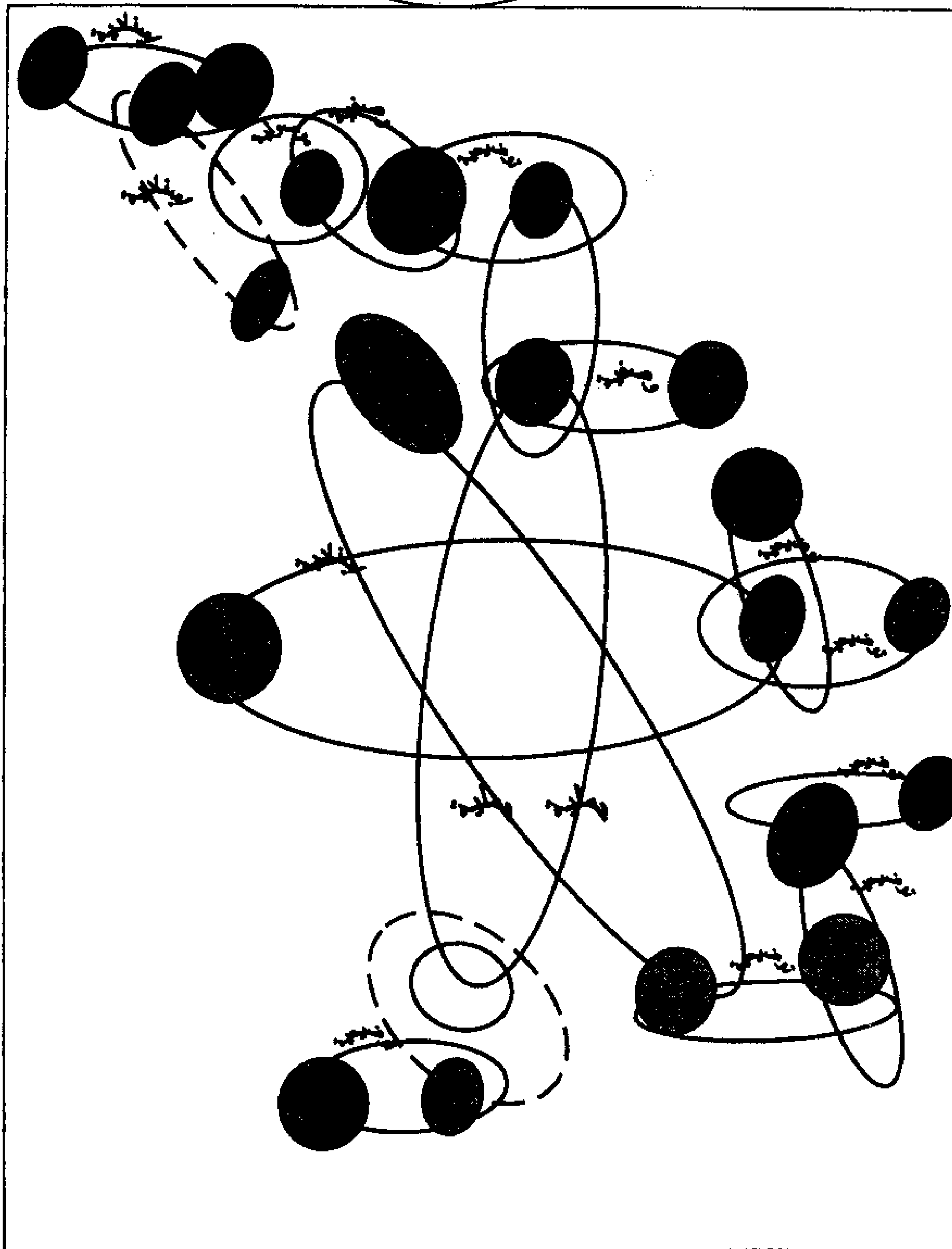
أما المتتالية الجملية الثالثة، فقد عمل بها قانون التوسعة من خلال ربط الجملة الناشئة بالتركيب السابق من خلال العلاقة الحالية. وقد كان التركيب مترابطا على المستوى الداخلي من خلال علاقة إسنادية منفية،

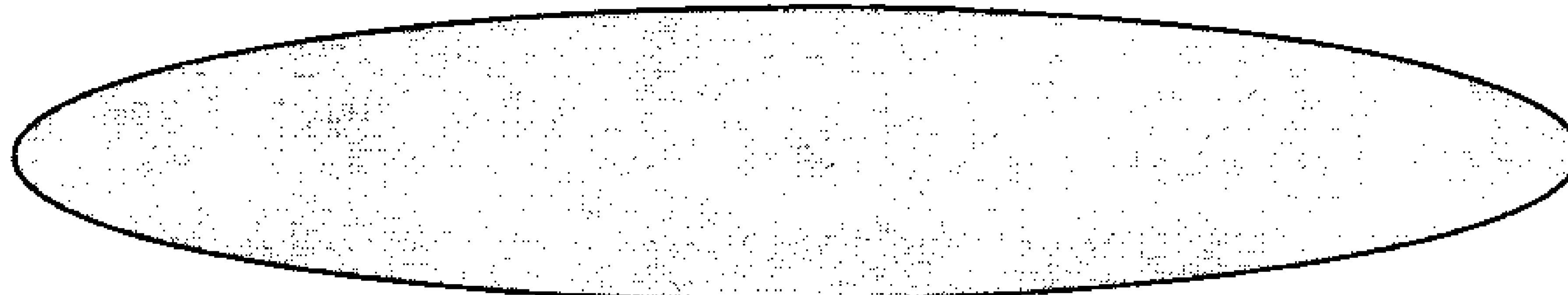
وعلاقة توضيحية تابعة لها محصورة بوجود حرفين(مـــا/ إلا)، وعلاقــة توضيحية/تخصيصة بين الضمير المتصل (هم) والاسم (أنفس). وعمـــل قانون الاقتصاد من خلال استخدام حروف للتعبير عن مفاهيم كـــالحصر والنفي والإضمار.

أما المتتالية الجملية الرابعة، فقد عمل قانون التوسعة على تشكيل علاقة حالية ثانية ترابطت هذه الحال الجديدة علـــى المســتوى الداخلـــي بالعلاقة الإسنادية النافية. وعمل قانون الاقتصاد من خلال استخدام حرف النفي للتعبير عن فكرة النفي دون الفعل، واستخدام الإضمـــار (الــواو)، وإخفاء التوضيح المتعلق بالفعل لدلالة الكلام السابق عليه؛ إذ إنّ قولــه(لا يشعرون) مفهوم منه (لا يشعرون بالأمر).

العلاقة الثالثة: ربط المتتالية الجملية السابقة بالمتتالية الجمليـــة اللاحقــة وهي: {في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بمـــا كـــانوا يكذبون} وذلك من خلال نموذج توضيحي يوضـــح علاقـــات المتتاليـــة الداخلية ويربطها بالمتتالية السابقة لها، وذلك كما يلي:

شكل رقم(٣)



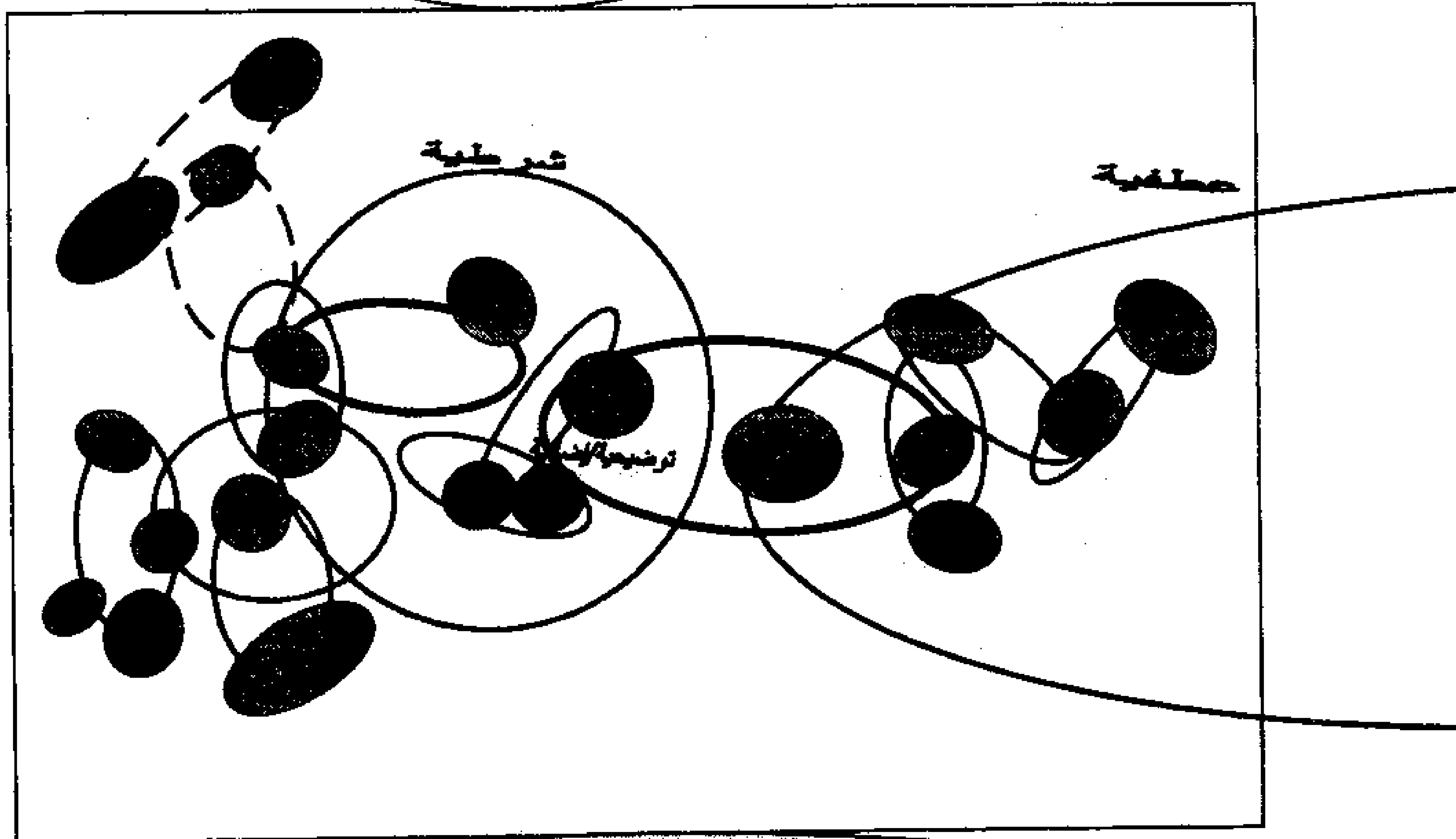


نلحظ من خلال النموذج السابق أنّ العلاقة التي ربطت المتتالية الجملية الحالية بالسابقة هي العلاقة الحالية؛ إذ جملة (في قلوبهم مرض) بيان لحال هؤلاء الجماعة الذين يقولون: آمنا وهم لا يؤمنون. وتماسكت عناصر الجملة فيما بينها داخليا بالعلاقة الحملية، وتوسعت الجملة بالعلاقة التوضيحية المكانية، فالتوضيحية الإضافية، فالتوضيحية التخصيصية. واقتصدت المتتالية الجملية من خلال استراتيجية الإخفاء؛ إذ تم إخفاء الخبر لدلالة العلاقة الظرفية عليه، واستخدم أيضا استراتيجية الإضمار؛ إذ استخدم الضمير المتصل (هم)، واستخدم استراتيجية الترميز كذلك؛ حيث رمز بحرف ليدل على مفهوم المكان عندما استخدم(في). وارتبطت جملة (في قلوبهم مرض) الحالية مع الجملة التالية (فزادهم...) بالعلاقة العطفية، وتماسكت المتتالية الجملية فيما بينها داخليا من خلال العلاقات التالية: أولها: استعمال علاقة الإسناد بين الفعل(زاد) والفاعل (الله)، ثانيها: استعمال علاقتي توضيح تخصيصي بين الفعل والمفعول الأول (هم) المفعول الثاني (مرضا). وقد عمل قانون الاقتصاد من خلال الإضمار بجعل المفعول ضميرا متصلا(هم). ثم كانت المتتالية الجملية التالية (ولهم ...) حيث تماسكت مع المتتالية السابقة بالعلاقة الحالية، وتماسكت فيما بينها بالعلاقة الحملية بين المبتدأ (عذاب) والخبر (كائن)، وتعلق الخبر مع الحرف (لـِ) بعلاقة توضيح تخصيصي، وتعلق الحرف بما يليه؛ أي (هم) بعلاقة توضيح إضافي. أما المبتدأ (عذاب) فقد تعلق به لفظ (أليم) بعلاقة وصفية، وتعلق الحرف (بـِ) بما قبله بعلاقة توضيح سببي، وبما بعده؛ أي (الشيء) بعلاقة توضيح تخصيصي، وتعلق (الشيء) بـِ (ما) بعلاقة وصفية، وتعلقت (ما) بما بعدها بعلاقة

موصولية. وتعالقت الجملة صلة الموصول داخليا بمجموعــــة علاقـــات، أولها العلاقة الإسنادية بين (كان) واسمها / فاعلـــها واو الجماعـــة (وا)، وتعالق اسمها وخبرها بالعلاقة الحملية، وخبرها فيما بين عناصره داخليـا بعلاقة الإسناد بين (يكذب) و(الواو). وهذه هي العلاقـــات التـــي شـــكلت قانون التوسعة. ونلحظ بالمقابل أن قانون الاقتصاد عمل في المتتالية مـــن خلال الإضمار (هم/ وا/ و) والإخفاء (كائن/ الشـــيء) والترمـــيز (و= حال/ بـــ = السبب) وهكذا.

العلاقة الرابعة: علاقة المتتالية{ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون} بما قبلها وبذاتها داخليا.

شكل رقم (٤)

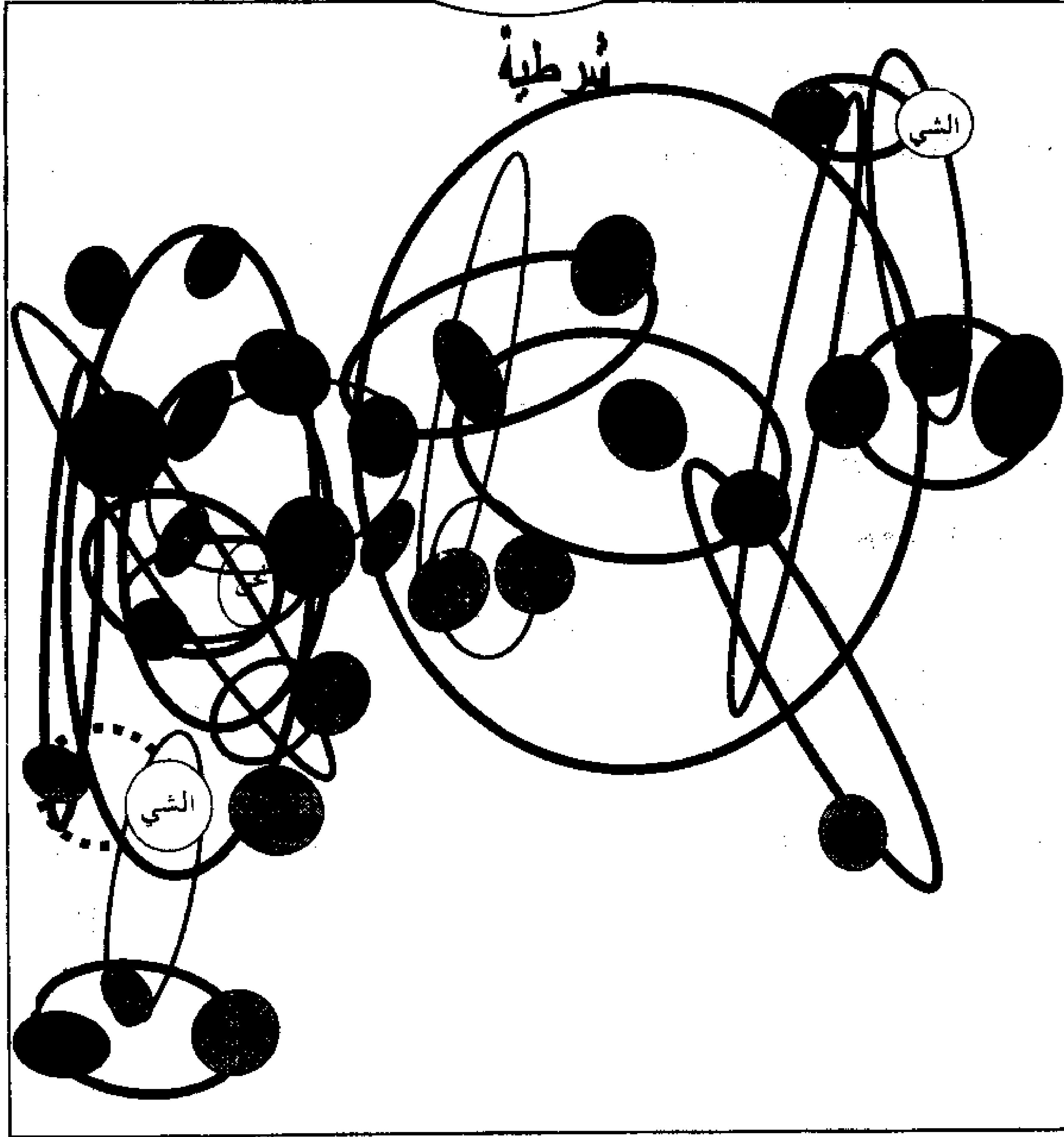


وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحـــن مصلحـــون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون

نلحظ أنّ العلاقة الحالية ما تزال توسع البــؤرة التابعــة بربــط متتاليات جملية جديدة بها، على المستوى الخارجي. أما علـــى المســتوى الداخلي، فقد بدأت هذه المتتالية بعلاقة توضيحيــة شــرطية، وتماســكت العلاقة التي تحتوى فعلا (قيل) مع ما يليها؛ أي مع نائب الفاعل جملة (لا تفسدوا في الأرض) بعلاقة إسنادية، وتماسك المفعول الجملة داخليا بثلاث علاقات، الأولى: إسنادية بين الفعل (تفسد) والفاعل واو الجماعـــة (وا)، والثانية: علاقة توضيحية مكانية بين الفعل والحرف (في)، والثالثة: علاقة توضيحية تخصيصية بين الحرف (في) والاســم (الأرض). وتماســكت الجملة التالية (قال...) بما سبقها بعلاقة توضيحية شرطية، وفيمــا بينــها بعلاقات، هي: العلاقة الإسنادية بين الفعل (قال) والفــاعل واو الجماعــة (وا)، والعلاقة التوضيحية الحصرية بين الفعل ذاته والمفعول، وتماســك المفعول الجملة بعلاقة الحمل. وتعالقت الجملة التالية مع الجملة الســابقة بعلاقة التوكيد على المستوى الخارجي، وفيما بينها بعلاقتيــن، الأولــى: علاقة الحمل بين (هم) الأولى والجملة التالية (هم المفســدون)، وعلاقــة حمل ثانية بين (هم) الثانية والاسم (المفسدون). وتماسكت الجملة الثالثــة مع السابقة بعلاقة التوضيح الاستدراكي، وتماسكت فيما بين عناصرهـــا بعلاقة الإسناد.

العلاقة الخامسة: متتالية {وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أ نؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون}

شكل رقم (٥)

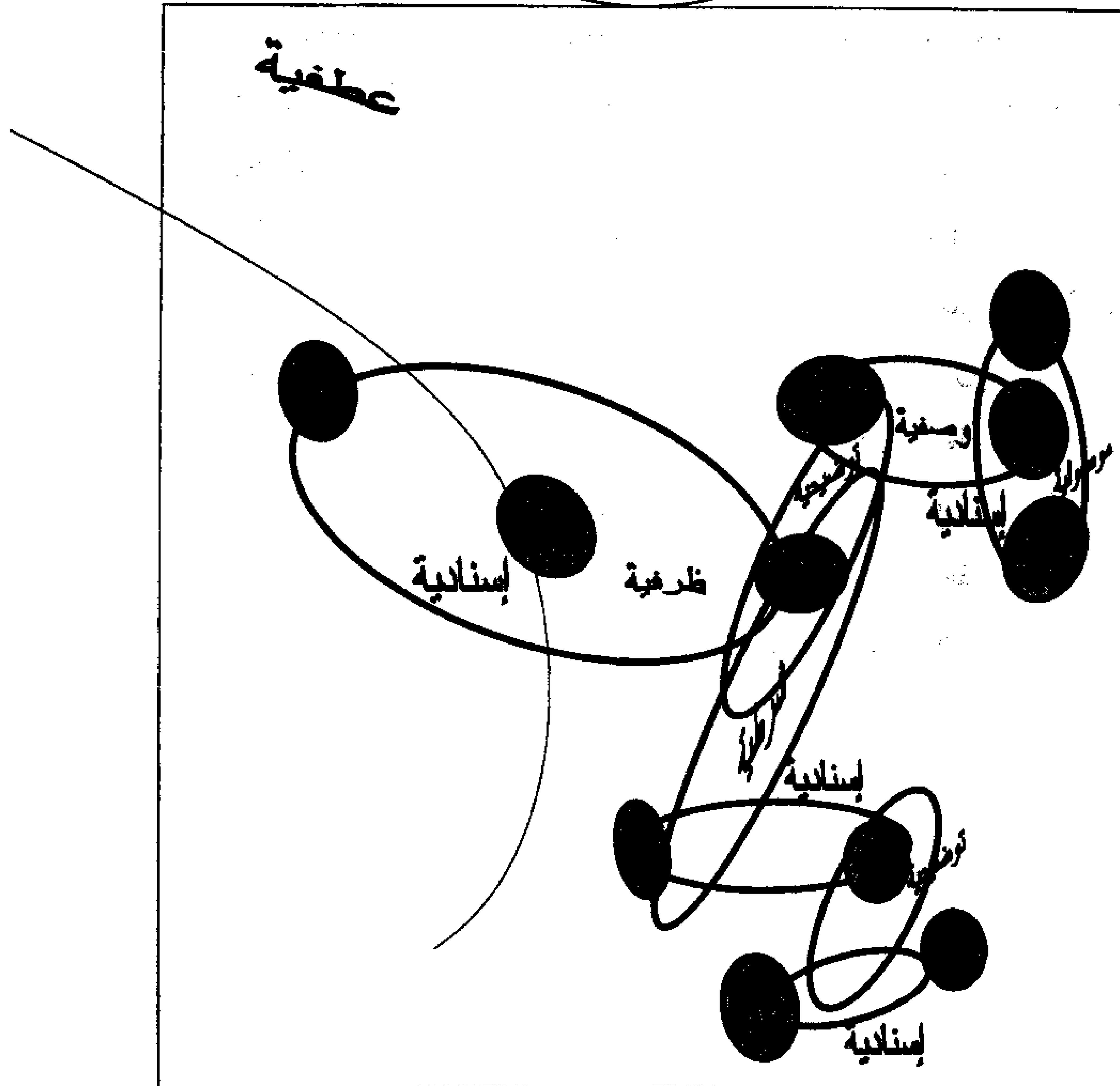


وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون

نلحظ أنّ العلاقة التي ربطت المتتالية الجملية الحالية بسابقتها هي العلاقة العطفية؛ فقد عطفت متتالية حالية على متتالية حالية سابقة لها، وبقت القوانين تعمل ذات العمل في (وإذا قيل لهم آمنوا) كما في (وإذا قيل لهم لا تفسدوا) وبدأ الخلاف بين المتتاليتين في (كما آمن الناس) والكاف فيها توضيح تشبيهي، والتركيب كله توضيح تخصيصي، وعلاقته بما يليه (الشيء) علاقة توضيح إضافي، وعلاقة (الشيء) بما يليه (ما) علاقة وصفية، وعلاقة (ما) بما يليها علاقة موصولية، وعلاقة الصلة فيما بينها علاقة إسناد بين الفعل (آمن) والفاعل (الناس)، وعلاقة المتتالية الجزئية التالية بما سبقها علاقة توضيح شرطي. أما علاقة عناصرها داخليا فتمت على النحو التالي، أولا: علاقة الإسناد بين الفعل (قال) والفاعل واو الجماعة (وا). ثانيا: علاقة التوضيح الاستفهامي بين الفعل (قال) والجملة التالية (أنؤمن كما ...) وعلاقة إسناد بين الفعل الجديد (نؤمن) وفاعله الضمير المستتر (نحن)، وعلاقة التوضيح تشبيهي بين الفعل والكاف. ثم تعود باقي العلاقات للتماثل مع التركيب السابق له والنموذج يوضح الأمر.

العلاقة السادسة: علاقات المتتالية الجملية { وإذا لقوا الذين آمنوا قـــالوا آمنا}

شكل رقم (٦)

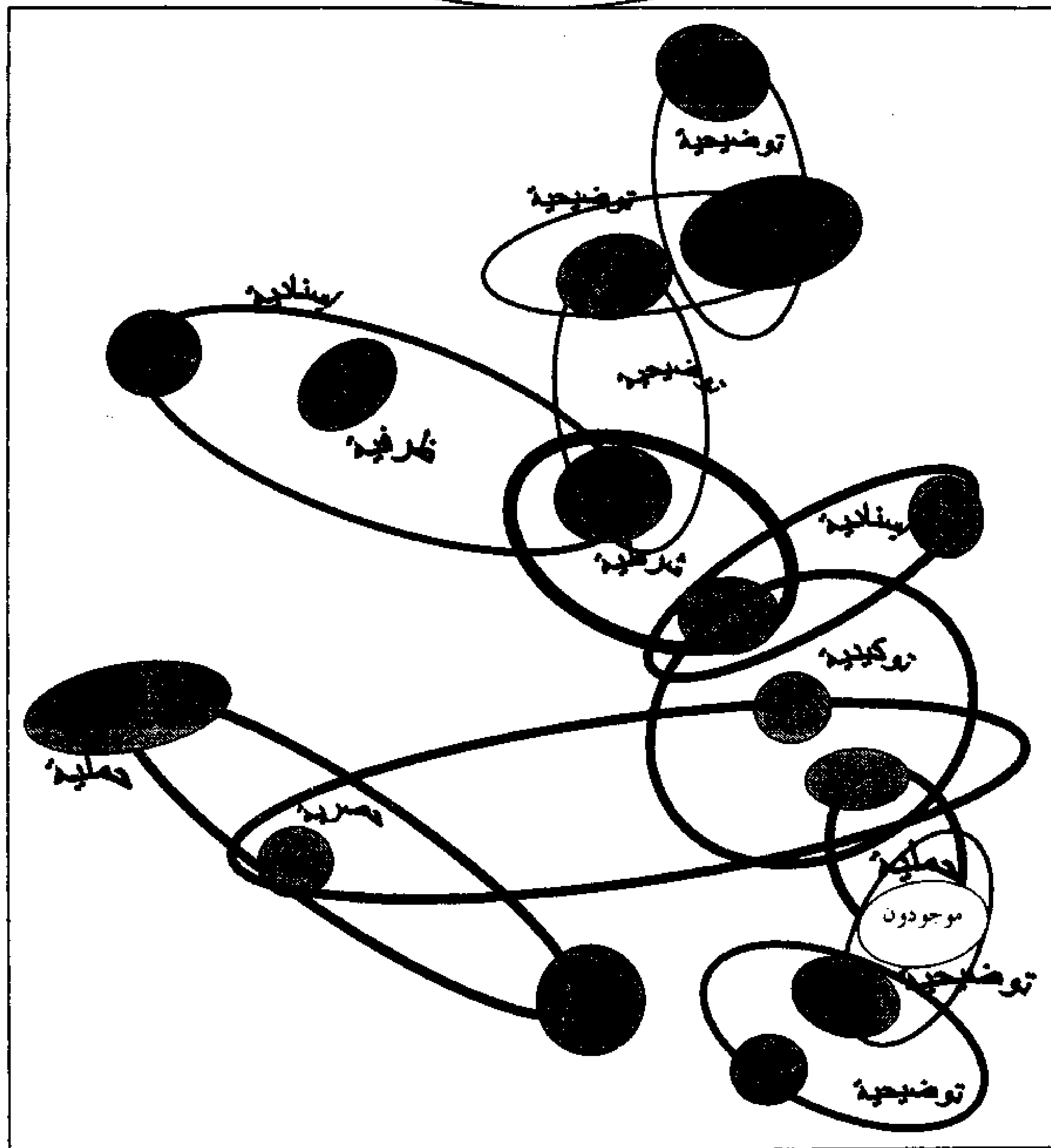


وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا..

نلحظ أن العلاقة التي ربطت المتتالية الجملية الحاليـــة بالمتتاليـــة السابقة هي العلاقة العطفية؛ في حين أنّ العلاقات التي ربطت المتتاليـــــة داخليا هي ما يلي: أولا: العلاقة التوضيحية الشرطية بين الظـــرف (إذا) والفعل (لقي)، ثم العلاقة الإسنادية بين الفعل (لقـــي) والفـاعل الضمــير المتصل واو الجماعة (وا)، ثم العلاقات التوضيحية التخصيصية بين الفعل ولفظ (الجماعة)، والعلاقة الوصفية بين (الجماعة) والاســم الموصــول، والعلاقة الموصولية الاسم الموصول الجملة الصلة. أمـــا جملـــة الصلـــة فتماسكت فيما بينها بالعلاقة الإسنادية بين الفعل والفاعل. ثم كانت جملـــة (قالوا...) التي ارتبطت مع الجملة السابقة بالعلاقة التوضيحية الشـــرطية، وفيما بينها بالعلاقات التالية: علاقة الإسناد بين الفعل والفاعل، وعلاقـــة التوضيح التخصيصي مع الجملة الفعلية، التي ترابطت فيما بينها بالإسـناد بين فعلها والفاعل.

العلاقة السابعة: {وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون}.

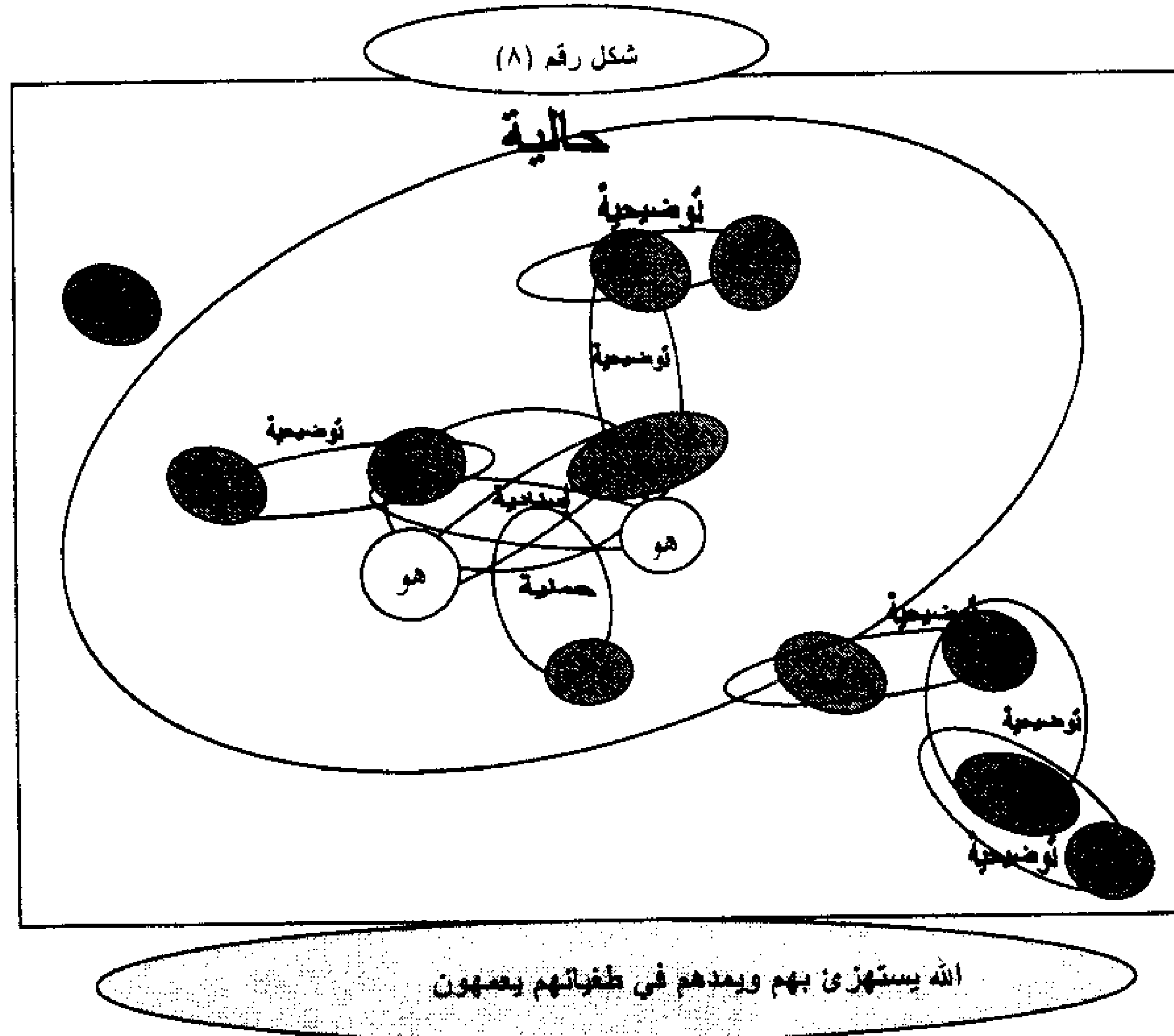
شكل رقم (٧)



وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون

نلحظ أن المتتالية تماسكت مع المتتالية السابقة بالعلاقة العطفية، وتماسكت فيما بينها بذات العلاقات السابقة، فيما عدا موضح الفعل (خلا)؛ إذ هو هنا العلاقة التوضيحية المكانية، ثم الإضافية، ثم التخصيصية، وظلت العلاقة التوضيحية الشرطية هي الرابط بين المتتاليتين السابقة والحاضرة، وكذلك كان الرابط الأول لجملة (قالوا) هو العلاقة الإسنادية بين الفعل والفاعل، واختلف الموضح هنا أيضا؛ إذ صار جملة اسمية العلاقة الجامعة بين عنصريه علاقة حملية، وتوسعت الجملة الحملية بالعلاقة التوضيحية المكانية، ثم العلاقة التوضيحية المخصصة.

العلاقة الثامنة: { الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون}



نلحظ أن العلاقة التي جمعت هذه المتتالية الجملية مع سابقتها هي العلاقة الحالية؛ حيث كانت جملة (الله يستهزئ ...) حالا مبينا لحقيقة وضعهم، لا لما يظنون أن حالهم عليه. وتماسكت عناصر المتتالية فيما بينها من خلال العلاقة الحملية بين المبتدأ والخبر، وتماسك الخبر الجملة فيما بين عناصره الفعل (يستهزئ) والفاعل (هو) بالعلاقة الإسنادية، وتماسكت الباء مع الفعل بالعلاقة التوضيحية التخصيصية، والحرف بالضمير المتصل بالعلاقة الإضافية. أما المتتالية التالية فقد تماسكت مع هذه المتتالية بالعلاقة العطفية.

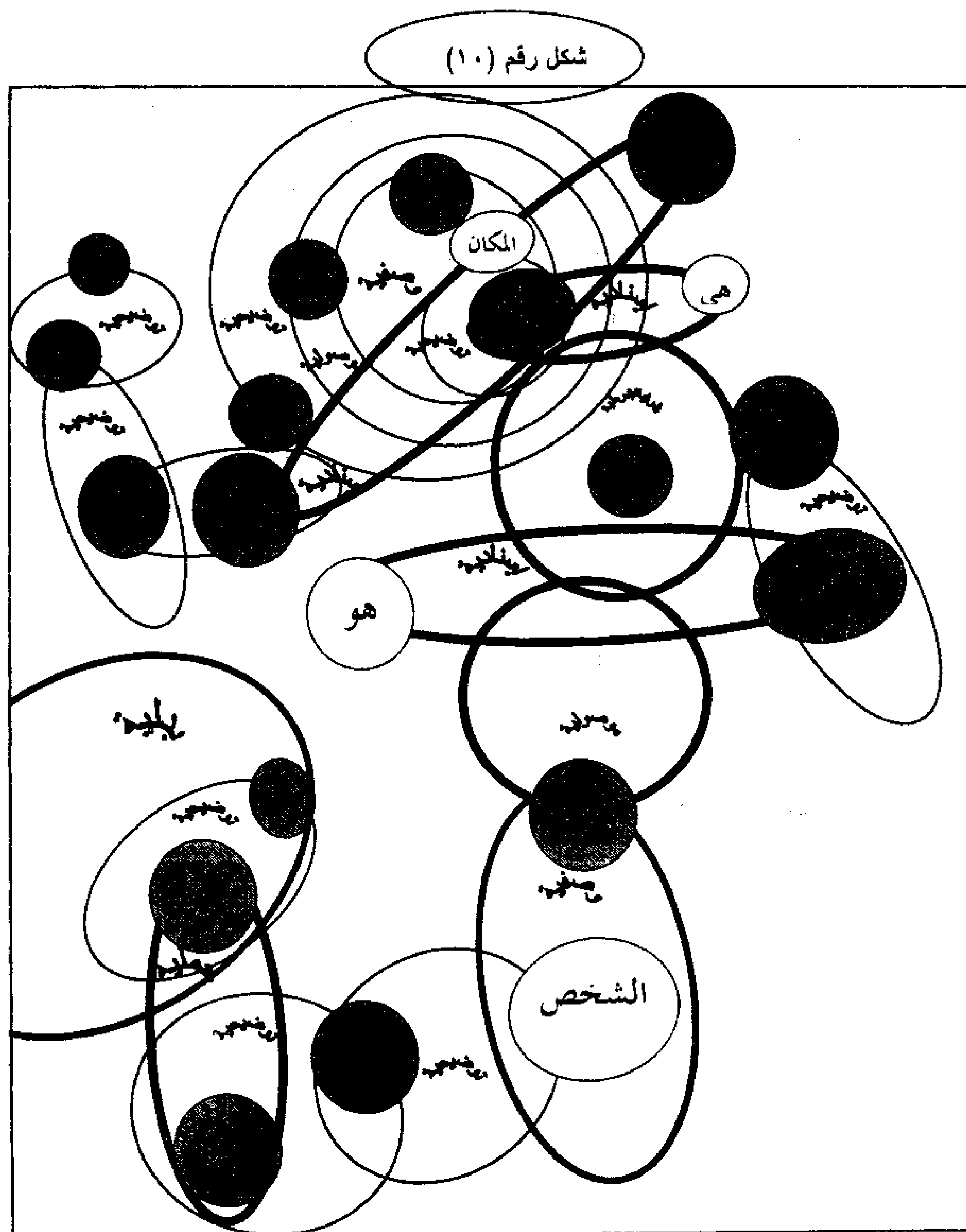
العلاقة التاسعة: {أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين}.

شكل رقم (٩)

أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين

نلحظ أن المتتالية ترابطت مع سابقتها بالعلاقة الحالية، وتماسكت داخليا من خلال العلاقة الحملية بين المبتدأ (أولئك) والخبر (الجماعة)، وتماسك الخبر مع ما يليه وهو الاسم الموصول (الذين) بالعلاقة الوصفية، وتماسك الاسم الموصول بدوره مع الجملة التالية له بالعلاقة الموصولية، وتماسكت الجملة الصلة فيما بينها بالعلاقة الإسنادية بين الفعل (اشترى) والفاعل (وا) واو الجماعة، وتماسك الفعل مع مفعوله (الضلالة) بالعلاقة التوضيحية التخصيصية، وكذلك مع حرف الجر الباء بذات العلاقة، وتماسك الحرف مع الاسم التالي (الهدى) بالعلاقة الإضافية، وتماسكت المتتالية التالية مع السابقة بالعلاقة العطفية، وفيما بينها داخليا بالعلاقات التالية، أولها العلاقة الإسنادية المنفية بين الفعل (ربحت) والفاعل (تجارة)، والعلاقة التوضيحية التخصيصية بين الاسم والضمير المتصل (هم). وتماسكت المتتالية التالية (وما كانوا...) مع السابقة (فما ربحت...) بالعلاقة العطفية، وفيما بينها داخليا بالعلاقات التالية: العلاقة الإسنادية المنفية بين الفعل (كان) وفاعله /اسمه الضمير المتصل (وا)، والعلاقة الحالية بين الفعل والاسم (مهتدين) على رأي، وبالحمل بين المبتدأ اسم (كان) وخبره، على رأي آخر.

العلاقة العاشرة: علاقة المتتالية الجملية {مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم}.

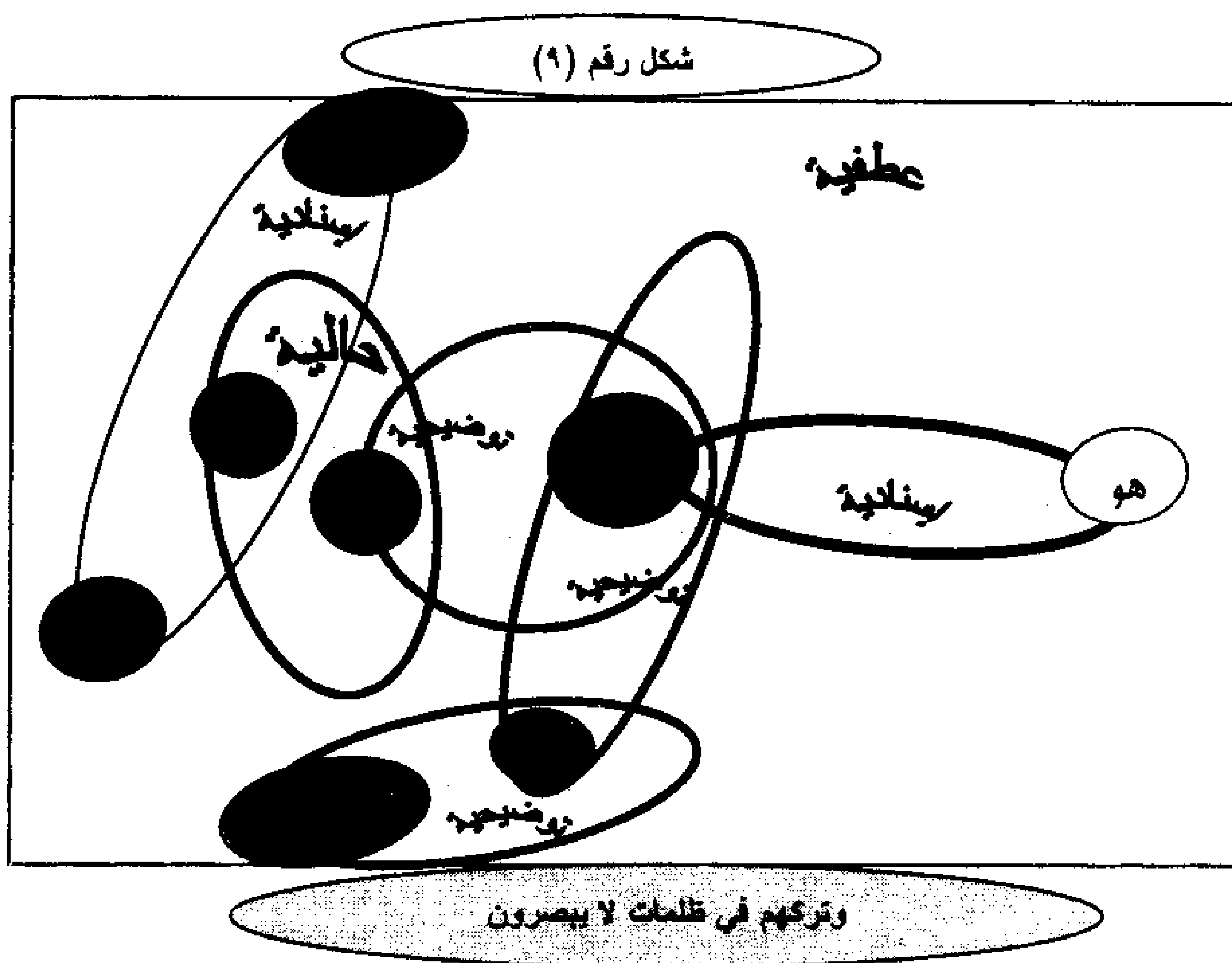


شكل رقم (١٠)

مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم ...

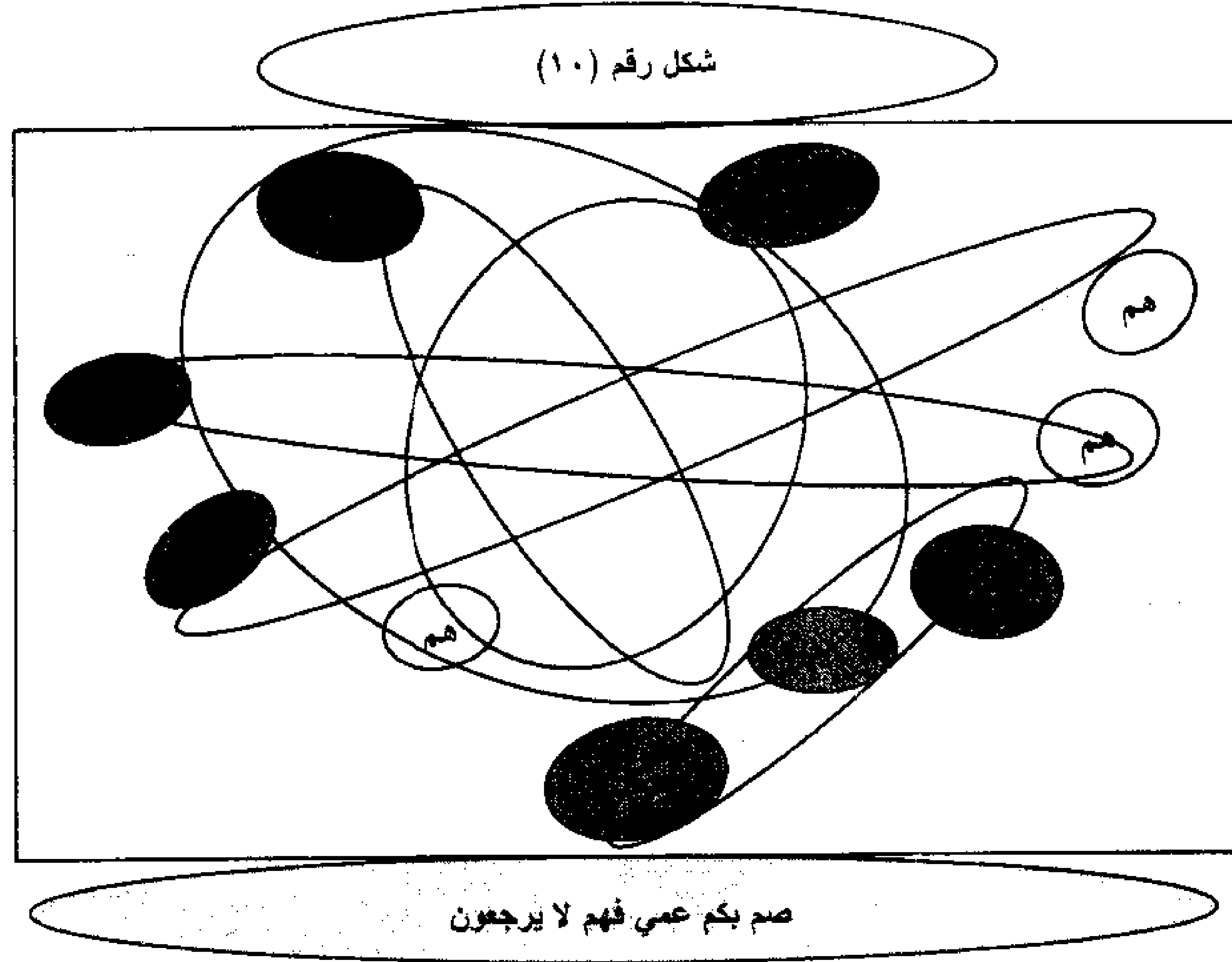
نلحظ أن المتتالية الجملية السابقة تكونت نتيجة علاقات، أولها: العلاقة البدلية التي ماسكت المتتالية الحاضرة مع المتتالية السابقة؛ بمعنى أنّ الجملة (مثلهم كمثل...) بدل من جملة (أولئك الذين اشتروا...)، وثانيها: مجموع العلاقات الداخلية التي ماسكت جمل المتتالية فيما بين عناصرها؛ فتماسك المبتدأ (مثل) مع الخبر (كـ) بالعلاقة الحملية، وتماسك الضمير المتصل بالمبتدأ بالعلاقة التوضيحية التخصيصية، وتماسك الخبر مع (مثلِ) بالعلاقة التوضيحية الإضافية، وتماسك لفظ (الشخص) معها بذات العلاقة؛ أي التوضيحية الإضافية، وتماسك مع الاسم الموصول (الذي) بالعلاقة الوصفية، وتماسك الاسم الموصول مع الجملة التالية (استوقد...) بالعلاقة الموصولية؛ في حين تماسكت الجملة داخليا بعلاقة الإسناد بين الفعل (استوقد) والفاعل (هو)، ومع المفعول بالعلاقة التوضيحية التخصيصية. وتماسك التركيب مع التركيب اللاحق (فلما أضاءت...) بالعلاقة العطفية، وتماسكت (لما) مع الجملة (أضاءت...) بالعلاقة التوضيحية الزمانية/الظرفية، وتماسك الفعل (أضاءت) مع فاعله (هي) بالعلاقة الإسنادية، وتماسك مع مفعوله (المكان) بالعلاقة التوضيحية التخصيصية، وتماسكت (ما) مع (المكان) بالعلاقة الوصفية، ومع الظرف (حول) بالعلاقة الموصولية، وتماسكت الظرف داخليا بعلاقة حملية بمحذوف مبتدأ، وبما يليها؛ الضمير المتصل بعلاقة توضيحية إضافية، وتماسك التركيب التالي (ذهب الله...) مع التركيب السابق بعلاقة توضيحية شرطية، وتماسك داخليا بعلاقة الإسناد بين الفعل (ذهب) وفاعله (الله)، وتماسكت الباء مع الفعل بعلاقة توضيح تخصيصي، والباء مع ما يليها (نورا) بعلاقة توضيح إضافي، وتماسكت (نورا) مع الضمير المتصل بعلاقة توضيح إضافي أيضا.

العلاقة الحادية عشرة:{ وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون}.



نلحظ أن المتتالية السابقة تماسكت مع التركيب السابق (ذهب الله...) بعلاقة العطف، وتماسك التركيب داخليا بعلاقة الإسناد بين الفعل (ترك) والفاعل (هو)، ومع المفعول (هم) الضمير المتصل بعلاقة توضيح تخصيصي، وبالحرف (في) بعلاقة توضيح مكاني/ظرفي، وتماسك الحرف مع الاسم (ظلمات) بعلاقة توضيح إضافي، وتماسك التركيب التالي (لا يبصرون) مع المتتالية السابقة بعلاقة حالية، وداخليا بين عناصره بعلاقة إسناد بين الفعل (يبصر) والفاعل الضمير المتصل (الواو).

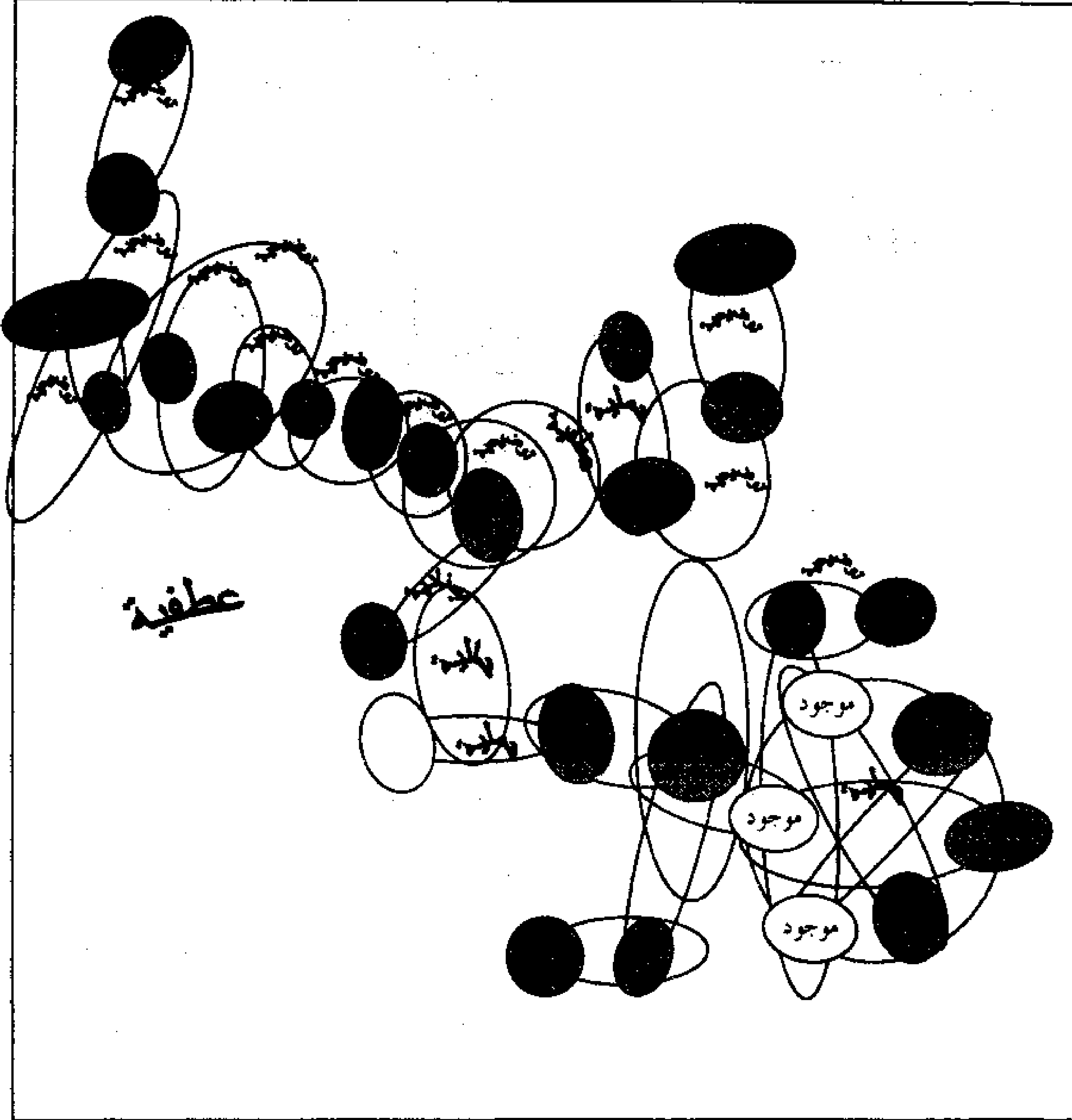
العلاقة الثانية عشرة: {صم بكم عمي فهم لا يرجعون}



نلحظ أن المتتالية تماسكت مع السابقة لها بعلاقة الحال، وتماسكت داخليا بعلاقة الحمل بين المبتدأ المحذوف والخبر (صم) وتماسكت بذات العلاقة بين (بكم/عمي)، وربطت العلاقة العطفية التركيبين الجديدين بالتركيب السابق لهما، وكذلك ربطت التركيب اللاحق بهما (فهم لا يرجعون)، وتماسكت داخليا بعلاقة الحمل بين الضمير المنفصل (هم) والجملة التي تؤول بخبر، وتماسك الخبر داخليا بعلاقة الإسناد بين الفعل (يرجع) والفاعل الضمير المتصل (الواو).

العلاقة الثالثة عشرة: {أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين}

شكل رقم (١١)



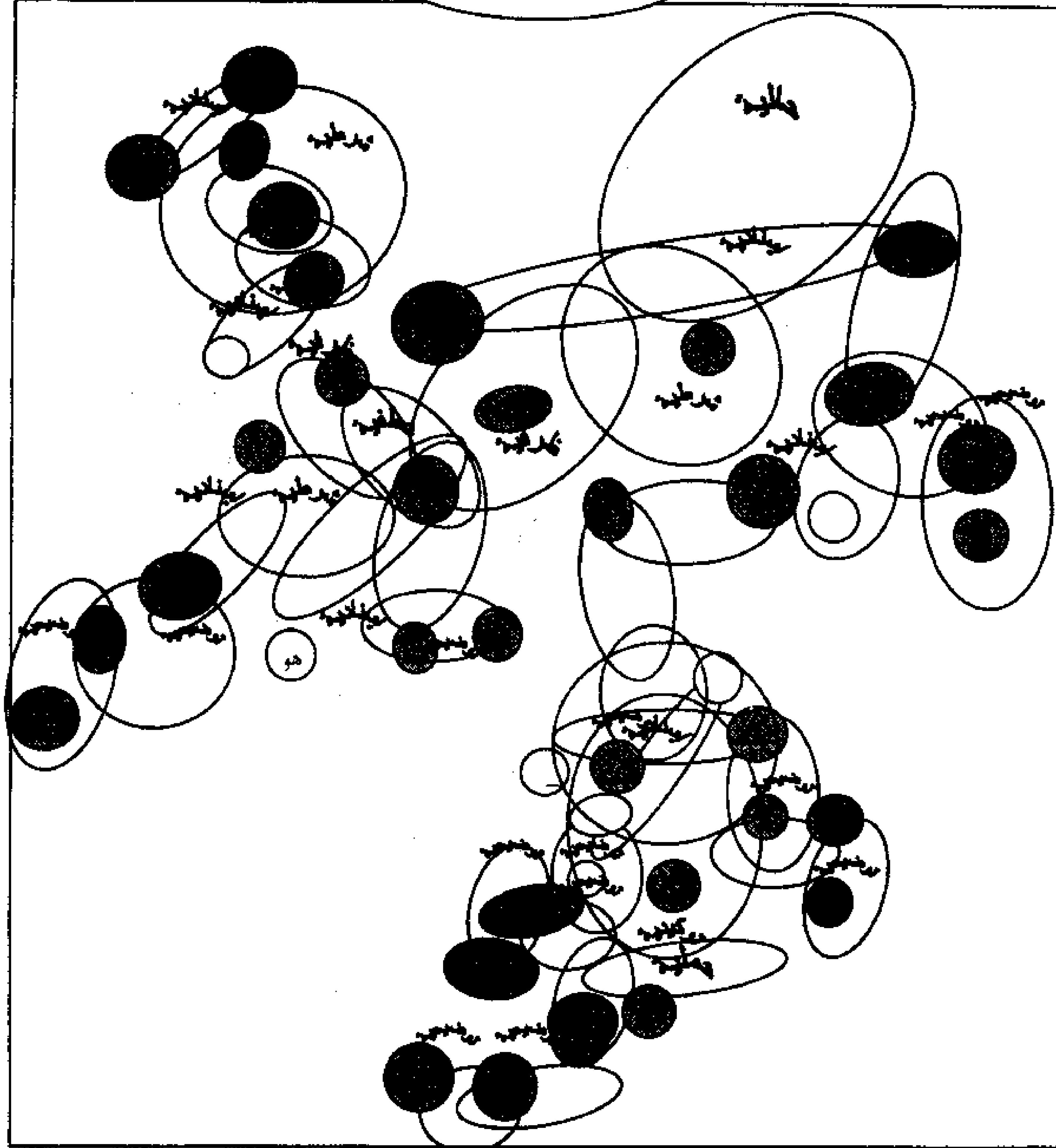
أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين...

نلحظ أن المتتالية الجملية أعلاه قد تماسكت مع السابقة لها بعلاقة العطف، وتماسكت داخليا بعلاقة الحمل بين الخبر (كـ) والمبتدأ المحذوف المقدر بـ(مثلُ) الأولى في المتتالية السابقة، وتماسكت الكاف مع (صيب) بعلاقة التوضيح الإضافي، وتماسك الحرف (من) بعلاقة التوضيح المكاني/الظرفي مع المبتدأ الكاف، وتماسك الحرف مع (السماء) بعلاقة التوضيح الإضافي، وتماسكت الجمل الاسمية (فيه ظلمات...) بعلاقة العطف فيما بينها وبعلاقة التوضيح التخصيصي مع الجملة الحملية الأولى، وبالعلاقة الحملية فيما بينها داخليا، فكانت العلاقة الماسكة للحرف (في) مع الخبر هي علاقة التوضيح المكاني/ الظرفي، وللحرف مع الضمير علاقة توضيح إضافي.وكانت العلاقة الحالية هي الرابطة بين التركيب السابق وتركيب (يجعلون)، والعلاقة الماسكة داخليا للتركيب الحالي علاقة إسناد بين الفعل (يجعل) والفاعل الضمير المتصل (الواو)، وعلاقة التوضيح التخصيصي بين الفعل والمفعول (أصابع)، وعلاقة التوضيح الإضافي بينه وبين الضمير المتصل (هم)، وعلاقة التوضيح المكاني/ الظرفي بين الفعل والحرف (في)، والتوضيح الإضافي بين الحرف والاسم (آذان)، وبينه وبين الضمير علاقة التوضيح الإضافي، وعلاقة التوضيح التخصيصي بين (من) والفعل (يجعل)، وعلاقة التوضيح الإضافي بين الحرف (من) والاسم (الصواعق)، وعلاقة التوضيح التعليلي بين الاسم(حذر) والفعل (يجعل)، والتوضيح الإضافي بين الاسم (حذر) والاسم التالي (الموت). وتماسكت المتتالية التالية (والله محيط ...) مع السابقة بالعطف وبعلاقة التوضيح التعليلي، وتماسكت داخليا بعلاقة الحمل بين المبتدأ (الله) والخبر (محيط)، وتماسك الحرف الباء مع الخبر بعلاقة

التوضيح التخصيصي، وتماسك الاسم (الكافرين) معه بعلاقة التوضيح الإضافي.

العلاقة الرابعة عشرة: علاقات المتتالية الجملية{ يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إنّ الله على كل شيء قدير}.

شكل رقم (١٢)



يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إنّ الله على كل شيء قدير

نلحظ أن المتتالية أعلاه قد تماسكت مع المتتالية السابقة لها من خلال العلاقة الحالية، وتماسكت فيما بينها داخليا من خلال جملة علاقات، فماسكت علاقة الإسناد بين الفعل (يكاد) وفاعله/اسمه (البرق)، وتماسك الفاعل مع ما يليه؛ أي خبر (كاد) بعلاقة الحمل، أو تماسك الخبر مع الفعل كاد بعلاقة الحال، وتماسك الخبر داخليا بعلاقة الإسناد بين الفعل (يخطف) والفاعل الضمير المستتر (هو)، وتماسك المفعول (أبصار) مع الفعل بعلاقة التوضيح التخصيصي، والمفعول مع متعلقه الضمير المتصل بعلاقة التوضيح الإضافي. وشكلت (كلما) علاقة توضيح زماني/شرطي مع ما يليها، وعلاقة حال مع ما سبقها من كلام. وكان الفعل (أضاء) من جهة تعلقه بـ(كلما) متعالقا بعلاقة توضيح إضافي. ومن جهة فاعله (هو) بعلاقة إسناد، وتعلق الحرف (لـ) بالفعل (أضاء) بعلاقة توضيح تخصيصي، وتعلقت اللام بما يليها (هم) بعلاقة توضيح إضافي، وتعالق الفعل التالي (مشى) مع الفعل السابق(أضاء) بعلاقة توضيح شرطي، ومع ما يليه(وا) بعلاقة إسنادي، وتعالق الحرف (في) مع الفعل بعلاقة توضيح مكاني/ظرفي، وتعالق الحرف مع ما يليه (هـ) الضمير المتصل بعلاقة توضيح إضافي، وتعالقت هذه المتتالية مع المتتالية اللاحقة (إذا أظلم...) بعلاقة العطف؛ بمعنى أنها كوّنت حالا ثانية. وتعالقت (إذا) مع الفعل (أظلم) بعلاقة التوضيح الزماني/ الشرطي، وتعالق الفعل (أظلم) مع فاعله(هو) بعلاقة الإسناد، وتعالق الحرف (على) مع الفعل بعلاقة التوضيح المكاني/ظرفي، وتعالق الضمير المتصل (هم) مع الحرف (على) بعلاقة التوضيح الإضافي، وتعالق المتتالية اللاحقة (قاموا) مع

السابقة بعلاقة التوضيح الشرطي، وفيما بينها داخليا بعلاقة الإسناد بين الفعل (قام) والفاعل (وا) واو الجماعة. وتماسكت المتتالية السابقة بالمتتالية الحالية (ولو شاء ...) بعلاقة العطف. وتماسكت (لو) مع الفعل (شاء) بالعلاقة التوضيحية الشرطية، تعالقت (شاء) بالفاعل (الله) بالعلاقة الإسنادية، وباللام بالعلاقة التوضيحية التخصيصية، وتعلق الحرف بالجملة (ذهب...) بعلاقة التوضيح شرطي، والفعل(ذهب) بالفاعل (هو) بالعلاقة الإسنادية، وتعلقت الباء بعلاقة التوضيح التخصيصي، وتعلق الاسم (سمع) بالباء بعلاقة التوضيح الإضافي، وتعالق الاسم التالي (أبصار) بعلاقة العطف مع الفعل (ذهب)، وبعلاقة التوضيح الإضافي مع الباء المحذوفة، وتعالقت (هم) الضمير المتصل مع الاسم (أبصار) بعلاقة التوضيح الإضافي أيضا. وتعالقت الجملة التالية مع المتتالية السابقة بعلاقة التوضيح التعليلي، وفيما بينها بعلاقة الحمل المؤكدة بين لفظ الجلالة (الله) والاسم (قدير)، وتعلق الحرف (على) بالخبر بعلاقة التوضيح المكاني/ الظرفي، وتعلقت لفظ (كل) بالحرف بعلاقة التوضيح الإضافي، وبما بعده (شيء) بعلاقة التوضيح الإضافي أيضا.